نظر الأكياس

في الرد على

جهمية البيضاء وفاس

تأليف العلامة

أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم النتيفي

رحمه الله (١٣٠٣-١٣٨٥هـ)

تحقيق وتعليق

أ. د. عبد الله بن عمر الدميجي

جامعة أم القرى - مكة المكرمة





نظر الأكياس في الرد على جهمية البيضاء وفاس

تأليف العلامة

أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم النتيفي رحمه الله

(١٣٠٣ - ١٣٨٥هـ)

تحقيق وتعليق

الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي

جامعة أم القرى - مكة المكرمة





مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠].

أَمَّا بَعْدُ:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد:

فإنه لما كان علم العقيدة أشرف العلوم وأفضلها وأعلاها ـ إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وهو علم أصول الدين، وهو الفقه الأكبر، لأنه لا حياة

للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بمعرفة خالقها ومعبودها سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله جل وعلا.

ولما كان من المحال أن تستقلّ العقول بمعرفة ذلك وإدراكه على التّفصيل، اقتضت رحمة أرحم الراحمين أن يبعث الرّسل (به معرّفين، وإليه داعين، ولمن أجابهم مبشّرين، ولمن خالفهم منذرين، وجعل مفتاح دعوتهم، وزبدة رسالتهم، معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرّسالة كلّها من أوّلها إلى آخرها)[1] وتقوم سعادة الدنيا والآخرة.

واقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن جعل خاتمهم وآخرهم وأفضلهم نبينا محمد بن عبد الله ﷺ، وجعل كتابه مهيمنا على ما بين يديه من الكتب السماوية، وأنزل عليه الكتاب والحكمة ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤] وجعل دعوته عامة لجميع الثقلين الجن والإنس، باقية إلى يوم القيامة، شاملة لكل صغيرة وكبيرة. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وجعل طاعته طاعة له، ومعصيته معصية له، وأقسم بنفسه سبحانه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموه فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضى، ويسلموا تسليما.

---

(١) اقتباس من مقدمة شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي.

فأكمل الله تعالى به الدين، وأقام به الحجّة، وأوضح به المحجّة، وترك أُمّته «على البيضاء ليلها ونهارها سواء»(1). «لا يزيغ عنها إلا هالك»(2).

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣] قال: «أخبر الله نبيه والمؤمنين أنه أكمل لهم الدين، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا، وقد أتمّه الله عزّ ذكره فلا ينقصه أبدا، وقد رضيه الله، فلا يسخطه أبدا»(3).

فبعد هذا الإكمال والإتمام والرضا، لا يجوز لمسلم بحال أن يبحث عن مصدر آخر غير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، يستقي منه معرفته بربه عز وجل، وسائر أمور عقيدته ودينه.

بل إن من سلك هذا المسلك داخل فيمن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

وعلى منهاج النبوة في فهم العقيدة سار خير القرون، بدءً بصحابة رسول الله ﷺ الذين اصطفاهم الله تعالى واختصهم بصحبة نبيه ﷺ، ثم التابعين لهم بإحسان، ومن جاء من بعدهم من أئمة الهدى والدين، الذين حملوا ميراث

---

(1) جزء من حديث أخرجه ابن ماجه عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. السنن، المقدمة: ح: ٥(١/٤). وحسّنه الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجه ح: ٥ (١/٧٧)، وصحيح الجامع رقم (٩).

(2) جزء من حديث أخرجه ابن ماجه ح: ٤٣ (١/٢٩) وأحمد في المسند ح: ١٧١٨٢ (٤/١٢٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢/٦٤٨) ح:

(3) تفسير الطبري (٨/ ٨٠).

النبوة وقاموا بنشره في أصقاع الدنيا حتى تحققت نبوءة وأمنية المصطفى ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ الا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر»(١).

ومن هذه البلاد العزيزة على قلوبنا، بلاد المغرب الإسلامي التي دخلها الإسلام مبكرا في القرن الأول الهجري عن طريق الفتوحات التي قام بها المسلمون لمنطقة شمال أفريقيا والأندلس أمثال معاوية بن خديج الكندي (ت: ٥٢هـ) وعقبة بن نافع الفهري (ت: ٦٣هـ)، وأبي المهاجر دينار (ت: ٦٣هـ)، وحسان بن النعمان الغساني (ت: ٨٦هـ) وموسى بن نصير (ت: ٩٨هـ) وغيرهم رحمة الله على الجميع.

وقد تميزت العصور الأولى بنقائها العقدي، وصفائها السني السلفي الفطري، القائم على الاتباع وترك الابتداع، لم تشبها لوثات الأفكار الدخيلة من توهمات المتكلمين ولا تخرصات المتفلسفين ولا خرافات المتصوفين، وذلك من حيث الجملة، وإلا فقد ظهرت بعض الفرق البدعية متأثرة بما يجري في الشرق الإسلامي، لكن لم يكن لهذه الفرق ذلك الأثر الكبير في التأثير في المجتمع المغاربي في تلك العصور، وإن كان قد تأثر بها بعض الأفراد كما سيأتي بيانه.

وقد ساعد في ثبات هذه العقيدة ورسوخها في قلوب العامة والخاصة تبني تلك الديار لمذهب الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى

(١) أخرجه أحمد في المسند - ١٦٩٩٨ (٤ / ١٠٣) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

الذي وصل إلى شمال أفريقيا على يد أسد بن الفرات (ت: ٢١٣هـ) وعبد السلام بن سعيد الملقب بسحنون (ت: ٢٤٠هـ) كما وصل المغرب الأقصى على يد أبي ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي (ت: ٣٥٧ هـ) وكان أهله قبل ذلك على مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى.

وكان الإمام مالك رحمه الله تعالى مشهورا بتعظيم النص الشرعي، وتأكيد الاتباع للكتاب والسنة، والتحذير من الابتداع، ومنهجه واضح في تأكيد المنهج السلفي القائم على تعظيم النصوص الشرعية - كتابا وسنة -، وتقديمها والتسليم لها، مع تقديم فهم الصحابة والتابعين على ما سواه، مع بغض الإحداث والابتداع في الدين، ورد كل المحدثات من التأويلات الكلامية والصوفية وغيرها، وكانت كلماته القليلة بمثابة القواعد العظيمة في تقرير منهج السلف الصالح للعقيدة، ومنها:

١) مقولته المشهورة التي أصبحت قاعدة لأهل السنة والجماعة لما سئل عن الاستواء، فقال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[١].

٢) وكذلك مقولته: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»[٢] التي تؤكد على منهج الاتباع وترك الابتداع، وأن صلاح الأمة في اتباع سلفها الصالح لا في ابتداع خلفها الطالح.

(١) سيأتي تخريجها في ص (٥٣).

(٢) نسبها إليه القاضي عياض في كتابه: الشفاء (٢/٧١).

كما أسهم في ثبات هذه العقيدة السلفية ورسوخها في تلك الديار ما عرف عن فقهاء المالكية من الجرأة في الصدع بالحق وبيانه، والحرص على الاتباع وترك الابتداع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمام الأمراء وغيرهم، لا تأخذهم في الله لومة لائم، حتى قال القاضي عياض (ت: ٥٤٤) «قد نظرنا طويلا في أخبار الفقهاء، وقرأنا ما صنف في أخبارهم إلى يومنا هذا، فلم نر مذهبا من المذاهب أسلم منه ـ يعني مذهب مالك ـ فإن فيها الجهمية والرافضة، والخوارج والمرجئة والشيعة، إلا مذهب مالك رحمه الله تعالى، فما سمعنا أحدا ممن تقلد مذهبه قال بشيء من هذه البدع، فالاستمساك به نجاة إن شاء الله»(١).

ومما يذكر فيشكر لعلماء المغرب الإسلامي بعدوتيه ويحسب لهم سابقتهم واهتمامهم بالتأليف في التأصيل للرد على أهل البدع والتحذير منها ـ كما سيأتي ـ.

وقد حفظ لنا التاريخ كوكبة من الأعلام الكبار المغاربة الذين حافظوا على المنهج السلفي، واجتهدوا في تقريره، ومحاربة البدع والمحدثات، ومنهم على سبيل المثال:

١) محمد بن عبد السلام (سحنون) بن سعيد التنوخي (ت: ٢٥٦) إمام المالكية في وقته في القيروان، الذي أحيا سنة الإمام أحمد في مسألة القرآن حينما تأثر أحمد بن الأغلب، والي الأغالبة على القيروان بمذهب الاعتزال، وحمل العلماء في وقته على مقالة خلق القرآن، فامتحن سحنون، لكنه ثبت، ورفض

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك(١/٢٢).

وأبى أن يلين، فمنعه الوالي من الفتوى وأمره بلزوم بيته، والامتناع عن استقبال الناس والدرس[١].

وكذلك فعل تلميذه: يحي بن عمر الكندي (ت: ٢٨٩) فأخرج من بلده، وظل مختفيا اتقاء شر الوالي المعتزلي[٢].

٢) محمد بن نعيس المشهور بابن أبي زمنين (ت: ٣٧٨)، كان شديد التمسك بالسنة، مدافعا عنها، بيّن مذهب السلف ودعا إليه في كتابه المشهور (أصول السنة)[٣] الذي أصبح مرجعا ومعتمدا لمن جاء من بعده من أهل السنة والجماعة.

٣) عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت: ٣٨٦) الملقب بـ(مالك الصغير) الذي بيّن العقيدة السلفية الصافية من البدع والخرافات، وقررها ودعا إليها في مؤلفاته، ومنها رسالته المشهورة، التي اعتنى بها العلماء، واشتغلوا بشرحها ونظمها، وتدريسها والعناية بها قديما وحديثا[٤].

٤) أحمد بن محمد بن عبد الله أبو عمر المعافري الطلمنكي الأندلسي (ت: ٤٢٩)، كان «سيفا مجردا على أهل الأهواء والبدع، قامعا لهم، غيورا على

---

(١) المصدر السابق (٤/٧١).

(٢) المصدر نفسه (٤/٣٦٣).

(٣) طبع عدة طبعات، من أجودها طبعة الجامعة الإسلامية، وأصلها رسالة علمية من الجامعة نفسها، قدمها الباحث: محمد بن إبراهيم محمد هارون.

(٤) طبعت عدة طبعات، ومنها طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض عا ١٣٩٦هـ ومعها نظمها لأحمد بن مشرف المالكي الأحسائي.

الشريعة، شديدا في ذات الله تعالى»[1]، ومن أبرز جهوده في خدمة عقيدة أهل السنة والجماعة، ذلك المصنف العظيم (الوصول إلى علم الأصول) الذي لا يزال مفقودا ـ للأسف ـ وإن كان قد نقل العلماء بعض نصوصه، مستشهدين بها على تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة[2]، وله كتاب (الدليل إلى معرفة الجليل) وهو كتاب كبير صنفه في نحو مئة جزء[3]، لكنه مفقود أيضا، وقد أثارت عليه مواقفه السنية بعض الفقهاء الحاقدين، فوشوا به إلى الوالي، وشهدوا عليه أنه حروري، سفاك للدماء، يرى وضع السيوف على صالحي المسلمين، ولكن الله برّأه مما قالوا، وساق من يدافع عنه في رد تلك التهم الجائرة[4]، وتلك سنة إلهية قديمة حديثة مع العلماء المصلحين تتكرر، لا يكاد يخلو منها زمان ولا مكان.

٥) أبو عمرو، عثمان بن سعيد الداني (ت: ٤٤٤)، الذي كان إليه المنتهى في علم القراءات مع إبداعه في علم الحديث، أثنى عليه الذهبي، وعدّه من علماء المغرب الذين «لا يدخلون في الكلام، بل يتقنون الفقه أو الحديث أو العربية، ولا يخوضون في المعقولات، وعلى ذلك كان الأصيلي، وأبو الوليد بن الفرضي، وأبو عمر الطلمنكي، ومكي القيسي، وأبو عمرو الداني، وأبو عمر

---

(١) الصلة، لابن بشكوال (٤٩/١).

(٢) منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية في العديد من كتبه، منها درء التعارض (٢٥٠/٦) والفتوى الحموية الكبرى (ص ٢٤٥)، ومنهم الإمام الذهبي في السير (٥٦٩/١٧) والعلو (ص ١٧٨-١٧٩)، ومنهم ابن القيم في الصواعق المرسلة (١٢٨٤/٤).

(٣) ترتيب المدارك (٣٣/٨) وفهرس ابن خير الأشبيلي (٣٨٨).

(٤) التكملة لابن الأنبار (ص ١٦٧).

ابن عبد البر، والعلماء»[١].

له أرجوزة جميلة في السنة والرد على المتكلمين[٢]، وله كتاب (الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات)[٣] وافق ونصر في جملتها معتقد أهل السنة والجماعة، وقرر في بعض المسائل ما قرره المتكلمون الأشاعرة، ولعله في ذلك قد تأثر في الجانب السني بشيخه ابن أبي زمنين المذكور آنفا، وبالجانب الآخر بشيخه أبي بكر ابن الطيب الباقلاني، الذي قال عنه ابن تيمية: «إنه لم يأت في الأشاعرة قبله ولا بعده مثله»[٤]. وهو مالكي المذهب، لذا فقد تأثر به أكثر المغاربة في عصره الذين رحلوا للشرق في طلب العلم كما سيأتي.

٦) أبو عمر: يوسف بن عبد البر النمري الأندلسي(ت: ٤٦٣هـ) حافظ المغرب الذي خدم العقيدة السلفية وانتصر لها في العديد من مؤلفاته الكبار، كالتمهيد والاستذكار وجامع بيان العلم وفضله.

٧) أبوبكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت: ٥٢٠هـ) وكتابه الحوادث والبدع[٥] ينبئ عن منهجه السلفي وحربه للبدع والمبتدعة، استفاد ممن سبقه من علماء الأندلس في محاربة البدع، كمحمد بن وضاح القرطبي (ت:

---

(١) السير (١٧/٥٥٧).

(٢) ذكرها الذهبي في السير (١٨/٨١-٨٣) والعلو للعلي الغفار (ص ١٨١).

(٣) طبعت بتحقيق وتعليق زميلنا د. محمد بن سعيد القحطاني، نشر: دار ابن الجوزي.

(٤) مجموع الفتاوى - (٥ / ٩٨).

(٥) طبع عدة طبعات، من أحسنها، طبعة دار الغرب الإسلامي، عناية: عبد المجيد تركي.

٢٨٦هـ) في كتابه: البدع والنهي عنها، وأفاد من جاء من بعده كالإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام وغيره.

وغير هؤلاء من العلماء الأعلام الذين يصعب حصرهم وإحصاؤهم لكثرتهم، بل كانت غالبية الناس في الغرب الإسلامي في تلك العصور على مذهب السلف الصالح، حتى قال ابن خلدون مصورًا الحالة العقدية التي كانت سائدة في تلك البلاد: «كان أهل المغرب بمعزل عن أتباعهم -أي الأشاعرة- في التأويل، وأخذ رأيهم فيه، اقتداءً بالسلف في ترك التأويل، وإمرار المتشابهات كما جاءت»[1].

ويذكر الدكتور: حسن إبراهيم حسن: «أن أهل المغرب الإسلامي كانوا يسيرون وفق العقيدة السلفية، وأنهم ظلوا على هذه العقيدة حتى ظهر المهدي ابن تومرت صاحب الدعوة الموحدية»[2].

وقد كان عهد المرابطين (٤٤٨-٥٤٢هـ) من أزهى العصور التي مرت على الغرب الإسلامي في نصرة الولاية للمذهب السلفي ونشر الدعوة إليه، ومحاربة البدع والخرافات، ويشهد لذلك حادثة الأمر بحرق كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي من قبل الوالي: علي بن يوسف بن تاشفين، ومنع تداوله بناء على فتوى العلماء في ذلك العصر، وذلك في حدود تمام القرن الخامس الهجري[3].

---

(١) العبر في خبر من غبر (٦/٢٢٦).

(٢) تاريخ الإسلام (٤/٤٦٣).

(٣) ينظر: البيان المغرب (٤/٥٩)، سير أعلام النبلاء (٢٠/١٢٤).

وظل الأمر على ذلك حتى سقوط دولة المرابطين، وظهور دولة الموحدين، فقد حمل ابن تومرت وأمراؤه لواء الدعوة إلى الأشعرية بقوة السلطان.

كما حملوا لواء محاربة السلفية وتشويه صورتها بقوة السلطان أيضًا، وقد استحلوا دماء أهل السنة وقتلوا منهم خلائق لا يحصيهم إلا الله، وفرضوا العقيدة الأشعرية في المغرب بالسيف بعد أن استتب لهم الأمر سنة (٥٤٢هـ)[١].

ومن أجل تأصيل المعتقد الأشعري عند المغاربة ألَّف ابن تومرت لهم كتابه (المرشدة) وهي رسالة صغيرة، تطرق فيها إلى عرض موجز لمسائل الاعتقاد عند الأشاعرة، وشرع في تعليمهم إياها باللسان العربي والبربري، ثم صنف لهم كتابا أوسع في عرض المسائل من المرشدة سمَّاه «التوحيد» قسّمه على أيام الأسبوع، وألزمهم بقراءته كاملا محزّبًا بعدد أيام الأسبوع بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب من كل يوم، وذلك بعد تلاوة حزب القرآن الكريم[٢].

وقد كان للأشعرية وجود قبل ابن تومرت لكنها كانت محصورة عند بعض العلماء المغاربة الذين رحلوا إلى العراق والمشرق العربي لتلقي العلم فتأثروا بالأشعرية ورجعوا بها إلى المغرب، وهم قلة بين العلماء، ولم يشتهر أنهم

---

(١) ينظر: الخطط للمقريزي (٣٥٣/٢) والأنيس المطرب لابن أبي زرع (ص ١٨٦).

(٢) ينظر: العبر (٣٠٣/٦) ونظم الجمان لأبي محمد ابن القطان المراكشي (ص ١٢٩ و ١٧٩).

دعوا الناس إليها، والناس كانت تمجها وترفضها قبل إجبارهم عليها من قبل ابن تومرت وأتباعه.

ومن أوائل هؤلاء الفقهاء الذين أدخلوا الأشعرية إلى المغرب الفقيه: دراس بن إسماعيل (ت: ٣٥٧هـ) المذكور آنفا ممن أخذ عن تلاميذ الأشعري، وأبو بكر بن عبد المؤمن المكي القيرواني الذي أخذ عن ابن مجاهد الأشعري (ت: ٣٧٠هـ)، ومن أشهرهم: أبو عمران الفاسي (ت: ٤٣٠هـ) الذي تلقى أصول المذهب من الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) ومنهم: أبو الوليد الباجي (ت: ٤٧٤هـ) وأبو بكر ابن العربي (ت: ٥٤٣هـ) الذي أخذها عن الغزالي والطوسي، وعاد بها عام (٤٤٩هـ) وغيره.

ومن رواد المذهب الأشعري في المغرب العربي: أبو عبد الله بن يوسف السنوسي (ت: ٨٩٥هـ) صاحب السنوسية الكبرى والوسطى والصغرى وشروحها.

وقد وصلت الفرق ودعاتها مبكرة إلى بلاد المغرب وافدة من المشرق فكان أول هذه الفرق ظهورا - كما هي في المشرق - الخوارج الذين دخلوا شمال أفريقيا في بداية القرن الثاني الهجري، وقاموا - كعادتهم - بثورات قتالية حتى أقاموا لهم دولتين، الأولى: بني مدرار (١٤٠-٢٩٧هـ) بسجلماسة على مذهب الصفرية من الخوارج، والأخرى دولة بني رستم (١٤٤-٢٩٧هـ) بمنطقة «تاهرت» على مذهب الإباضية.

ثم كان القضاء على ثورة أبي زيد مخلد بن كيراد وقتله عام (٣٣٦هـ)،

فضعف شأنهم بعد ذلك[١].

ولا يزال للإباضية وجود في المغرب العربي في ليبيا في جبل نفوسة وزوارة، وفي تونس في جزيرة جربة ـ وقد انحسر وجودهم فيها الآن ـ وفي الجزائر في غرداية وورقلة[٢].

كما دخل مذهب المعتزلة إلى بلاد المغرب الإسلامي في أوائل القرن الثاني الهجري حتى كانت لهم الدولة أيام الأغالبة على أنقاض الأدارسة، وقد حاولوا إرغام الناس على قبول واعتناق مذهب المعتزلة وامتحنوا الناس والعلماء بالقول بخلق القرآن كما تقدم، لكن المغاربة رفضوا هذا المذهب وقاوموه وحاربوه حتى قيام دولة المرابطين[٣].

وقد كان للرفض والتشيع وجود مبكر في عهد عبيد الله المهدي الإسماعيلي (ت: ٣٢٢هـ) وداعيته أبو عبد الله الشيعي الذي حارب دولة الأغالبة والدولة الرستمية الإباضية، فقامت الدولة العبيدية بالمغرب في الفترة (٢٩٧-٣٦١هـ) حتى كان الانتقال إلى مصر وإنشاء الدولة العبيدية المسماة بـ(الفاطمية)، وظهرت فرقة من الروافض تسمى «البجلية» نسبة إلى علي بن عبد الله البجلي قدموا إلى السوس في عهد عبيد الله المهدي فحاربهم

(١) العبر، لابن خلدون (٤/ ٤٠-٤٣)، والفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي (الفرد بل) ترجمة: عبد الرحمن بدوي (ص ١٤٠ وما بعدها).

(٢) ينظر: الإباضية مذهب إسلامي معتدل، ليحي معمر (ص ١٣-١٥).

(٣) ينظر: ترتيب المدارك (٣/ ٣٠١-٣٠٢) و(٤/ ٦٠).

المرابطون حتى قضوا عليهم[1].

وأما التصوف فكان أول ما ظهر في الأندلس على يد ابن مسرة الجبلي (ت: ٣١٨هـ) في أواخر القرن الثالث الهجري، ومنها انتقل إلى المغرب[2]، ولم يكتمل نموه إلا بعد سقوط دولة المرابطين لمقاومتهم الشديدة له، فظهرت بعد ذلك «القادرية» المنسوبة إلى عبد القادر الجيلاني (ت: ٥٦١هـ) و«الشاذلية» نسبة إلى أبي الحسن علي بن عبد الله الحسن الشريف (ت: ٦٥٦هـ) ثم «التيجانية» المنسوبة إلى أحمد بن محمد المختار التيجاني (ت: ١٢٣٠هـ).

ومع ذلك بقي على مرّ العصور إلى ساعتنا هذه في تلك الديار من العلماء الأجلاء الكبار الذين جاهدوا المبتدعة والمخالفين بألسنتهم وأقلامهم، وجاهدوا الغزاة المستعمرين بسيوفهم ورماحهم، ولا ينسى التاريخ أن جلَّ قيادات الجهاد ضد المستعمر الفرنسي هم علماء السنة والجماعة من تلامذة بوشعيب الدكالي ومولاي محمد العربي العلوي، من أمثال الأعلام: علال الفاسي والمكي الناصري وإبراهيم الكتاني ومصطفى العلوي، ومن تلك القيادات السلفية: ابن باديس والإبراهيمي والملي وغيرهم كثير من القيادات العلمية العملية رحمة الله على الجميع.

ومما لا شك فيه أن هذه الفرق والأفكار والاتجاهات قد تركت إلى اليوم

---

(١) ينظر: العبر (٦/١٨٣) والأنيس المطرب (ص ١٢٩)، وقيام دولة المرابطين للدكتور: حسن إبراهيم حسن (٢١٠-٢١١).

(٢) ينظر: الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي (٣٣٨) وتاريخ الإسلام للدكتور: حسن إبراهيم حسن (ص ٤/٤٥٦).

بصماتها على المجتمع المغربي، وبقيت آثارها حية ومحسوسة، ولئن غابت بعض الأسماء والمصطلحات إلا أن الأفكار لا زالت حاضرة في بعض الأذهان، ويبقى الصراع بين الحق والباطل سنة كونية إلى قيام الساعة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٨-١١٩] وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [آل عمران: ١٤٠-١٤١].

ولله تعالى في ابتلاء المؤمنين، وغلبة عدوهم لهم، وقهرهم وكسرهم لهم أحيانا من الحكم العظيمة التي لا يعلمها على التفصيل إلا الله تعالى، فمنها[١]:

١) استخراج عبوديتهم وذلهم لله تعالى، وانكسارهم له وافتقارهم إليه وسؤالهم نصره على أعدائهم، ولو كانوا دائما منصورين قاهرين غالبين لبطروا وأشروا، ولو كانوا دائما مقهورين مغلوبين منصورًا عليهم عدوهم لما قامت للدين قائمة، ولا كانت للحق دولة.

٢) أنهم لو كانوا دائما منصورين قاهرين غالبين لدخل معهم من ليس قصده الدين ومتابعة الرسول، فاقتضت الحكمة الإلهية أن كانت لهم الدولة

(١) ينظر شرح العقيدة الأصبهانية (ص ٥٥٥).

تارة وعليهم تارة، فيتميز بذلك من يريد الله ورسوله والدار الآخرة، ومن ليس له مراد إلا الدنيا والجاه.

٣) أنه تعالى يحبّ من عباده تكميل عبوديتهم على السراء والضراء، وفي حال العافية والبلاء، وفي حال إدالتهم والإدالة عليهم، فلله سبحانه على العباد في كلتا الحالين عبودية بمقتضى تلك الحال لا تحصل إلا بها ولا يستقيم القلب إلا بها.

٤) إن امتحانهم بإدالة عدوهم عليهم يمحصهم ويخلصهم ويهذبهم كما قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [آل عمران: ١٤١].

ولذا فإن الظهور الوارد في الحديث الشريف «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين حتى يأتي أمر الله**»(١) لا يلزم منه الظهور بالسيف والسنان وإنما هو ظهور الحجة والبيان والحق الذي معهم، وهذا باق على الدوام سواء كانت الشوكة لهم أو عليهم.

ولهذا من رحمة الله بهذه الأمة ـ وقد تأذن بتحقيق موعوده بحفظ هذا الدين وحمايته على رغم ما يعتريها من جهل وضعف وتقصير ـ ما يزال يقيض لها في كل زمان تنحرف فيه عن الجادة من يجدد لها أمر دينها بأن يصطفي رجالا زكت نفوسهم بالعلم الشرعي، واستنارت عقولهم بنوره الإلهي، فيحيون ما اندرس من معالم الدين، و[ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال

---

(١) تم تخريجه في ص (١٦١، ١٦٢).

المبطلين وتأويل الجاهلين] كما قال ﷺ[1].

وأحسب أن من هؤلاء الأعلام الذين قاموا بهذا الحق وأظهروه ونصروه وفندوا شبه المبطلين، وتأويلاتهم وتحريفاتهم فضيلة الشيخ: عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم التنيفي الذي عاش في القرن الماضي (١٣٠٣-١٣٨٥هـ) وقد ساءه ما رأى وسمع من نشر لشبهات الجهمية القديمة على يد بعض المبتدعة المعاصرة من أهل مدينتي البيضاء وفاس.

فقام ـ غيرة لدين الله ونصرة للحق وأهله، ونصيحة لله ولكتابه ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم ـ بالرد على هذه الشبهات الكلامية التي يتلقفها ويرددها الأتباع عن سلفهم المتقدمين من المتكلمين الجهمية، فألَّف هذه الرسالة التي بيّن سبب تأليفها في أولها.

وقد أحسن الظن بي بعض الإخوة الأفاضل من المغرب فبعثوا لي بنسخة خطية من هذا الكتاب[2]، وأخرى منسوخة منها ـ وكلتاهما بالخط المغربي ـ راغبين القيام بتحقيقه والتعليق عليه تمهيدا لنشره لتعميم الفائدة، فلم أجد بدا من الإجابة لطلبهم.

فكان هذا العمل المطروح بين يدي القارئ الكريم بدءًا بنسخ المخطوط وتنظيم مادة النص، وعزو آياته وتخريج أحاديثه وبيان أقوال أهل العلم في

(١) هذا جزء من حديث «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين». رواه البيهقي في دلائل النبوة .(١ / ٤٤) وصححه الألباني مشكاة المصابيح – (١ / ٥٣).

(٢) وهي ضمن مجموع، فأول الرسالة وفيها لوحة العنوان تبدأ من اللوحة (١٤).

درجتها، إضافة إلى توثيق ما أمكن من أقوال العلماء الذين استشهد بهم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والنقولات عنهم من كتبهم مع التعليق على بعض المواطن التي رأيت الحاجة داعية إلى التعليق عليها بما تيسر، والتعريف ببعض الفرق والبلدان التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع خدمة الكتاب بذكر ترجمة مختصرة للمؤلف وكشافات لموضوعات الكتاب ومصادر التحقيق.

والنسخة التي اعتمدت عليها هي - فيما يبدو - مسودة لأصل الكتاب لم يتمكن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من مراجعتها وتصحيحها لذلك لم تسلم من بعض الهفوات التي اقتضى المقام تصحيحها والتنبيه عليها، وخاصة فيما يتعلق بالآيات القرآنية الكريمة.

وقد اعتمد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرد على أكثر هذه الشبهات على ما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» واختصار الموصلي له.

لذلك اقتضت المنهجية العلمية المقابلة على المنقول منه والتنبيه على المهم من الفروقات.

ومع علمي بأني لم أوف الكتاب ومؤلفه حقهما من الدراسة والتحقيق، فحسبي أني بذلت جهدي في سبيل ذلك، وإن فاتني أجر الاجتهاد والإصابة فأسأله تعالى أن لا يحرمني أجر الاجتهاد.

وفي الختام أشكر فضيلة الأستاذ الدكتور: محمد أمحزون حفظه الله الذي كان له الفضل بعد الله في تشريفي بخدمة هذا الكتاب والمساهمة في تحقيقه

ونشره، فجزاه الله عني خير الجزاء وأوفاه.

كما أسأل المولى عز وجل أن يجزي المؤلف عنّا وعن المسلمين خير الجزاء على ما قدم من خدمة لدينه وأمته، وأن يجزل له الأجر والمثوبة وأن ينفع بعلمه، وأن يصلح له في عقبه، وأن يرفع درجته في المهديين، وأن يجمعنا به ووالدينا وأحبابنا في جنات النعيم، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

كما أسأله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم نافعًا لعباده المؤمنين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب

أ. د. عبد الله بن عمر الدميجي

تحريرا في اليوم العاشر من شهر رمضان المبارك

من عام ١٤٣٤هـ بمكة المكرمة

صفحة بيضاء



صورة اللوحة الأولى



صورة اللوحة الأخيرة

ترجمة المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١)

أولا: اسمه وكنيته:

هو: عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم التنيفي أبو زيد الجعفري، ينتهي نسبه إلى محمد الجواد بن علي الزينبي ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وعلي الزينبي أمه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

ثانيا: مولده وطلبه العلم:

ولد الشيخ سنة ١٣٠٣هـ. بقرية المقاديد بقبيلة هنتيفة، ولما أكمل السنة الرابعة أدخله والده الكتاب، فحفظ القرآن الكريم، ثم رحل إلى مدينة سطات، التي تابع فيها حفظ القرآن بالروايات، فأتم بها قراءة الكسائي وحمزة، ثم صرف اهتمامه إلى طلب العلوم الشرعية واللغوية، فتتلمذ على الشيخ أبي شعيب البهلولي، الذي توسَّم فيه الخير ولاحظ فيه مخايل النجابة، وقوة الاستعداد للتلقي، فأولاه عناية كبرى، وتشجيعا متميزا، ولكن مكثه في سطات لم يستمر سوى ست سنوات حيث يمم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ شطر فاس

---

(١) كان الاعتماد في تحرير هذه الترجمة على ما ذكره ابن المؤلف الشيخ حسن بن عبد الرحمن التنيفي المتوفى سنة ١٣٩٨هـ في كتابه ـ مختصر ترجمة شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أبي زيد الحاج عبد الرحمن التنيفي الجعفري ـ.
وعلى مقال لفضيلة الشيخ: محمد زحل بعنوان: من أعلام الدعوة السلفية في بلادنا العلامة الشيخ أبو زيد عبد الرحمن التنيفي الجعفري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد نشر الجزء الأول منه في مجلة الفرقان المغربية في العدد ١٥/ السنة الرابعة /شوال / ١٤٠٨هـ يونيو ١٩٨٨م والجزء الثاني نشر في العدد ١٦ / السنة الخامسة / محرم ـ صفر ١٤٠٩هـ سبتمبر ١٩٨٨م.

لاستكمال الدراسة والتتلمذ على مشايخها، وسكن بالمدرسة المصباحية المجاورة للقرويين، ولازم الجامع الأعظم.

والشيخ حافظ لحديث رسول الله ﷺ، أُصيب بفقد البصر فعوضه الله بنور البصيرة والذكاء الخارق وقوة الحفظ، قال عنه ابنه الحاج حسن: «تسرد عليه المئات من الأحاديث بأسانيدها فيحفظها عن ظهر قلب ويسردها عليك...» قال: «وفي الفقه مجتهد غير مقيد بمذهب يدور مع الدليل أين ما دار، لا يفتي إلا بالراجح، وفي دروسه الفقهية يبحث مع الفقهاء الكبار...داوم طيلة خمسة عشر عامًا يفسر آيات القرآن، وكذلك شأنه في كل علم معقول ومنقول»[1].

ثالثا: أبرز شيوخه:

١- الفقيه الشيخ بوشعيب البهلولي.

٢- العلامة السيد محمد التهامي كنون.

٣- العلامة سيدي محمد بن جعفر الكتاني.

٤- العلامة أبو العباس سيدي أحمد بن الخياط.

٥- العلامة أبو محمد عبد الله الفضيلي.

٦- الشيخ أبو محمد عبد الكبير الكتاني.

٧- الشيخ محمد بن أحمد بن الحاج السلامي.

(١) مختصر ترجمة الشيخ ص(٨- ٩).

رابعا: أبرز تلامذته:

١- ابنه الشيخ حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢- ابنه الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- الفقيه الحاج عباس التادلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤- العلامة المؤرخ محمد العبدي الكانوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥- العلامة أحمد بن قاسم المنصوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٦- شقيقه، الفقيه الجيلاني بن محمد النتيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٧- شقيقه، الفقيه، محمد بن محمد النتيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٨- الفقيه علال التادلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٩- الفقيه محمد بن ناصر الزياني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٠- الفقيه، عبد الرحمن بن الحاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد ذكر ابنه حسن أسماء أكثر من أربعين تلميذًا[١] نهلوا من علمه وحملوا عنه، فكان منهم القضاة والمحامون والمربون والأئمة والمعلمون.

خامسا: ثناء العلماء عليه:

أثنى على الشيخ عبد الرحمن جمع من العلماء الأفاضل، ومنهم: العلامة أحمد بن الخياط الفاسي، فقد قال عنه: «الفقيه الأجل المدرس المحقق النفاعة المبارك الأمثل سيدي عبد الرحمن بن محمد النتيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

وقال العلامة شعيب الدكالي: «أخونا في الله العلامة الألمعي الحافظ

(١) مختصر ترجمة الشيخ ص (٢٠).

اللوذعي الفقيه السيد عبد الرحمن بن محمد النتيفي». وذكر الشيخ حسن ابن الشيخ أن شعيبا الدكالي كان كثيرا ما يذكر الشيخ في مجامعه بالفضل والعلم، وصرح مرارا بأنه «ياقوتة فريدة».

وقال الشيخ حسن عن أبيه: «هو الإمام الهمام، الشيخ المناظر المشارك الدراكة الفهامة المحقق النقاد الحافظ، العارف بالفقه والحديث والتفسير والأصلين والبيان والبديع والمنطق، والتصريف والعروض، إذا تكلم في فنٍّ لا تحسبه يعرف سواه بلغ الاجتهاد والاختيار»(١).

وقال الشيخ محمد زحل: «هو الإمام المحدث الحافظ أعلم أهل زمانه بحديث رسول الله ﷺ، طرقه وعلله ومتونه وفقهه، الجامع بين المنقول والمعقول، والمبرّز في الفروع والأصول، نابغة زَيَّان(٢)، ومالك ناصية البيان، مفخرة أهل العصر في التدريس والفتوى، وحائز قصب السبق في التأليف والخطابة وجودة الإلقاء، ناصر السنة بالحجج البينات، وقامع البدعة بتزييف الأهواء وكشف الشبهات، حجة الله على من شكى دروس العلم، القدوة من بقية السلف الصالحين، من أشاد بفضله والثناء عليه المحبون والأعداء، وأجمع على التنويه بحسن بلائه في خدمة العلم ونصرة السنة الأقربون والبعداء، العلامة الحجة، والشيخ القدوة، عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم النتيفي أبو زيد الجعفري».

وأثنى عليه آخرون من أهل العلم منهم: المؤرخ الكبير، ابن زيدان،

(١) مختصر ترجمة شيخ الإسلام رحمه الله أبي زيد الحاج عبد الرحمن النتيفي ص (١١).

(٢) زيَّان: اسم قبيلة عاصمتها خنيفرة عاش بينهم المؤلف إبان الاحتلال الفرنسي للمغرب. عن د. محمد أمحزون.



والعلامة أحمد إكرام، والعلامة عبد السلام السرغيني صاحب «المسامرة» والعلامة الأديب محمد المختار السوسي صاحب «المعسول» والعلامة السلفي محمد بن العربي العلوي وغيرهم كثير.

سادسا: مناقبه:

١- دعوته للتوحيد ومحاربة البدع وأهلها والدجاجلة والمتعصبين من المقلدة.

قال عنه ابنه حسن: «كان ناصرا للسنة، سالا سيفه، قامعًا للبدعة مفوقا سهمه الصائب في نحور أهلها، ناعيا على الناس تنكبهم عن طريق السنة؛ وخصوصا المتصوفة... » إلى أن قال:

«وله في الذب عن حوزة السنة المواقف المشهورة والآثار المحمودة التي لا ينكر فضله فيها إلا جاحد أو معاند، ومن لم يعرفه إلا من طريق الباغي والحاسد، لأن ذلك شأن الناس فيمن ينصر السنة وقال الحق ولو كان مرا»(١).

وقال الشيخ محمد زحل: «كان يؤكد للناس على أن المسلمين لن يتخلصوا من أسباب التخلف والانحطاط وآثارهما ما لم يتحرروا كليا من سطوة الطرقية، وهيمنتها على عقولهم وقلوبهم، ويعودوا إلى المنابيع الصافية، التي تتفجر من الكتاب والسنة، ولما أحست معاقل الشعوذة والشرك بالخطر يدهمها من دروس الشيخ وآرائه شنت عليه حربا شعواء لا هوادة فيها،

---

(١) مختصر ترجمة شيخ الإسلام رحمه الله أبي زيد الحاج عبد الرحمن النتيفي ص (١١-١٢).



وهيجت عليه السفلة والرعاع وأذناب الاستعمار من كهنة الطرقية وسدنة الزوايا، ممن يأكلون أموال الناس بالباطل سحتا باسم الدين، ويمهدون للاحتلال ويدعمون سلطانه، حتى كان الشيخ وطلابه لا يستطيعون الخروج إلا مسلَّحين؛ خوفا على أنفسهم من الدهماء، ومن يستفزونهم»(١).

وما مؤلفات الشيخ ورسائله رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا دليل على عظم إنكاره البدع والخرافة وحرصه على تصحيح العقيدة، وتقرير التوحيد الخالص الذي بعث الله تعالى به رسله، وأنزل من أجله كتبه.

٢- جهاده في سبيل الله ضد الفرنسيين.

قال ابنه الشيخ حسن: «زيادة على نشر العلم والعرفان في تلك الأصقاع أعلن الجهاد مع تلامذته وإخوانه المسلمين على الفرنسيين لما وصلت طلائعهم لقرب خنيفرة، فحضر وقائع عدة كوقعة ـ أرغوس ـ الشهيرة، وموقعة ـ أفود أحمري ـ حتى كان الرصاص يتساقط عليه، واخترقت ثيابه، ونجاه الله منها»(٢).

وقال الشيخ محمد زحل: «لما هاجمت الجيوش الفرنسية بلاد زيَّان وما جاورها لم يقف الشيخ وتلامذته موقف المتفرج، بل شاركوا في واقعة أرغوس ومعركة أفود أحمري الشهيرتين اللتين أبلى فيهما السكان البلاء الحسن، وانتهتا بانكسارهم واحتلال مدينة خنيفرة، واعتصام بقية الصامدين بقرون

---

(١) انظر المصدر السابق، ومجلة الفرقان، العدد: ١٥.

(٢) المصدر نفسه ص (٨).

الجبال»[1].

سابعا: آثاره ومؤلفاته العلمية.

لقد تميز الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في جانب الكتابة والتأليف، فقد ألف أزيد من سبعين رسالة، موضوعاتها تدور بين مناظرة أقيمت، أو مسألة أثيرت، أوفتوى تردد فيها القول، أو قضية معاصرة عرضت، فيفزع الشيخ إلى قلمه، ويخف إلى يراعه؛ ليجيب عن هذه، أو يحقق تلك، أو يرد على ذاك.

وموضوع تلك المؤلفات ـ غالبا ـ الرد على المبتدعة أو الملاحدة، أو الرد على بعض العلماء في مسائل خالفهم فيها، أو التحقيق في مسائل علمية، ونوازل طارئة، وفتاوى عارضة، ومن تلك المؤلفات[2] ما يلي:

١- «الحكم المشهور، في طهارة العطور، وطهورية الماء المخلوط بالملح المسمى بالكافور»، بيَّن فيه طهورية الماء المخلوط ببعض المعقمات والمواد المستعملة لقتل الديدان والميكروبات.

٢- «الاقتصار في جواز الشكوى والانتصار» وموضوعه الرد على قوم زعموا أن شكوى العبد لله وللناس حين تمسه الضراء ليست من سمات الصالحين.

٣- «حلّ إبرام النقض، في الردِّ على من طعن في سنَّة القبض»، في الردِّ على مَن نصر السدل في الصلاة.

٤- «الاستفاضة: في أن النبي ﷺ لا يرى بعد وفاته يقظة» وقد رد فيه على السيوطي.

---

(١) مجلة الفرقان: العدد: ١٥.

(٢) مختصر الترجمة ص (٢٤- ٣٦).

٥- «تنبيه الرجال في نفي القطب والغوث والأبدال»، في الرد على الصوفية.

٦- «لطف الله مع هبته، في الرد على قاضي امزاب وشنيعته»، حول اتهام الشيخ بإنكار الأولياء والصالحين، ورد عليه بإثبات أن إنكاره إنما يتعلق بأولياء الشياطين.

٧- «اللمعة في أن كل مكان تصح فيه الجمعة» وقد أفتى فيه بجواز الصلاة بجنبات المسجد، والحوانيت المجاورة له، إذا امتلأت رحابه، فأفتى بعض فقهاء الرباط وفاس بالبطلان، فرد عليهم الشيخ بالرسالة المذكورة.

٨- «الإلمام في رد ما ألحقته مبتدعة زيَّان من العار بالإمام»، في الرد على التيجانيين الذين أفتوا بعدم صحة الصلاة وراء القاضي العلامة مولاي الطيب العلوي بقرية «مريرت».

٩- «الذكر الملحوظ، في نفي رؤية اللوح المحفوظ» موضوعه: الرد على دعوى بعض فقهاء مكناس أن عبد الرحمن المجذوب دفين المدينة كان يرى اللوح المحفوظ.

١٠- «الإرشاد والسداد، في فضل ليلة القدر على ليلة الميلاد».

١١- «توشيح تزيين الأرائك، في إرسال النبي للملائك» رد فيه على السيوطي، في زعمه أن النبي ﷺ، مرسل إلى الملائكة، وإلى الرسل قبله، وإلى أممهم، وإلى الحيوان والجماد.

١٢- «القول الفائز في عدم التهليل وراء الجنائز»، بيَّن فيه أن السنة في التشييع هو السكوت وعدم التهليل وراءها كما يفعله بعض العوام.

١٣- «القول المعلوم في إباحة النظر في النجوم» وهو تفسير الآية الكريمة «وبالنجم هم يهتدون».

١٤- «كشف الخدر، فيما وقع من الهرج في زكاة الفطر» أفتى فيه بجواز دفع القيمة مع الكراهة في حالة قلة القمح أو حتى بدون ضرورة.

١٥- «التهاني في أجوبة الفقيه العثماني» ردّ فيه على رسالة الفقيه العثماني من جلة فقهاء سوس، وتتضمن الإجابة على مسائل في الزكاة، وعن النوحات الصوفية.

١٦- «السيف المسلول، في الرد على من حكم بتضليل من ترك السيادة في الصلاة على الرسول» وقد رد فيه على الفقيهين الحاج حمزة، والشيخ زين العابدين بن عبود، في إيجابهما لفظ السيادة في الصلاة على الرسول ﷺ.

١٧- «المستغنم، في بقاء الجنة وفناء جهنم» يذهب فيها إلى القول بفناء النار، أعاذنا الله منها. وهو قول مرجوح بلا شك.

١٨- «المستغنم في رفع الجناح على المستخدم» أفتى فيه بجواز الجمع بين الظهر والعصر للعمال الذين لا يتمكنون من أداء صلاة العصر في وقتها بسبب مشاكل العمل.

١٩- «الإعلام، في الرد على من حقَّر بعض شعائر الإسلام» رد فيه على مقال نشر بجريدة العلم هاجم فيه كاتبه سنة الأضحية.

٢٠- «المختار عند الأعلام، في الحكم على السيكرو بالحرام» حرم فيه التأمين على السلع والبضائع والعقار، وجوز تأمين السيارات للضرورة.

٢١- «الأجوبة الشافية، على أسئلة العباسية»، وفيه أجوبة على أسئلة علمية متعددة.

٢٢- «القول الصائب، في طلب الجماعة بعد الراتب» أجاز فيه تكرار الجماعة في المسجد، حين تفوت الصلاة مع الإمام الراتب.

٢٣- «القول الجلي، في الرد على من قال بتطور الولي» رد فيه على بعض أدعياء التصوف الذين زعموا أن الولي يتشكل في صور مختلفة، وهيئات متعددة.

٢٤- «المسائل البديعة، في البحث مع أهل الهيئة والطبيعة» رد فيه على الشيخ طنطاوي جوهري، مزاعم وردت في تفسيره «الجواهر».

٢٥- «الأبحاث البيضاء، مع الشيخين عبده ورشيد رضا»، وفيه الرد على بعض آرائهما.

٢٦- «حكم السنة والكتاب، في وجوب هدم الزوايا والقباب».

٢٧- «نظر الأكياس في الرد على جهمية البيضاء وفاس» موضوعه «مسألة الاستواء» وصفات الله تعالى بين المثبتين والنفاة مع الترجيح والانتصار لمذهب السلف في المسألة. وهو كتابنا هذا الذي نقدم له.

٢٨- «الدرة الوهاجة، في نفي صحبة بني ادغوغ ورجراجة وصنهاجة». وموضوعه دفع أوهام بعض المؤرخين في زعمهم إثبات ادعاء القبائل أعلاه بنسبتها للصحابة.

٢٩- «الفائدة المسموعة، في لزوم الواحدة في الثلاث المجموعة» موضوعه مسألة الطلاق الثلاث في الكلمة الواحدة.

٣٠- «شفاء الصدور، في أن الشمس سائرة والأرض ساكنة لا تدور».

٣١- «الإرشاد والسداد في رخصة الإفطار للدارس والحصاد»، وفيه أفتى بالإفطار مع القضاء من يمارسون بعض المهن الشاقة.

٣٢- «العور والقذى، في عين من رخَّص الإفطار ولو بقليل من الأذى»، ردَّ على من أفتى بعدم وجوب صوم رمضان، وأنه جائز فقط.

٣٣- «إظهار الحق والانتصار، في البحث مع صاحب توجيه الأنظار لتوحيد المسلمين في الصوم والإفطار»، وفيه الرد على من أوجب توحيد صوم وإفطار المسلمين.

٣٤- «تمام المنَّة، في أن السلام عليكم ورحمة الله هو السنة»، وفيه الرد على من أنكر التسليم بزيادة الرحمة والبركة.

٣٥- «الميزان العزيز، في البحث مع الديوان المذكور في كتاب الإبريز» رد فيه على الشيخ عبد العزيز الدباغ في زعمه إثبات التصرف للأولياء، وأن لهم ديوانا يجتمعون فيه.

٣٦- «النصر والتمكين، في وجوب الدفاع عن فلسطين» ردَّ فيه على فقيه فاسي زعم أن فلسطين لليهود، وأنهم مظلومون.

٣٧- «الفضل والمنَّة بالبحث في حديث لن يدخل أحدكم عمله الجنة».

٣٨- «التقاليد المحتملة، في بيان الدلائل المجملة» موضوعه تفسير الأدلة المجملة.

٣٩- «خير المتاع في بيان أخطاء فقيه بني السباع» رد فيه على الفقيه عبد الله السباعي في غلوه في الأولياء، وإيراده أشياء على المؤرخ محمد العبدي الكانوني تلميذ الشيخ وهي لا تلزمه.

٤٠- «كشف النقاب، في الرد على من خصص أزواج النبي بآية الحجاب» رد فيه على أدعياء تحرير المرأة.

٤١- «سيف النكال والزجر، في الرد على من قال «لكيلا تحرثوا في البحر»» رد فيه على كتاب لخالد محمد خالد أسماه «لكيلا تحرثوا في البحر» وقد نزع فيه خالد محمد منزعا إلحاديا، وأنكر أشياء معلومة من الدين بالضرورة، لكنه تراجع عن كثير من آرائه بعد ذلك، ولله الحمد، ونسأل الله أن يكون قد ختم له بخير.

٤٢- «إرشاد الحيارى، في تحريم زي النصارى».

٤٣- «الإرشاد والتبيين في البحث مع شراح المرشد المعين» موضوعه الرد على شراح المرشد المعين، في مسائل من التوحيد خالفوا فيها منهج السلف.

٤٤- «الأبحاث البينات فيما قاله عبده ورشيد رضا في تعدد الزوجات».

٤٥- «رد طعن الطاعنين في سحر اليهود لسيد المرسلين» موضوعه الرد على من طعن في الحديث الصحيح في المسألة، وعارض سحر النبي ﷺ بالكلية.

٤٦- «العارفون والأبرار، يعبدون الله طمعا في الجنة وخوفا من النار». موضوعه تزييف زعم المتصوفة أن العبادة الحقة لا تتعلق بخوف ولا طمع مما يناقض صريح القرآن.

٤٧- «بحث الحق وأهله مع صاحب الحكم وشيعته» موضوعه: نقد كتاب «الحكم» لابن عطاء الله.

٤٨- «مناهج الرجال، في الرد على الشيخ رحال» رد فيه على الشيخ الرحالي الفاروق في تفسيره للآية الكريمة ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ جانب فيه الصواب.

٤٩- «التبشير بالجنة، لا يختص بالعشرة»

٥٠- «المثاني والمثالث في مناقشة صاحب الخطبة وما فيها من مباحث»

٥١- «فهرسته التي تشتمل على أسانيده ومروياته، وإجازة العلماء له»

٥٢- «تحفة الرسائل في أنواع من المسائل» مسائل متنوعة.

٥٣- «أوثق العرى في الأحكام المتعلقة بالشورى».

٥٤- «تحفة الأصحاب».

٥٥- «كتاب التذكير في جواب النكرة».

٥٦- «الرسالة الشاقة، في قمع شنقيط آيت واقة»

٥٧- «تحفة الأماني في الرد على أصحاب التجاني» وقد ضاعت الرسائل الثلاث الأخيرة.

٥٨- «القول المؤيد في أن التيمم يرفع الحدث الرفع المقيد»

٥٩- «إيقاظ الهمم في أن عهود المشايخ لا تلزم».

٦٠- «تكملة كشف الصدور».

٦١- «البراهين البينات في أن الأنساب ظنيات لا قطعيات»

٦٢- «حكم الحق والكتاب، في طعام أهل الكتاب»

٦٣- «البراهين العلمية، فيما في الصلاة المشيشية».

٦٤- «القول الفائز في التحليل الجائز».

٦٥- «أصفى الموارد في الرد على غلو المطربين المادحين لرسول الله، وأهل الموالد».

٦٦- «الزهرة، في الرد على غلو البردة».

٦٧- «الحجج العلمية، في رد غلو الهمزية»

٦٨- «أحسن ما تنظر إليه الأبصار، وتصغي إليه الأسماع في نقد ما اشتمل عليه ممتع الأسماع في الجزولي وأصحابه والتباع».

٦٩- «الدلائل البينات في البحث في دلائل الخيرات وشرحه مطالع المسرات».

٧٠- «الحياة والغوث، فيما هو الحق في تمني الموت».

ثامنا: ذرية الشيخ[1]:

١- الشيخ حسن ولد سنة ١٣٣٧ هـ بفاس، وهو أجل وأعلم أبناء الشيخ رحمه الله، قام بالنيابة عن والده في إلقاء الدروس والخطابة بالجامع اليوسفي، له مؤلفات لم يطبع منها إلا ترجمته المستفيضة لأبيه والتي اعتمدنا عليها في هذه الترجمة، توفي رحمه الله سنة ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م.

٢- محمد. ولد سنة ١٣٥٠هـ فتتلمذ على أبيه، وعلى أخيه الشيخ حسن، ويعمل في المحاماة،

٣- عبد الغني عمل في سلك التعليم ثم عمل محاميا ومات بسبب حادثة سير سنة ١٩٦٨م

٤- عبد الرحيم درس بالبيضاء والقاهرة والرباط، ويعمل في وزارة الداخلية

٥- عبد الواحد بن عبد الرحمن، درس على والده، وفي المدارس المدنية، كما درس فترة قصيرة في سوريا، ويعمل الآن محاميا.

٦- عبد الله درس بالبيضاء، ونال إجازة العالمية وإجازة الحقوق، وعمل قاضيا بمختلف المدن المغربية مثل الجديدة وسطات وورزازات.

٧- مصطفى، تتلمذ على إخوته بمدرستهم السنة، نال إجازة في الحقوق ويعمل محاميا بالبيضاء.

---

(١) ينظر: المختصر ص(٢٠- ٢٤).

تاسعا: وفاته ووصيته[1]:

توفي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ليلة الثلاثاء ٢٣ ذي القعدة سنة ١٣٨٥ للهجرة الموافق ١٥ مارس ١٩٦٦م، بعد مرض عضال دام معه سنوات، وقد أوصى بعدم البناء على قبره، كما أوصى بعدم تأبينه.

غفر الله للشيخ المؤلف ورحمه رحمة واسعة وجمعنا به ووالدينا وأحبابنا في أعلى جنات الخلد، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا.

(١) ينظر: المختصر ومجلة الفرقان المغربية، العدد: ١٥، السنة الرابعة شوال ١٤٠٨هـ - يونيو ١٩٨٨م، والعدد ١٦، السنة الخامسة محرم - صفر ١٤٠٩هـ - سبتمبر ١٩٨٨م.



نظر الأكياس في الرد على جهمية البيضاء وفاس

تأليف العلامة

أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم النتيفي رحمه الله

(١٣٠٣ - ١٣٨٥هـ)

تحقيق وتعليق

الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي

جامعة أم القرى - مكة المكرمة



صفحة بيضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا

الحمد لله الذي استوى على عرشه بلا كيف، واتصف بصفات الكمال وانفرد بها دون سائر خلقه، نحمده تعالى ونشكره ونستعينه سبحانه وتعالى ونستغفره استغفار خائف من قهره. ونشهد(١) أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ذاته ولا في فعله ووصفه، ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وخاتم أنبيائه ورسله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وكرام(٢) صحبه.

أما بعد: فإن مما أبرزته الأقدار(٣) ونفست به الأيام والأعصار ما دهمنا من الوقائع في هذه الديار من كيد جماعة من الأشرار، ليسوا من الأقوياء

(١) صوابه (وأشهد) بالإفراد دون الجمع، وكذلك جاءت في الأحاديث الصحيحة، كحديث خطبة الحاجة وغيره. وعلل العلماء ذلك بأن شهادة التوحيد لا تقبل النيابة، ولا يتحملها أحد عن أحد، وفيه معنى آخر وهو أن الشهادة إخبار عن شهادته لله بالتوحيد ولنبيه بالرسالة، وهي خبر يطابق عقد القلب وتصديقه، وهذا إنما يخبر به الإنسان عن نفسه لعلمه بحاله، بخلاف إخباره عن غيره فإنما يخبر عن قوله ونطقه لا عن عقد قلبه. ينظر: المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع ابن قاسم (١/ ١٨٧) وحاشية ابن القيم على سنن أبي داود (٦/ ١٠٦).

(٢) يعني: صحبه الكرام، لا أن بعض صحبه ليسوا كراما رضي الله تعالى عنهم أجمعين، كيف وقد زكاهم الله تعالى في محكم تنزيله، وزكاهم الرسول ﷺ. فكفى بالصحبة كرامة من الله تعالى، والصحبة لا يعادلها شيء.

(٣) نسبة الأفعال إلى الأقدار إن قبلت في الصياغات الأدبية تجوزا، فلا تناسب كتب العقيدة والعلم.

الفجار، ولا من الأتقياء الأبرار، التي هي واقعة (رجب سنة ١٣٦٣ ثلاث وستين وثلاثمائة وألف هجرية).

فقد قام بها بعض من أولئك المشار إليهم هنالك بعد أن أجمعوا أمرهم، وأتوا صفًا وقاموا قومة رجل واحدٍ، واختنقوا غيظًا وحيفًا وانكشفت صدورهم عما فيها من الضغائن والحقود، وحشروا لكيدهم كل مبتدع وحسود، واستغاثوا لنصرتهم بكل معادٍ للسنة وكائد، دفعًا لها وتصممًا عن سمعها، وتسلحوا لذلك بكل دافع ومعاند، وكانوا مهما سمعوا للسنة أثرًا، ومرّ على آذانهم ذكر من يؤيد لها خبرًا؛ تحلقوا لذلك واجتمعوا، وتحيلوا في كيدها وناصرها، وحفظوا في ذلك ووعوا، ثم لم يزالوا في هذا الحال. والحال ما حال يتربصون الفرص ويتجرعون الغصص إلى أن بدت لهم فرصة غصوا بريقهم فيها، أزالوا غصتهم فيها بالدعاوى والصياح والفتنة واللعن والشتم وغير المباح، وأفعال لو كانت من الصبيان والمجانين ما [حقَّ][1] لها أن توضع في مجالس العلم وبيوت أذن الله أن ترفع.

وذلك أننا ذكرنا مذاهب الناس في استواء الله على عرشه، وأيدنا منه ما أيده الله في كتابه، ورسوله في حديثه، وسلف أمته ومحققوا خلفها/ [١٥] بصريح نصه فقامت[2] قيامتهم تلك، وانتظموا لنصر خلاف ما لِله ولرسوله وسلف أمته في صف وسلك، ولعنوا وشنعوا وطيَّروا الخبر إلى كلٍ من بادية المغرب ومدنه، وشكوا إلى أمراء الوقت وقضاته وسلطانه، وآل الأمر بيننا وبينهم إلى

(١) في الأصل: «لحق» ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل: «قامت» بدون فاء.

إيقاف دروسنا ودروس قبيح جاهل منهم، وهو الذي تولى كبر هذه الفتنة نحو أربعين يومًا على يد قاضي الوقت، وعقد مجلسًا للمناظرة على يده، أخرص الله فيها ألسنة القوم، وعجزوا عن تأييد مذهبهم إلا بأفكارهم التي ينبذونها عند الدليل، ويرجعون إليها ولا بد للتعصب والميل، وكان في خلال هذه الأيام أن رجلًا من هؤلاء فاسيًا تذكر ذاخرة تركها له أبوه، فيا لها من ذخيرة ويا له من أب لله دره، وهي ما حدثني بعض الفضلاء عنه أن السلطان أبا علي المولى الحسن العلوي[1] نوَّر الله ضريحه وأسكنه من روض الجنان فسيحه بينما صحيح البخاري يقرأ بين يديه على العادة بفاس إذ وقع في مجلسه خلافٌ «في استواء الله على عرشه» بين علماء فاس[2] وعالم من أهل طنجة[3] فاستدعاه السلطان للحضور معهم وهو: الشيخ عبد الله السنوسي[4]، فأمهلهم الإمام

---

(١) الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله، أبو علي من سلاطين دولة العلويين في المغرب الأقصى، ولد سنة ١٢٤٧هـ، وولي الحكم بعد وفاة أبيه سنة ١٢٩٠هـ، أنشأ معملًا للسلاح سنة ١٣٠٨هـ، وعني بتحصين الثغور وبناء أبراجها، توفي سنة ١٣١١هـ. الأعلام للزركلي ٢/٢٣٦-٢٣٧.

(٢) فاس: مدينة مغربية تقع على ضفاف نهر فاس، أحد روافد نهر سبو في شمالي المغرب، وتشتهر بدورها مركزًا دينيًا وثقافيًا في المغرب، وكانت عاصمة البلاد حتى عام ١٣٣١هـ. الموسوعة العربية ١٧/١٩٢.

(٣) طنجة: مدينة تقع على الساحل الشمالي للمغرب العربي على طول مضيق جبل طارق، وهي أقدم مدينة في المغرب الأقصى، ويأتي ميناؤها في المرتبة الثانية بعد الدار البيضاء. الموسوعة العربية ١٥/٦٤٥.

(٤) هو أحد علماء القرويين، كان سلفيًا شديدًا على أهل البدع، وكانت تصدر منه بعض العبارات القاسيات على خصومه. ينظر: حديث المغرب في المشرق (ص ٨) لعلال الفاسي.

إلى أن يأتوا غدًا بأدلتهم، فجاءوا غدًا ثم بأوراق في أيديهم، فلما صُفِّحت ورقات أبيه أعجبت السلطان وأمر بسردها، وأن يُنتهى إلى معناها وقولها، بعد أن عجز خصمه عن ردِّ ما فيها إلى آخر ما قال، ودفع السلطان ذلك العالم عن مجلسه فبقيت نسخة من هذه الرسالة بيد ولد صاحبها المذكور، فأسرع بها إلى أبي المكارم السلطان المولى محمد ابن الإمام المولى يوسف إمام وقتنا أعلى الله علاه وأعز كلمته ورفع شأنه، وزعم أنه أخذها منه ثمانية أيام وينسخها أو يطالعها، فردها بعد الأجل وقصد الرجل بذلك أن يغيظنا به، ويغير قلب الملك ويُدخل في علمه أن لأسلافه الفاسيين حجة علمِّية، ومستندًا للانتقام منا ولا علم لنا بذلك، ولكن أبى الملك الكبير واللطيف الخبير إلا أن يحقَّ الحقَّ ويبطل الباطل فأيَّد الله سلطاننا ونوّر/ ذهنه وفكره حتى ميز بين الحق [١٦] فأيَّده وأحبه، وبين الباطل فأدمغه وأرْداه، فكان جزاء أعمال أولئك المبطلين من مالكِ العوالمِ ثم من مالك المغرب الحِرْمان، وانعكست عليهم القاضية، وكانت مقاصدهم السيئات في جانبنا حسنات، حيث تسبَّبوا لنا بذلك في قربٍ من السلطان وصِلاته وسماع الدروس منا المرة بعد المرة وإعجابه بذلك، وذكره للخاصة والعامة، وطرد الذي تولى كِبْر الفتنة من المسجد الأعظم فخمدت بذلك نار فتنته، وآضت[1] تضطرم في أحشائه.

ثم بعد هذا جاءنا الفاضل الذي حدثنا، عن الفاسي وشأن رسالته بها فقرأناها وتأملنا ما فيها فإذا هي من باب (تكلَّموا تُعْرَفوا) قد أعربت عن مدارك أصحابها، وقَدَّمنا رِجْلًا وأخرنا أخرى في الكتب عليها برهة من الدَّهر

(١) آض إلى كذا، أي صار إليه. مجمل اللغة ١/ ٨٠.



حتى ألحَّ علينا بعض الفضلاء في رقم كلمات عليها فأجبناه لذلك، وسألنا الله العون عليه راسمين في حاشية الرسالة(١) وهامشها ذلك قائلين:

قوله: (الحمد لله الذي نور قلوب العارفين بمعرفته) إلى قوله: **(وبعد)**(٢).

قد افتتحها ببراعة الاستهلال دلتْ على مقصوده، غير أنها لم تسلم من مناقشة تتضح بعد ذلك.

وقوله في وصف المولى حسن (إنه سالك سنن سلفه بالمواظبة بالتبرك) إلى آخره فيه بحثان:

الأول: من حيث العربية إذ المواظبة تتعدى إلى مفعولها بعلى لا بالباء والفاء.

الثاني: من حيث المعنى إذ المفهوم من قوله بالتبرك بقراءة حديث... الخ. أنه لا اكتراث لهم بالأحكام التي لأجلها بعث رسول الله ﷺ وتكلم لأجل بيانها، وأوصى بالتمسك بها بقوله: **«عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»**(٣) وقول الله:

(١) في الحاشية: [والرسالة المذكورة في السطر :١٢ من ص ١٦ في صفحات عدد ١ إلى عدد ٨ في أول الكتاب وهي التي رقم عليها مؤَلفُ هذا الكتاب المسمى بـ(نظر الأكياس) فراجعها إن أردتها في أول الكتاب من الصفحة الأولى إلى الصفحة الثامنة].

(٢) ذكر في الهامش: جزء من نص الرسالة التي يرد عليها. وسيأتيك جزء منها في آخر الكتاب إن شاء الله.

(٣) أخرجه من حديث العرباض أبو داود في سننه ٥/١٣-١٤ حديث ٤٦٠٧، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، والترمذي في سننه ٥/٤٤-٤٥ حديث ٢٦٧٦، كتاب العلم، باب ما =



﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]. وقد قال رسول الله ﷺ: **«ألاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟»**(١).

[١٧] والتبرك إنما هو تبع، ولا شرع إلا ما شرعه الرسول/ وإن كان هذا الرجل وأشكاله يقولون: إن الحديث قد فرغ من فهمه المجتهدون، فلم يبق لنا فيه إلا التبرك، وهذه مقالة تمجها الأسماع وتنفر منها الطباع، ويردها العقل والسماع.

أما الأول: فإن الرسول لم يبعث لخصوص المجتهدين.

وأما ثانيًا: فإن المجتهدين ليسوا بمقصورين على المشهورين.

= جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع. وابن ماجة في سننه ١/١٥-١٦ حديث ٤٢، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، وأحمد في مسنده ٢٨/٣٧٣ حديث ١٧١٤٤، والدرامي في سننه ١/٤٨ حديث (٩٥).

قال الترمذي عقب الحديث: «هذا حديث حسن صحيح». وقال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير ٤/١٩٠: «وقال البزار: هو أصح سندًا من حديث حذيفة، قال ابن عبد البر: هو كما قال».

(١) أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري ابن ماجة في سننه ٢/١٢٩٧ حديث ٣٩٣١، كتاب الفتن، باب حرمة دم المسلم وماله. وأحمد في مسنده ١٨/٢٨٥-٢٨٦ حديث ١١٧٦٢.

قال البوصيري في مصباح الزجاجة ٤/١٦٤، «إسناده صحيح رجاله ثقات». وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٢/٣٤٨ جديث ٣١٧٦.

وجاء الحديث عن ابن عباس وأبي بكرة بلفظ «هل بلغت» أخرجه البخاري في صحيحه ٢/٦١٩-٦٢٠ حديث ١٦٥٢ و ١٦٥٤، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى. ومن حديث جابر أخرجه أحمد في = مسنده ١٨/٢٨٦-٢٨٧ حديث ١١٧٦٣ و ٢٣/٢٤٠ حديث ١٤٩٩٠.

وأما ثالثًا: فإن كلام الله والرسول لا تزال معانيه وعلومه تتجدد[١].

وأما رابعًا: فإن الجزئيات التي تحتاج إلى أحكام غير منصوص عليها تستمر استمرار الأزمان.

وأما خامسًا: فإن أهل هذه المجالس حيث قدروا على الخوض في استواء الله على عرشه بالتأويل وغيره كيف لا يقدرون على التكلم في فروع هي أسهل مأخذًا وأيسر دليلًا وأخف كلفة من التكلم في أصول الدين.

وأما سادسًا: فإنا رأيناهم يفرِّعون الفروع على أصول مذاهبهم واستحساناتهم تفريعًا أشد استخراجًا من استخراج الأحكام من القرآن والسنة والملكة واحدة، فَلِمَ أرسلت في جهة وقيدت بقيود المنع في أخرى.

وأما سابعًا: فإنا رأيناهم يستدلون لفتاويهم وأنظارهم بدلائل الكتاب والسنة شأن المجتهدين.

وأما ثامنًا: فإنهم عند الحاجة يخرجون عن مذاهبهم إلى مذاهب أخرى، ولو كانت شاذة بالنسبة إلى مذهبهم، وهذا عين النظر والاجتهاد، ونفس القوة والملكة والاقتدار على التصرف، ولا دليل يصح لقطع الاجتهاد بل الصحيح عكسه لقول الرسول: **«لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي»** الحديث[٢]. وحينئذٍ لا معنى

---

(١) المعاني ثابتة. ولعل المقصود: الاستنباط، وظهور دلالات جديدة عند التأمل والتدبر، وهذه هي المتجددة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/١٥٢٣ حديث ١٩٢٠، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي»، وأبو داود في سننه ٤/٤٥٠-٤٥٢ حديث ٤٢٥٢، كتاب الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها. وأحمد في مسنده ٣٧/٧٨-٧٩ حديث ٢٢٣٩٥، و ٣٧/٨٨ حديث ٢٢٤٠٣.

لدعوى التبرك وما رتب عليه من الأجوبة إلا التنافي والدعاوي المتناقضة التي لا تقع إلا ممن لا يعقل ما يتفوه به.

وقوله: (سنن أسلافه... الخ) غير صحيح، لأن أسلافه المشهورين [المرونين][1] في العلوم والناظرين فيها حق النظر قد صرحوا بأنهم على مذهب السلف في العقائد، وأشهدوا الناس على ذلك، وحملوهم عليه حسبما دل على ذلك التاريخ، وكفى بكتاب «الاستقصاء»[2] شاهدًا عليه وهذا نصه:/ [١٨] «قال: في ترجمة السلطان سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي[3] بعد كلام «كان يحضر عنده جماعة من أعلم[4] الوقت وأئمته منهم: الفقيه العلامة المشارك أبو عبد الله محمد بن الإمام سيدي عبد الله الغربي الرباطي[5]،

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب «المرنين» يقال: رجل مَرِن: ذو مرونة؛ غير متصلب. أو تصحفت من «المعروفين».

(٢) اسم الكتاب «الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى» لأبي العباس أحمد بن خالد بن مُحمد بالضم الناصري المتوفى سنة [١٣١٥ هـ]، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف جعفر الناصري، والاستاذ محمد الناصري، طبع دار الكتاب الدار البيضاء عام ١٩٥٤.

(٣) من سلاطين المغرب الأقصى، ولد سنة ١١٣٤هـ، بويع بعد وفاة أبيه عام ١١٧١هـ، وكان مولعًا بالجهاد في البحر، فاتخذ قراصين حربية، وجمع العلماء والفقهاء، وألف تآليف بإعانتهم، منها: الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية، ومسانيد الأئمة الأربعة، توفي سنة ١٢٠٤. معجم المؤلفين ١٠/ ٢٠٠-٢٠١، والأعلام ٧/١١٩-١٢٠. والاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ٨/ ٦٥.

(٤) كذا في الأصل وفي الاستقصاء ٨/ ٥٤ «أعلام».

(٥) وكذا هو في الاستقصاء ٨/ ٥٤، ولم أقف له على ترجمة.



والفقيه العلامة المحقق أبو عبد الله سيدي محمد المير السلاوي[(١)]، والفقيه الدَّرَّاكة أبو عبد الله محمد الكامل الرشيدي[(٢)]، والفقيه سيدي أبو زيد عبد الرحمن المدعو بأبي أخريص[(٣)]، هؤلاء أهل مجالسه الذين كانوا يسردون له كتب الحديث، ويخوضون في معانيها، ويؤلفون له ما يستخرجونه منها على مقتضى إشارته، وكانت له عناية كبيرة بذلك، وجلب من بلاد المشرق كتبًا نفيسة من كتب الحديث لم تكن بالمغرب، مثل: «مسند الإمام أحمد» و«مسند أبي حنيفة» وغيرهما، وألَّف رَحِمَهُ اللَّهُ في الحديث تأليفًا بإعانة الفقهاء الذين ذكرناهم آنفًا، منها: كتاب «مساند الأئمة الأربعة»[(٤)]. إلى أن قال: «وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ ينهى عن قراءة كتب التوحيد المؤسسة على القواعد الكلامية المحررة على مذهب الأشعرية، وكان يحض الناس على مذهب السلف من الاكتفاء بالاعتقاد المأخوذ من ظاهر الكتاب

---

(١) كان يدرس الحديث. وقال في الاستقصاء: كان من أهل المشاركة والتحقيق والخط الحسن، اختلف في وفاته فقيل توفي سنة ١٢١٤هـ. وقيل سنة ١٢٢٠. الاستقصاء ١٠٧/٨. وشجرة النور الزكية ٣٧٦/١.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) هكذا جاء الاسم في الاستقصاء أيضًا وذكر صاحب شجرة النور الزكية ٣٧١/١ في ترجمة سلطان المغرب محمد بن عبد الله سلطان المغرب وكان من أهل مجلسه أبو محمد عبد القادر بو خريص. وترجم له فقال: أبو محمد عبد القادر بن العربي بو خريص الفاسي العلامة الفقيه المشارك الفاضل القدوة القاضي العادل، ولد سنة ١١١٨هـ وتوفي سنة ١١٨٨هـ شجرة النور ٣٧١/١.

(٤) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ٦٦/٨.



والسنة بلا تأويل، وكان يقول عن نفسه حسبما صرح به في آخر كتابه الموضوع في «الأحاديث المخرجة عن الأئمة الأربعة»: إنه مالكي مذهبًا وحنبلي اعتقادًا[1]، يعني أنه لا يرى الخوض في علم الكلام على طريقة المتأخرين، وله في ذلك أخبار ومجاريات»[2].

وقال أيضًا في ترجمة ابنه أبي الربيع السلطان مولانا سليمان[3]: «ويجمع أعيان العلماء لسرد الحديث الشريف وتفهمه والمذاكرة فيه على مَرِّ الليالي والأيام، ويتأكد ذلك عنده في رمضان، ويشاركهم في غزارة علمه وحسن ملكته ويتناول راية السبق في فهم المسائل التي يعجز عنها غيره فيصيب الفصلَ».

وقال في توجيه السلطان مولانا سليمان ابنه المولى إبراهيم[4] إلى الحجاز

---

(١) يعني على العقيدة التي كان عليها الإمام أحمد رحمه الله، وهي عقيدة السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم من الصحابة والتابعين وأتباعهم، والأئمة المتبوعين من بعدهم، وهذه عقيدة جماهير المسلمين قديما وحديثا، وليست خاصة بالحنابلة، وإنما نسبت للإمام أحمد لموقفه المشرف والشجاع الذي وقفه أمام محنة خلق القرآن الكريم؛ ولذلك أطلق عليه إمام أهل السنة، وأعلن بعض الأئمة على أنهم على ما كان عليه الإمام أحمد من الاعتقاد، كأبي الحسن الأشعري وغيره.

(٢) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ٨/٦٨.

(٣) ابن محمد بن عبد الله بن إسماعيل، أبو الربيع، الشريف العلوي، من سلاطين دولة الأشراف العلويين في مراكش، بويع بفاس سنة ١٢٠٦هـ، بعد وفاة أخيه المولى يزيد، كان عاقلًا باسلًا، محبًا للعلم، قال الكتاني: كان من نوادر ملوك البيت العلوي في الإشتغال بالعلم وإيثار أهله بالاعتبار، توفي سنة ١٢٣٨هـ الأعلام للزركلي ٣/١٩٧-١٩٨.

(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن السلطان المولى سليمان بعثه والده أميرًا على حجاج المغرب سنة ١٢٢٦هـ وهو الذي قابل ابن سعود، وتوفي متأثرًا بجروح أصيب بها في رأسه في حربهم =

ومعه من جملة الفقهاء القاضي أبو إسحاق إبراهيم الزُّداغي(1) فكان من جملة / ما قال ابن سعود(2) لهم: «إن الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية، [١٩] فأي شيء رأيتمونا خالفنا من السنة، وأي شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا؟ فقال له القاضي: بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوي، فقال لهم: معاذ الله إننا نقول كما قال مالك: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة»(3) فهل في هذا من مخالفة؟قالوا: لا،

= مع البربر، سنة ١٢٣٤هـ. الاستقصاء ٨/١٣٦.

(1) الفقيه القاضي أبو إسحاق إبراهيم الزُّداغي كان المتحدث باسم الوفد الذي قابل ابن سعود في حج عام ١٢٢٦هـ. كما ذكر صاحب الاستقصاء ٨/١٢١، ولم أقف له على ترجمة.

(2) هو عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد، تولى الحكم بعد وفاة والده سعود الكبير عام ١٢٢٩هـ -١٨١٤م وكان متحليًا بالأخلاق الفاضلة والسيرة الحسنة، وكان متلزمًا بإقامة الشرائع، قتل بتركيا عام ١٢٣٤هـ -١٨١٩م. الموسوعة العربية ١٦/٨١-٨٢. والاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ٨/١٢١.

(3) رواه عن مالك البيهقي في الأسماء والصفات ٢/٣٠٤-٣٠٦حديث ٨٦٦-٨٦٨، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٣/٣٩٨، والدارمي في الرد على الجهمية ص ٧٨-٧٩رقم ٤٣. وابن أبي زيد في النوادر والزيادات ١٤/٥٥٢ وفي كتاب الجامع ص ١٢٣ وأبو نعيم في الحلية ٦/٣٢٥-٣٢٦، وذكره الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول ص ١٣٢-١٣٣، والذهبي في كتابه العلو ٢/٩٥٤رقم ٣٤٤، وفي السير ٨/١٠٠ و ١٠١ و ١٠٦و ١٠٧، وفي الأربعين في صفات رب العالمين ص ٣٨-٣٩ رقم ٨، وابن عبد البر في التمهيد ٧/١٣٨و ١٥١ والبغوي في شرح السنة ١/١٧١ وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٤١.

قال الذهبي في العلو عقب قول مالك: «هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك وهو قول أهل السنة قاطبة». وقال ابن حجر في فتح الباري: ١٣/٤٠٦-٤٠٧، =

وبمثل هذا نقول نحن أيضًا (هـ)[1].

فانظر هل يفهم من هذا أنهم كانوا يقرؤون الأحاديث لمجرد التبرُّك، أو لأخذ الأحكام منها والتفقه فيها؟ كما أنك تعلم بهذا أن ما كان عليه سلف السلطان أبي علي المولى حسن توحيد السلف، وأن الله مستوٍ على عرشه بذاته. كما يدل عليه حمله للصفة الإلهية على ظاهرها بغير تشبيه ولا تأويل.

وقوله: «وحنبلي اعتقادًا» إذ ما ذكرنا هو اعتقاد الحنابلة، وستأتيك نصوصهم وكذا علماؤهم على مذهبهم كما ينبئ عنه ما تقدَّم.

وقول قاضيهم الزُّداغي لابن سعود ومن معه من علماء المغرب (وبمثل هذا نقول نحن أيضًا) والمنفي عندهم الاستواء الذاتي المستلزم للجسمية، وهو منتفٍ بنفي الكيف.

وأبناء هذين السلطانين لا يخرجون عن سيرتهما إلا بالصراحة وأين هي، والمولى الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله المذكور؟ ولو كانوا يقرءون الحديث لمجرد التبرك ما أعطوا النظر حقه والتأمل حظه حتى انكشفت لهم الحقائق فرفضوا مذهب التأويل، وعانقوا مذهب السلف، فليت شعري بأي كتاب أم بأي سنة رأى أهل هذه الرسالة بطلان مذهب سلف الإمام المولى الحسن الذي تمسك به خصمهم وزعموا أن

= «أخرجه البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب عن مالك».

(١) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ٨/١٢١. وانظر التمهيد لابن عبد البر ٧/١٣٨، نحوه.

الإمام معهم على فكرتهم.

ولعل الدليل على ذلك ما وسخوا به ورقات الرسالة وستحيط بما فيه خبرًا.

وقوله: (وأظهر بعض الحاضرين) [إلى آخر][1] قوله.

فأقول: يعني ببعض الحاضرين العلامة الشيخ عبد الله السنوسي ساكن طنجة/ وقت المدعو من قِبَل السلطان لحضور مجالس الحديث المذكور آنفًا [٢٠] بالمقدمة. وكان رَحِمَهُ اللَّهُ سلفي المذهب، فلم يتفق له القول مع الجهمية[2]، وقد ذكره صاحب الرسالة بأوصاف ذميمة من فساد الاعتقاد والابتداع والفسق والضلال مما يغني بعضه عن بعضٍ ولا فائدة لتكراره إلا الحشو، إذ فساد الاعتقاد يغني عنها كلها على أن ما جعله غاية عنده هو نفس المغير[3] ولم يذكر سبب فساد اعتقاده وابتداعه وتضليله هنا وذكره بعد بقوله: «ولا يخفى على سيادة سيدنا أن هذا المبتدع الضال.. » إلى قوله: «من لم يعتقد أن الله فوق السموات فهو كافر» وكان حقه أن يذكر هنا، ولكن الرجل لا يدري كيف

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) الجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان سموا بذلك نسبة إليه، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، وقد قتله سلم بن أحوز المازني سنة ١٢٧هـ، ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزليه، وزاد عليهم بأشياء مثل فناء الجنة والنار، وأن الإيمان هو المعرفة فقط، والكفر هو الجهل بالله فقط. الملل والنحل ١/٩٧-٩٩، ومقالات الإسلاميين ١/١٣٢. والتعريفات للجرجاني ص ٥٨.

(٣) كذا في الأصل. ولعلها «المغيا».

يكتب كما لا يدري ما يقول، وعند ذكر السبب إن شاء الله يذكر الجواب ويعلم راكب الفرس من راكب الحمار، ومطموس البصيرة من مفتوحها.

وقوله: (مقتصرًا لما يجب) فيه ما في المواظبة المتقدمة من أنه لا يتعدى باللام وإنما يتعدى بعلى.

وقوله: (فتزل به قدم كل مبتدع الخ) يقال عليه إذا كان مبتدعًا جاهلًا فزلت قدمه من تحصيل الحاصل.

وقوله: (قال في «الرسالة» الخ)، يعني بالرسالة رسالة ابن أبي زيد[1].

وقوله: (عطفًا) أصل العبارة وأحسنها عاطفًا باسم الفاعل، ودعوى المجاز في المصدر نادر ولا ضرورة لارتكابه.

وقوله: (وقال شراحها: وفوقيته تعالى على عرشه...) إلى قوله: **(معنى القهر)**، يقال عليه:

أولًا: هذا خلاف للمصنف لا شرح له وردٌّ من أبي الحسن[2] لكلام

(١) عبد الله بن أبي زيد بن عبد الرحمن النفزي، أبو محمد القيرواني، إمام المالكية في وقته، كان واسع العلم كثير الحفظ، توفي سنة ٣٨٦، وسنه ٧٦ سنة بالقيروان، له مؤلفات كثيرة منها: النوادر والزيادات على المدونة، ومختصر المدونة، والرسالة وغيرها. ترتيب المدارك ٤/ ٤٩٢-٤٩٧، والديباج المذهب ١/ ٤٢٧-٤٣٠، وشجرة النور الزكية ١/ ٩٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٠-١٣.

(٢) هو علي بن محمد بن محمد بن محمد ثلاثًا بن يخلف المنوفي المصري، نور الدين المعروف بالشاذلي نسبة إلى الطريقة، الإمام الجليل الفقيه، له تصانيف في الفقه وغيره، «كعمدة السالك على مذهب مالك» وستة شروح على الرسالة منها: «كفاية الطالب الرباني لرسالة =

الشيخ(١) إلى ما اعتقدَهُ ونشأ عليه من مذهب الجهمية، وإلا فالشيخ سابق عليه في الزمان، وفي الفضل والعلم، وفي معرفة لسان العرب، وفي الفرق بين المجاز والحقيقة، وفي معرفة مذاهب أهل الكلام، وفي ما جاء عن السلف فيه، ويعرف/ أن يعبر بالفوقية المعنية، ولا يجهل حكم التصريح بالذاتِ، فإما أن يُسَلِّم هذا فيثبت ما قلناه من الخلاف لكلام المصنف، وإما أن لا يُسَلِّم ويُجهل الشيخ فيما قلناه، ولا أجهل ممن جهل أقرانه. [٢١]

ويؤيد ظاهر كلام الشيخ الكتاب والسنة وقول سلف الأئمة.

وثانيًا: إن شراح الرسالة لم يتفقوا على ما حكيتم عن أبي الحسن، بل قال أبو بكر محمد بن موهب المالكي(٢): في «شرح رسالة ابن أبي زيد» قوله: «إنه فوق عرشه المجيد بذاته» معنى فوق وعلا، عند جميع العرب واحد.

وفي كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ تصديق ذلك، ثم ذكر النصوص من الكتاب والسنة، واحتج بحديث الجارية(٣) وقول النبي ﷺ لها:

= ابن أبي زيد القيرواني» ولد في رمضان سنة ٨٥٧هـ وتوفي في صفر سنة ٩٣٩هـ. شجرة النور ١/ ٢٧٢، ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٣٠

(١) المراد بالشيخ عبد الله بن أبي زيد القيرواني.

(٢) التجيبي الحصار، المعروف بالمقبري من أهل قرطبة، سمع بالقيروان من ابن أبي زيد، له تصانيف كثيرة مفيدة منها: شرحه لرسالة شيخه أبي محمد، توفي بقرطبة سنة ٤٠٦هـ. ترتيب المدارك للقاضي عباض ٤/ ٦٧٤-٦٧٦، وجذوة المقتبس ص ٨٥ ترجمة رقم ١٤٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٨١-٣٨٢حديث ٥٣٧، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة. وأبو داود في سننه ٣/ ٥٨٧-٥٨٨حديث ٣٢٨٢، كتاب الأيمان =

«أين الله؟» وقولها: «في السماء»، وحكمه بإيمانها.

وذكر حديث الإسراء[1] ثم قال: وهذا قول مالك فيما فهمه عن جماعة ممن أدرك من التابعين فيما فهموا من الصحابة، فيما فهموا عن نبيهم ﷺ أن الله في السماء بمعنى فوقها وعليها[2].

قال الشيخ أبو محمد[3]: «إنه بذاته فوق عرشه المجيد»، فبيَّن أن علوه على عرشه وفوقه إنما هو بذاته، إلا أنه بائن من جميع خلقه بلا كيف، وهو في كل مكان من الأمكنة المخلوقة بعلمه لا بذاته، إذ لا تحويه الأماكن؛لأنه أعظم منها، . إلى أن قال .:

وقوله: (على العرش استوى) إنما معناه عند أهل السنة على غير معنى

= والنذور، باب في الرقبة المؤمنة. والنسائي في سننه الكبرى ١/٣٦٢حديث ١١٤١، كتاب صفة الصلاة، باب الكلام في الصلاة. والدارمي في الرد على الجهمية ص ٦٢-٦٣رقم ١٢، ١١، ١٠. ويأتي مكررًا في ص ١٦٨.

(١) حديث الإسراء مروي عن عدد من الصحابة: أخرجه من حديث أنس: البخاري في صحيحه ١/١٣٥-١٣٦حديث ٣٤٢، ، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء؟. ومسلم في صحيحه ١/١٤٨حديث ٢٦٢و ٢٦٣، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات، وفرض الصلوات. وابن خزيمة في التوحيد ص ١٣٩وغيرهما.

وجمع روايات هذا الحديث بعض العلماء منهم: الجلال السيوطي في كتابه «الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء».

(٢) في مختصر الصواعق ٣/٩٠٨، واجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٨٨.

(٣) هو عبد الله بن أبي زيد بن عبد الرحمن النفزي القيرواني، تقدمت ترجمته في ص (٥٦).



الاستيلاء والقهر والغلبة والملك، الذي ظنت المعتزلة(١)، ومن قال بقولهم: إنه معنى الاستواء، وبعضهم يقول: إنه على المجاز لا على الحقيقة(٢). قال: «ويبين سوء تأويلهم في استوائه على عرشه على غير ما تأولوه من الاستيلاء وغيره ما قد علمه أهل المعقول أنه لم يزل مستوليًا على جميع مخلوقاته بعد اختراعه لها، وكان العرش وغيره في ذلك سواء، ولا معنى لتأويلهم بإفراد العرش/ بالاستواء الذي هو في تأويلهم الفاسد استيلاء، وملك وقهر وغلبة». [٢٢]

قال: «وذلك أيضًا يبين أنه على الحقيقة بقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ١٢٢﴾ [النساء: ١٢٢]. فلما رأى [المنصفون](٣) إفراد ذكره بالاستواء على العرش بعد خلق السموات والأرض وتخصيصه بصفة الاستواء علموا أن الاستواء غير الاستيلاء، فأقروا بوصفه بالاستواء على عرشه وأنه على الحقيقة لا على المجاز، لأنه الصادق في قيله، ووقفوا عن تكييف ذلك وتمثيله إذ

(١) المعتزلة: اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجًا عقليًا متطرفًا في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، بسبب سؤال أثير في مجلس الحسن، أجاب فيه واصل قبل أن يجيب شيخه، ثم قام واعتزل المجلس. مقالات الإسلاميين ص ١١١ والملل والنحل ص ٤٧-٤٨، والتعريفات للجرجاني ص ١٥٣.

(٢) وهذا قول الجهمية، قال في مختصر الصواعق ٣/٨٨٨، «وممن قال بذلك الجهمية ومن وافقهم، فإنهم قالوا: هو مجاز ثم اختلفوا في ذلك».

(٣) في الأصل: «المصبقون» وفي اجتماع الجيوش الإسلامية «المصنفون» وخطأ محقق كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٨٩ ذلك وقال الصحيح: «المنصفون».



﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١]»[١].

وهذا الشرح المؤيد بالكتاب والسنة أولى بالتقديم من شرح أبي الحسن المعقد الخالي عن الدَّليل، إلا دليل الفكر والوهم.

وثالثًا: يقال: لِمَ قدمتم ما دلَّ عليه كلام أبي الحسن على ما دل عليه كلام الشيخ وابن موهب[٢]، وقد صرح ابن أبي زيد في «الرسالة»[٣] و«النوادر»[٤] و«كتاب الأدب»[٥]، بأن الله مستوٍ على عرشه بذاته[٦] والله يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. وكلام الشيخ يشهد له الكتاب والسنة كما سيأتي.

---

(١) من قوله: قال أبو بكر بن موهب... إلى هنا نقله من مختصر الصواعق ٣/٩٠٦-٩٠٩. واجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٧٨-١٨٩.

(٢) تقدم من يعني بالشيخ وكلام ابن موهب في ص(٥٧).

(٣) يعني «الرسالة الفقهيه المشهورة، وقد بلغت شروحها أكثر من ثلاثين شرحًا، وعدها القرافي في الذخيرة ١/٣٦ من جملة خمسة كتب عكف عليها المالكيون شرقًا وغربًا».

(٤) هو كتاب «النوادر والزيادات على ما في المدونة وغيرها من الأمهات» المطبوع بتحقيق الدكتور محمد حجي في خمسة عشر مجلدًا، ولم أهتد في كتاب «النوادر» إلى مكان النص المذكور، وذكر في جزء ١٤/٥٥٢-٥٥٣. سؤال الإمام مالك عن الاستواء.

(٥) هو كتاب «الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ وغير ذلك» مطبوع في مجلد واحد، وجاء فيه في ص ١٠٨ «وأنه فوق سمواته على عرشه دون أرضه، وأنه في كل مكان بعلمه، وأن لله سبحانه وتعالى كرسيًا كما قال عز وجل: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ [البقرة: ٢٥٥]».

(٦) انظر مختصر الصواعق (٣/٩٠٢-٩٠٤).

ورابعًا: **قولكم: (فوقية استيلاء وملك وقهر وغلبة... الخ).** ، لا يُدرى ما مستندكم في هذا التفسير، إذ لم ينقل عن الله، ولا عن رسوله، ولا عن سلف الأئمة، وإنما نقل عن الجهمية والمعطلة، وكأني بكم تقولون: قد تلقاه العلماء منهم بالقبول.

فيقال لكم: إذا قبله تلامذة الجهمية لم يقبله علماء السلف، ولا محققو علماء الخلف.

قال الإمام ابن القيم: «مما ادعى المعطلة مجاز الفوقية وقد ورد في القرآن[1] مطلقًا بدون حرفٍ ومقترنًا بحرف.

فالأول كقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ**﴾ [الأنعام: ١٨، ٦١]. في موضعين.

والثاني: كقوله: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ** ۝٥٠﴾ [النحل: ٥٠].

وفي حديث الأوعال[2] لما ذكر السموات السبع، وذكر البحر الذي فوقها، والعرش فوق ذلك كله[3]، «**وَاللَّهُ فَوْقَ ذَلِكَ لاَ تَخْفَى عَلَيْهِ**

---

(١) في مختصر الصواعق ٣/ ١٠٦٠ «وقد ورد به القرآن والسنة».

(٢) الأوعال: جمع وَعِل بفتح الواو وضمها مع كسر العين، وأصله تيس الجبل، وأراد بهم الأشراف والرؤساء من الملائكة، أي ملائكة على صورة الأوْعَال. النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٠٧. وتاج العروس ١٥/ ٧٨١مادة وعل. والحديث يأتي لفظه أيضًا في ص (١٠٩).

(٣) كلمة «كله» زيادة عما في مختصر الصواعق (٣/ ١٠٦٠).

أَعْمَالُكُمْ»[1].

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٢٩٢-٢٩٣ حديث ١٧٧٠، وأبو يعلى في مسنده ١٢/ ٧٥-٧٦ حديث ٦٧١٣، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥٠١، كلهم من طريق عبد الرزاق، أخبرنا يحيى بن العلاء، عن خاله شعيب بن خالد، حدثني سماك بن حرب، عن عبد الله بن عميرة، عن عباس بن عبد المطلب مرفوعًا.
وأخرجه أبو داود في سننه ٥/ ٩٣-٩٤ حديث ٤٧٢٣ و ٤٧٢٤، كتاب السنة، باب في الجهمية. والترمذي في سننه ٥/ ٤٢٤-٤٢٥ حديث ٣٣٢٠، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحاقة. وأحمد في مسنده ٣/ ٢٩٤ حديث ١٧٧١، وابن خزيمة في التوحيد ص ١٠١-١٠٢، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٣/ ٣٨٩-٣٩١ حديث ٦٤٩ و ٦٥٠ و ٦٥١. وابن أبي عاصم في السنة ١/ ٢٥٣-٢٥٤ حديث ٥٧٧، والآجري في الشريعة ٣/ ١٠٨٧-١٠٩٠، حديث ٦٦٣- ٦٦٥. والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٢٨٥-٢٨٦ حديث ٨٤٧، و ٢/ ٣١٦-٣١٧ حديث ٨٨٢. والدارمي في الرد على الجهمية ص ٦٦-٦٧ رقم ١٧، والذهبي في العلو ١/ ٥٠١-٥٠٢ حديث ٩٨، من طرق عن سماك بن حرب، عن عبد الله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس مرفوعًا.
وأخرج قصة الأوعال الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٠٠. وأبو يعلى في مسنده ١٢/ ٧٤ حديث ٦٧١٢، كلاهما من طريق شريك، عن سماك، به موقوفًا.
وإسناده ضعيف، فيه ثلاث علل:
الأولى: عبد الله بن عميرة أورده البخاري في التاريخ الكبير، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا، وقال الذهبي: فيه جهالة. وقال إبراهيم الحربي: لا أعرفه. وقال ابن حجر: كوفي مقبول. التاريخ الكبير ٥/ ١٥٩، والجرح ٥/ ١٢٤، والميزان ٢/ ٤٦٩، والتهذيب ٥/ ٣٤٤، والتقريب ص ٣١٦.
الثانية: الانقطاع، قال البخاري في التاريخ الكبير ٥/ ١٥٩: «الأحنف لم يسمع من العباس».
الثالثة: الاختلاف فيه عن سماك. قال البخاري في التاريخ الكبير ٥/ ١٥٩، قال شريك مرة =

وحقيقة الفوقية: علو ذات الشيء على غيره، فادَّعى الجهميُّ أنها مجاز في فوقية/ الرتبة والقهر، كما يقال: الذهب فوق الفضة، والأمير فوق نائبه، وهذا [٢٣] وإن كان ثابتًا للرب تعالى، لكن إنكار حقيقة فوقيته سبحانه وحملها على المجاز باطل من وجوه عديدة:

أحدها: أن الأصل الحقيقة، والمجاز على خلاف الأصل.

الثاني: الظاهر خلاف ذلك.

الثالث: أن هذا الاستعمال المجازيَّ لابد فيه من قرينة تخرجه عن حقيقته، فأين القرينة في فوقية الرب تعالى؟.

الرابع: أن القائل إذا قال: الذهب فوق الفضة قد أحال المخاطب على ما يفهم من هذا السياق، والمعتاد بأمرين عُهِد تساويهما في المكان وتفاوتهما في المكانة، فانصرف الخطاب إلى ما يعرفه السامع ولا يلتبس عليه، فهل لأحد من

= عن سماك، عن عبد الله بن عمارة وهو وهم. وقال أبو نعيم: عن إسرائيل، عن سماك، عن عبد الله بن عميرة أو عمير والأول أصح، وروى محمد بن عبد الله الأسدي، عن إسرائيل، عن سماك، عن عبد الله بن عميرة، عن زوج درة بنت أبي لهب.

والحديث اختلف العلماء في تحسينه وتضعيفه فقال الترمذي: «حسن غريب». وصححه الحاكم، وابن تيمية في مجموع الفتاوى ٣/ ١٩١-١٩٢، وقال ابن القيم في مختصر الصواعق ٣/ ١٠٦٤ «رواه أبو داود بإسناد جيد»، وقال في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٠١ و ١٦٢، «هذا حديث حسن صحيح أخرجه أبو داود».

وضعفه الذهبي في العلو ص ١/ ٥٠٢ وأحمد شاكر في تعليقه على مسند الإمام أحمد ٣/ ٢٠٢-٢٠٥ حديث ١٧٧٠، والألباني في السلسلة الضعيفة ٣/ ٣٩٨-٤٠٢ حديث ١٢٤٧. وسيأتي التخريج من طريق ابن مسعود وتخريجه هناك ص٢٤٩.

أهل الإسلام وغيرهم عهد بمثل ذلك في فوقية الرب تعالى حتى ينصرف فهم السامع إليها؟

الخامس: أن العهد والفطر والعقول والشرائع وجميع كتب الله المنزلة على خلاف ذلك، وأنه سبحانه فوق العالم بذاته، فالخطاب بفوقيته ينصرف إلى ما استقر في الفطر والعقول والكتب السماوية.

السادس: أن هذا المجاز لو صرَّح به في حق الله كان قبيحًا، فإن ذلك إنما يقال في المتقاربيْن في المنزلة، وأحدهما أفضل من الآخر، وأما إذا لم يتقاربا بوجه فإنه لا يصح فيهما ذلك، وإذا كان يَقْبُحُ كل القبح أن تقول: الجوهر فوق قشر البصل، وإذا قلت ذلك ضَحِكَتْ[1] منك العقلاء للتفاوت العظيم الذي بينهما، فالتفاوت الذي بين الخالق والمخلوق أعظم وأعظم، وفي مثل هذا قيل شعرًا:

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل إن السيف أمضى من العصا[2]

السابع: أن الرب سبحانه لم يتمدح في كتابه وعلى لسان رسوله بأنه أفضل من العرش، وأن رتبته فوق رتبة العرش، وأنه خير من السموات والعرش والكرسي، وحيث ورد ذلك في الكتاب، فإنما هو في سياق الرد على من عبد معه غيره،/ وأشرك في ألوهيته، فبين أنه سبحانه خير من تلك الآلهة [٢٤]

(١) في مختصر الصواعق ٣/ ١٠٦٢، أضحكت.

(٢) ذكر هذا البيت الثعالبي في يتيمة الدهر ٥/ ٢٩٩ وعزاه إلى أبي درهم البَنْدنيجي ولفظه.

ألم تر أن السيف يزري به الفتى ... إذا قال هذا السيف أمضى من العصا

كقوله: ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا تشركون ﴿٥٩﴾﴾[1] [النمل: ٥٩]. وقوله: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف: ٣٩]. وقول السحرة: ﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ [طه: ٧٣]. ولكن أين في القرآن مدحُ نفسه وثناؤه على نفسه بأنه أفضل من السموات والعرش والكرسي ابتداء، ولا يصح إلحاق هذا بذلك، إذ يحسن في الاحتجاج على المنكر وإلزامه من الخطاب الداحض لحجته ما لا يحسن في سياق غيره، ولا ينكر هذا إلا غبي.

الثامن: أن هذا المجاز وإن احتمل في قوله ﴿وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأعراف: ١٢٧]. فذلك لأنه قد علم أنهم [جميعا][2] مستقرون على الأرض، فهي فوقية قهر وغلبة، لم يلزم مثله في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٨، ٦١]. إذ قد عُلم بالضرورة أنه وعباده ليسوا مستوين في مكان واحد حتى تكون فوقية قهر وغلبة.

التاسع: هب أن هذا محتمل في مثل قوله: ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: ٧٦]. لدلالة السياق والقرائن المقترنة باللفظ على فوقية الرتبة، ولكن هذا يأتي مجردًا عن «من» ولا يستعمل مقرونًا بمِن، فلا يعرف في اللغة البتة الذهب من فوق الفضة، ولا العالم من فوق الجاهل، وقد جاءت فوقية الرب مقرونة بمِنْ كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠]. فهذا

(١) هذه قراءة الجمهور. وقرأه أبو عمرو وعاصم ويعقوب بياء الغيبة.

(٢) في الأصل: «جميع».

صريح في فوقية الذات، ولا يصح حمله على فوقية الرتبة لعدم استعمال أهل اللغة له)[1]، وقد زاده بيانًا ما يأتي بعد إن شاء الله.

على أنه يقال لكم: لِمَ أُهمل هذا التفسير من الله ورسوله وأصحابه والتابعين، وَرُدَّ الأمر فيه إلى جهم وأصحابه؟ وما وكل الله البيان لأحدٍ، إلا الرسول، وتسألون عن تأويلاتكم هذه، آلله ورسوله قادران[2] على التكلم

(١) إلى هنا المنقول من مختصر الصواعق ٣/١٠٦٠-١٠٦٤. بتصرف قليل.

(٢) ورد النهي عن الجمع بين اسم الله تعالى واسم رسوله ﷺ في ضمير التثنية؛ لما يوهم من التسوية، ومن تمام حماية النبي ﷺ جناب التوحيد، كما في حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلا خطب عند النبي ﷺ فقال: «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى» فقال رسول الله ﷺ: [بئس الخطيب أنت. قل: ومن يعص الله ورسوله...] الحديث أخرجه مسلم ٧٨٠ في الجمعة باب تخفيف الصلاة. وأبوداود (١٠٩٩) في الجمعة أيضا. لكن ثبت الجمع أيضا عن النبي ﷺ كما في الحديث المخرج في الصحيحين: [ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما] صحيح البخاري .(١٦) كتاب بدء الوحي، باب حلاوة الإيمان (١ / ١٠). صحيح مسلم .١٧٤ باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (١ / ٤٨).

وأجاب العلماء عن ذلك بعدة أجوبة، من أحسنها مايلي:.

الأول: أنه ثنى الضمير هنا إيماء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة، فإنها وحدها لاغية.. وأمر بالإفراد في حديث الخطيب إشعارا بأن كل واحد من العصيانين مستقل بإلزام الغواية.

الثاني: حمل حديث الخطيب على الأدب والأولى، والثاني على الجواز.

الثالث: أن هذا ورد على الأصل، وحديث الخطيب ناقل فيكون أرجح.

ينظر: مشكل الآثار (١/٤)، فتح الباري (١/٧٩)، زاد المعاد (١/٤٧)، معجم المناهي اللفظية (ص ٣١٥).



بها والإفصاح عنها والتصريح بألفاظها أم عاجزان؟ إن قلتم بالثاني كفرتم، ولا تقولون به أبدًا، وإن أقررتم بالأول سئلتم عن ترك الله ورسوله لذلك البيان الذي هو الحق عندكم وسواه باطل وضلال، الذي هو لفظ الكتاب والسنة، / كما قال مشارككم في هذا المذهب: «إن كثيرًا من ظواهر الكتاب [٢٥] والسنة كفر»(١). وقد قلتم: إن ما دَلَّ عليه ظاهرهما مستحيل، واعتقاده محال وضلال أيضًا، وهو من نمط ما قبله، فإما أن يكون جوابكم إنهما قادران وفعلا ذلك قصدًا فيلزم عليه التعمية على الخلق والغش لهم من الشارع حيث أمرهم بالحق ولبَّس عليهم بألفاظ دالة على ما سواه من الباطل ودعاهم إلى ذلك في كتابه وعلى لسان رسوله!

وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧]. وقال رسول الله ﷺ «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»(٢). وقال: «هَلْ بَلَّغْتُ؟»(٣). وشهد الله له بالتبليغ وبإكمال الدين. وقال: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ٥٤﴾ [الذاريات: ٥٤]. وقال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣].

فأي تبليغ وأي إكمال وأي معنى لدين ودعاء لأمر يكفر القائل به ويُجهَّل

---

(١) شرح الكبرى للسنوسي، ص ٥٠٢

(٢) تقدم تخريجه في ص ٤٧.

(٣) تقدم تخريجه في ص ٤٨.



المستمسك به فإنا لله وإنا إليه راجعون من هذه الطوام[(١)] التي سلطت على أذهان الخلق وهم لا يشعرون.

وإن كان جوابكم إن البيان تُرِكَ لمثل جهم وأصحابه لكان ذلك [كذبًا][(٢)] وعنادًا للكتاب والسنة وإجماع الأمة في أن المُبَيِّن لما عساه يخفى هو الرسول لا غير بشهادة ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ[(٣)] ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]. ولو وكل البيان لأحدٍ لكان الصحابة أولى بذلك.

وتُسألون عن سبب فراركم عن حمل الاستواء على حقيقته مع نفي الكيف ولوازم الجسمية إلى تأويلكم بالقهر والغلبة فيكون جوابكم: تنزيه الله عن صفة الأجسام، فيجاب: جوابكم بأن نفي الكيف والتشبيه يدفع ما خفتم وتوهمتم، وما فررتُم منه وقعتم فيه، إذ الاستيلاء والقهر والغلبة من أوصاف الأجسام، وبأن الاستيلاء وما معه لا يوصف به إلا من كان يحارب ويغالب غيره فيغلبه ويستولي[(٤)] عليه.

قال في الصواعق[(٥)]: «مزايلًا ومفارقًا» لأن الاستيلاء يكون مع مزايلة المستولي للمستولى عليه ومفارقته، كما يقال: استولى عثمان بن عفان على

(١) الطوام: جمع طامة، يقال: طَمّ الشيء إذا عظم وكثر. النهاية في غريب الحديث ٣/١٣٩.

(٢) في الأصل: «كاذبا».

(٣) في الأصل الآية مكتوبة خطأ هكذا ﴿وأنزلنا إليك﴾.

(٤) في الأصل: «واستولى»

(٥) مختصر الصواعق ٣/ ٩٣٠-٩٣٢.

خراسان[١]، واستولى عبد الملك بن مروان[٢] على بلاد المغرب. واستولى الجواد/ على الأمد[٣]، قال الشاعر[٤]: [٢٦]

ألا لمثلك أَوْمَنْ أنت سابقه ... سبق الجواد، إذا استولى على الأمد[٥]

فجعله مستوليًا عليه بعد مفارقته له وقطع مسافاته[٦]، والاستواء لا يكون إلا مع مجاورة الشيء الذي يستوِي عليه كما ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ (٤٤)﴾[٧] [هود:

---

(١) خراسان: إقليم واسع وممتد فتحه عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ سنة ٣١هـ يقع حاليًا في الشرق والشمال الشرقي لإيران، وخراسان تسمية قديمة كانت تشمل بلادًا واسعة منها: نيسابور، وهرلة ومرو وبلخ وبخارى، تاريخ الطبري ٤/ ٣٠٠، والمنتظم لابن الجوزي ٣/ ١١٩٤، الموسوعة العربية ١٠/ ٣٠.

(٢) ابن الحكم بن أبي العاص الأموي، أبو الوليد، المدني ثم الدمشقي انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥ هـ، وهو أول من صك الدنانير في الاسلام مات سنة ٨٦هـ. التقريب ص ٣٦٥، والأعلام للزركلي - (٤ / ١٦٥).

(٣) أمد الخيل في الرهان: مدافعها في السباق ومنتهى غاياتها الذي تسبق إليه. لسان العرب ٣/ ٧٤، مادة أمد.

(٤) هوالنابعة الذبياني، واسمه زياد بن معاوية، وقيل زياد بن عمرو بن معاوية بن ضباب، أبو ثمامة وأبو أمامة، شاعر جاهلي لم يدرك الإسلام. طبقات فحول الشعراء ١/ ٥١، والشعر والشعراء ص ٨٧.

(٥) ديوان النابعة ص ٥٣ من قصيدته في مدح النعمان بن المنذر ومطلعها:

يا دار مية بالعلياء فالسند ... أَقْوَتْ وطال عليها سالف الأبد

وانظر: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية ٢/ ٤٣٤.

(٦) كذا في الأصل وفي مختصر الصواعق ٣/ ٩٣١: «مسافته».

(٧) الجُوديّ: ياؤه مشددة هو جبل مطلٌ على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من =

٤٤]. ﴿لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٣]. ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

وهكذا في جميع موارده في اللغة التي خوطبنا بها، ولا يصح أن يقال: استوى على الدابة والسطح إذا نزل عليهما، وفارقهما، كما يقال: استولى عليها، هذا عكس اللغة وقلب الحقائق، وهذا قطعي بحمد الله»[(١)].

ونقول: بل يلزمكم أن تنفوا كل صفاتٍ لله تعالى إذ ما من صفة له مشهورة عند الخلق إلا وفيها اشتراك في التسمية من الوجود إلى غيره، وبأن العرش لم يكن مغلوبًا لله تعالى إلا بعد خلق السموات والأرض بدليل ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقد جاء في الخبر الصحيح ما يدل على أن العرش مخلوق قبل السموات والأرض.

قال في الصواعق[(٢)]: (قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»[(٣)]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ

= أعمال الموصل، عليه استوت سفية نوح عليه السلام. معجم البلدان ٢/٢٠٨.

(١) مختصر الصواعق (٣/٩٣٢).

(٢) مختصر الصواعق ٣/٨٩٣- ٨٩٨.

(٣) أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو مسلم في صحيحه ٤/٢٠٤٤حديث ٢٦٥٣، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام بلفظ «كتب الله مقادير». والترمذي في =



﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]. فكيف يجوز أن يكون غير قادر ولا مستولٍ على العرش إلى أن خلق السموات والأرض!؟

فإن قيل: تحمل (ثمّ) على معنى الواو، ونجردها عن معنى الترتيب. قيل: هذا خلاف الأصل والحقيقة، فأخرجتم (ثمّ) عن حقيقتها، والاستواء عن حقيقته، ولفظ (الرحمن) عن حقيقته، وركبتم مجازات بعضها فوق بعض.

فإن قيل: فقد تأتي (ثمّ) لترتيب الخبر لا لترتيب المخبر، فيجوز أن يكون ما بعدها سابقًا على ما قبلها في الوجود وإن تأخرت عنه في الإخبار./ [٢٧]

قيل: هذا لا يثبت أولًا، ولا يصح به نقل، ولم يأت في كلام فصيح، ولو قُدِّر وُرودُهُ فهو نادر لا يكون قياسًا مطردًا تترك الحقيقة لأجله.

فإن قيل: فقد ورد في القرآن وهو أفصح الكلام، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الأعراف: ١١]. والأمر بالسجود لآدم كان قبل خلقنا وتصويرنا، وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا(١) نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [يونس: ٤٦].

= سننه ٤/٤٥٨ حديث ٢١٥٦، كتاب القدر، باب رقم ١٧، وأحمد في مسنده ١١/١٤٤ حديث ٦٥٧٩، وعبد ابن حميد كما في المنتخب ١/٣٠٥ حديث ٣٤٣، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان ١٤/٥ حديث ٦١٣٨، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/٢٣٣-٢٣٤ حديث ٧٩٨ و٧٩٩، بلفظ «فرغ الله عز وجل من مقادير». وانفرد مسلم بقوله «وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

(١) في الأصل «فإما».



وشهادته تعالى على أفعالهم سابقة على رجوعهم.

قيل: لا يدل ذلك على تقدُّم ما بعد (ثمّ) على ما قبلها. أما قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١١]. فهو خلق أصل البشر وأبيهم، وجعله سبحانه خلقًا لهم وتصويرًا إذ هو أصلهم وهم فرعه، وبهذا فسرها السلف، قالوا: «خلقنا أباكم، وخَلْقُ أبي البشر خلْقٌ لهم»[1].

وقوله: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [يونس: ٤٦]. فليس تَرْتِيبًا لاطلاعه على أفعالهم، وإنما هو ترتيب لمجازاتهم عليها.

فإن قيل: كيف تصنعون بقول الشاعر[2]:

قـل لمـن سـاد ثـم سـاد أبـوه ثـم قـد سـاد قبـل ذلـك جـده[3]

---

(١) قال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص ١١٥، : «أراد: خلقنا آدم وصورناه، فجعل الخلق لهم، إذ كانوا منه». وساق الطبري في تفسيره ١٢٧/٨، عدة أقوال، ثم قال: «وأولى الأقوال بالصواب، قول من قال: ولقد خلقنا آدم «ثم صورناكم» بتصورينا آدم من خطاب العرب للرجل بالأفعال تضيفها إليه، والمعني في ذلك سلفه». وانظر: تفسير ابن كثير ٣٩١/٣، وزاد المسير ١٧٣/٣ عند تفسير هذه الآية.

(٢) هو أبو نواس الحسن بن هانئ بن عبد الأول الشاعر الشهير، قيل له أبو نواس: لذؤابتين كانتا له تنوسان على عاتقه، توفي سنة ١٩٥هـ، وقيل ١٩٦، وقيل ١٩٨. تاريخ بغداد ٤٣٦/٧-٤٤٩ وخزانة الأدب ٣٣٨/١.

(٣) ديوان أبو نواس ص ٤٩٣ وقد ورد هذا البيت في الديوان هكذا:

قلْ لمنْ سادَ ثمّ سادَ أبُوهُ قَبْلَه، ثمّ قبْل ذلك جَدّه

قلنا: أي شاعر هذا حتى يُحتج بقوله(١)، وأين صحة الإسناد إليه لو كان ممن يحتج بشعره؟ وأنتم لا تقبلون الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ فكيف تقبلون شعرًا لا تعلمون قائله، ولا تسندون إليه ألبته، هذا وإِنَّ فاضلكم من المتأخرين(٢) لما تفطن لهذا ادعى الإجماع أن العرش مخلوق بعد خلق السموات والأرض(٣)، فيكون المعنى أنه خلق السموات والأرض ثم استوى على العرش، وهذا لم يقله أحدٌ من أهل العلم أصلًا، وهو مناقض لما دَلَّ عليه القرآن والسنة وإجماع المسلمين، أظهر مناقضة، فإنه تعالى أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وعرشه حينئذٍ على الماء، وهذه/ واو [٢٨] الحال، أي خلقها في هذه الحال، فدلّ على سبق العرش والماء للسموات والأرض.

وفي الصحيح عنه ﷺ: **«قَدَّرَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»**(٤).

وأصح القولين أن العرش مخلوق قبل القلم لما في السنن من حديث

---

(١) قال في خزانة الأدب ١/٣٣٩: كان في الشعراء من الطبقة الأولى من المولدين، قال أبو عمرو الشيباني: لولا أن أبا نواس أفسد بهذه الأقذار. يعني الخمور. لاحتججنا به.

(٢) لعله يعني: محمد بن عمر الخطيب الرازي، صاحب التفسير الكبير.

(٣) ذهب إلى ذلك الرازي كما في أساس التقديس (ص ٤٤) وينظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٧٧-٥٨٠).

(٤) تقدم تخريجه قريبا (ص٧٠).

عبادة بن الصامت(١) قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَوَّل مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ**(٢)، **قَالَ: اكْتُبْ، قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟، قَالَ اكْتُبْ الْقَدَرَ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**».

وقد أخبر أنه قَدَّر المقادير وعرشه على الماء. وأخبر في هذا الحديث أنه

---

(١) في الأصل عبد الله بن عمرو كما في مختصر الصواعق (٨٩٦/٣) والصحيح عبادة بن الصامت، فقد أخرج هذا الحديث أبو داود في سننه ٧٦/٥حديث ٤٧٠٠، كتاب السنة، باب في القدر، من طريق جعفر بن مسافر الهذلي، حدثنا يحيى بن حسان، حدثنا الوليد بن رباح، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي حفصة، قال: قال عبادة بن الصامت. وأخرجه الترمذي في سننه ٤٥٧/٤-٤٥٨حديث ٢١٥٥، كتاب القدر، باب ١٧. من طريق الطيالسي، حدثنا عبد الواحد بن سليم، عن عطاء بن أبي رباح، عن الوليد بن عبادة، عن عبادة. وأخرجه أحمد في مسنده ٣٨١/٣٧حديث ٢٢٧٠٧ من طريق موسى بن داود، حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن الوليد بن عبادة به. وابن أبي عاصم في السنة ٤٨/١ حديث ١٠٣.

قال الترمذي عقب الحديث: «هذا حديث غريب من هذا الوجه». وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٨٩٠/٣-٨٩١حديث ٣٩٣٣. وصحيح سنن الترمذي ٢٢٨/٢-٢٢٩حديث ١٧٤٩.

وله شاهد من حديث ابن عباس مرفوعًا «إن أول شيء خلقه الله تعالى القلم، وأمره فكتب كل شيء» أخرجه أبو يعلى في مسنده ٢١٧/٤حديث ٢٣٢٩، والبيهقي في سننه ٣/٩. وصححه الألباني في الصحيحة ٢٠٧/١حديث ١٣٣. وقد حاولت تتبع طرقه في تخريجي لأحاديث الشريعة للأجري، حديث: ١٨٠ (٥١٤/١).

(٢) وهذا هو الذي عليه جماهير السلف والخلف. ينظر تفصيل ذلك في شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص ٢٩٤) فما بعدها. وذهب الشيخ الألباني رحمه الله إلى أن القلم متقدم على العرش استنادا لهذا الحديث، كما في السلسلة الصحيحة (١/ ١٣٣).

قدرها في أول خلق أوقات القلم(١)، والقلم سابق على خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة. فادعى هذا الجهمي أن العرش مخلوقٌ بعد خلق السموات والأرض، ولم يكفه هذا الكذب حتى ادّعى الإجماع عليه ليتأتى له إخراج الاستواء عن حقيقته»(٢).

وقولكم: «**ويحتمل أن تكون فوقيته تعالى بمعنى الشرف**... الخ». كلام لا يكاد يفهم؛ إذ كيف يطابق أن يقال: في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. تشرَّف على العرش، وكان مخالفًا له ولم يماثله.

وفي قوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠]. ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٨ و٦١]. ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [يونس: ٣]. أي تشرَّف وتنزَّه أن يكون مماثلًا لخلقه إذ هذه الألفاظ لم توضع في لسان العرب لهذا المعنى، ولا في لسان الشرع، ولا عرفت فيهما مجازيتها فيه، ولا يقال هذا الشرف من هذا، إلا إذا كان مشاركًا له في الشرف، وأي جامع بين شرف الله وشرف العرش؟

ولا يقال: «السيف أفضل من العصا».

قال ابن القيم(٣): (إن تفضيل الرب تعالى على شيء من خلقه لا يذكر في شيء من القرآن، إلا ردًا على من اتخذ ذلك الشيء ندًا لله، فبين سبحانه أنه خير

---

(١) كذا في الأصل، وفي مختصر الصواعق ٣/ ٨٩٧ «في أول أوقات خلق القلم».

(٢) مختصر الصواعق ٣/ ٨٩٧.

(٣) مختصر الصواعق ٣/ ٩٢٤-٩٢٥.

من ذلك الند كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا تشركون[1]﴾ [النمل: ٥٩]. وقوله تعالى حاكيًا عن السحرة: [٢٩] ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ [طه: ٧٢- ٧٣]. وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧].

فأما أن يفضِّل نفسه على شيء معين من خلقه ابتداءً فهذا لم يقع في كلام الله ولا هو مما يقصد بالأخبار، لأن قول القائل ابتداءً: «الله خيرٌ من ابن آدم وخير من السماء وخير من العرش» من جنس قول القائل: السماء فوق الأرض، والثلج بارد، والنار حارة، وليس في ذلك تمجيد ولا تعظيم ولا مدح.

ولهذا لم يجيء هذا الفضل[2] في القرآن، ولا في كلام الرسول ﷺ، ولا هو مما جرت عادة الناس بمدح الرب تعالى به مع تفنن مدحهم ومحامدهم، بل هو أرك كلام وأهجنه، فكيف يليق[3] بهذا الكلام الذي يأخذ بمجامع[4] القلوب عظمة وجلالًا، ومعانيه أشرف المعاني وأعظمها فائدة أن يكون معناه أن الله أفضل من العرش والسماء؟

(١) على قراءة الجمهور. وتقدم التعليق عليها قريبًا ص٦٥.

(٢) في مختصر الصواعق ٣/ ٩٢٤ «اللفظ».

(٣) في الأصل «لا يليق» والمثبت ما في مختصر الصواعق ٣/ ٩٢٤.

(٤) في الأصل «بجامع» والمثبت ما في مختصر الصواعق ٣/ ٩٢٤.

ومن المثل السائر نظمًا:

ألـم تـر أن الـسيف يـنقص قـدره　　إذا قيل إن السيف أمضى من العصا[(١)]

وهـذا بخـلاف مـا إذا كـان المقـام يقتـضي ذلـك احتجاجًـا عـلى مبطـل، وإبطالًا لقول مشرك، كما إذا رأيت رجلًا يعبد حجرًا فقلت لـه: الله خير أم الحجر؟ فيحسن هـذا الكـلام في هـذا المقام كـما لا يحسن في قـول الخاطـب[(٢)] ابتداءً: الحمد لله الذي [هو][(٣)] خير من الحجارة، ولهذا قال يوسف الصديق عليه الـسلام في احتجاجه عـلى الكفـار: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف: ٣٩]. وقـال تعـالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩﴾ [النمل: ٥٩].

ويوضحه: أن الرجل إذا تكلم بمثل هذا الكلام في حق المخلوق لكان مستهجنًا جدًا، فلو قال: الشمس أضوء من السراج، والسماء أكبر من الرغيف وأعلى من سقف الدار، ونحو ذلك لكان مستهجنًا مستقبحًا مع قرب النسبة بين المخلوق والمخلوق،/ فكيف إذا قيل ذلك بين الخالق تعالى والمخلوق مع التفاوُتِ الذي بين الله وخلقه؟). [٣٠]

وقد كفانا عن أن نحرِّف الكلم عن مواضعه إلى معنى قد أغنانا عنه صريح العقل والنقل قوله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) تقدم الكلام عليه في (ص ٦٤).

(٢) كذا في الأصل، وفي مختصر الصواعق: ٣/ ٩٢٥ «ما لا يحسن في قول الخطيب».

(٣) [هو] ساقطة من الأصل ومذكورة في مختصر الصواعق ٣/ ٩٢٥.

وقولكم: **(إذا كان... الخ)** لا يصح هذا السؤال وجوابه، إلا إذا صحَّ السُّوء وأصله، وهو لا يسلم لكم كما تقدم ويأتي.

على أننا نقول: لو صح لكان أحرى أن يقال: الله مستوٍ على الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش، وقس على هذا مما يزيل فائدة الآية ويُوقِع فيما لا ينبغي إطلاقه في جانبِ اللهِ.

كما أن خصمكم يقول: إن دعواكم المجاز في الآية وغيرها مردود عليكم إذ العرب لا يعبرون بمجاز ولا يعرفونه ولا جاءت الشريعة بالفرق بين المجاز والحقيقة، وإنما أُحدث هذا القول بعد القرون الثلاثة مثل ابن جني[(١)] وأشياخه.

قال ابن القيم[(٢)]: «والشرع لم يرد بهذا التقسيم ولا دل عليه، ولا أشار إليه، وأهل اللغة لم يصرح أحدٌ منهم بأن العرب قسمت لغتها إلى حقيقة ومجاز، ولا قال أحدٌ من العرب قط: هذا اللفظ حقيقة وهذا مجاز، ولا وجد في كلام من نقل لغاتهم عنهم [مشافهة][(٣)] ولا بواسطة ذلك. ولهذا لا يوجد

---

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جِنِّي الموصلي إمام العربية وصاحب التصانيف، لزم أبا علي الفارسي دهرًا وسافر معه حتى برع وصنف، له مؤلفات منها: «سر الصناعة» و«اللمع» و«الخصائص» وغيرها. توفي سنة ٣٩٢هـ. السير ١٧/١٧-١٩، وتاريخ بغداد ١١/٣١١-٣١٢، وإنباه الرواة ٢/٣٣٥.

(٢) مختصر الصواعق ٢/٦٩٢-٦٩٩ باختصار. وانظر كتاب الإيمان لابن تيمية ص ٨٣-٨٥.

(٣) في الأصل: «مشابهة» وما أثبته من مختصر الصواعق ٢/٦٩٢.

في كلام الخليل[(١)]، وسيبويه[(٢)]، والفراء[(٣)]، وأبي عمر بن العلاء[(٤)]، والأصمعي[(٥)]، وأمثالهم، كما لم يوجد ذلك في كلام رجل واحدٍ من الصحابة،

(١) ابن أحمد الفراهيدي، أبو عبد الرحمن البصري، صاحب العربية، ومنشئ علم العروض أحد الأعلام، أخذ عنه سيبويه النحو، قال الذهبي: كان رأسًا في لسان العرب، ديِّنًا، ورعًا، قانعًا، متواضعًا، كبير الشأن، من مؤلفاته كتاب العين، ولد سنة ١٠٠هـ، ومات سنة بضع وستين ومائة، وقيل: بقي إلى سنة سبعين ومائة. السير ٧/٤٢٩-٤٣١، ووفيات الأعيان ٢/٢٤٤-٢٤٨، وإنباه الرواة ١/٣٤١-٣٤٧.

(٢) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي، ثم البصري، إمام النحو، برع في العربية وساد أهل العصر، سمي سيبويه، لأن وجنتيه كانتا كالتفاحتين، بديع الحسن، مات سنة ١٨٠هـ، على الأصح. السير ٨/٣٥١-٣٥٢، وتاريخ بغداد ١٢/١٩٥، ووفيات الأعيان ١/٤٨٧-٤٨٨.

(٣) أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولاهم، الكوفي النحوي، صاحب الكسائي، قال الذهبي: كان ثقة. قال ثمامة بن أشرس: رأيت الفراء ففاتشته عن اللغة، فوجدته بحرًا، وعن النحو فشاهدته نسيج وحده، وعن الفقه فوجدته عارفًا باختلاف القوم، وبالطب خبيرًا، وبأيام العرب والشعر والنجوم، فأعلمت به أمير المؤمنين، فطلبه. مات سنة ٢٠٧هـ، السير ١٠/١١٨-١٢١، وبغية الوعاة ٢/٣٣٣، ووفيات الأعيان ٦/١٧٦-١٨٢.

(٤) ابن عمار بن العريان التميمي، شيخ القراء والعربية، اختلف في اسمه على أقوال: أشهرها زبان، قال أبو عبيدة: كان أعلم الناس بالقراءات والعربية والشعر وأيام العرب، توفي سنة ١٥٤هـ. السير ٦/٤٠٧-٤١٠، ووفيات الأعيان ٣/٤٦٦.

(٥) عبد الملك بن قريب، أبو سعيد الأصمعي البصري، اللغوي الإخباري، أحد الأعلام ولد سنة بضع وعشرين ومائة، سمع منه الإمام مالك، وأثنى عليه الإمام أحمد في السنة، توفي سنة ٢١٥هـ وقيل ٢١٦هـ. السير ١٠/١٨١، والتاريخ الكبير ٥/٤٢٨، ووفيات الأعيان ٣/١٧٠-١٧٦.

ولا من التابعين، ولا تابع التابعين، ولا في كلام أحدٍ من الأئمة الأربعة، وهذا الشافعي وغيره من الأئمة المدونين لم توجد كلمة من المجاز في كتبه، وأول من نطق بلفظ المجاز أبو عبيدة(١) صنف في تفسير القرآن كتابًا سماه «مجاز القرآن» وليس مراده به قسيم الحقيقة، وإنما عنى به ما يُعبَّر به عن اللفظ ويُفسّر به كما يُسمِّي ابن جرير الطبري ذلك/ وغيره تأويلًا.» [٣١]

إلى أن قال: «وقد صرح بنفي المجاز في القرآن محمد بن خويز منداد البصري المالكي(٢) وغيره من المالكية(٣)، وصرح بنفيه داوود بن علي الأصبهاني(٤)،

(١) معمر بن المثنى التيمي مولاهم البصري، النحوي، ولد سنة ١١٠هـ، قال المبرد: كان هو والأصمعي متقاربين في النحو، وكان أبو عبيدة أكمل القوم، توفي سنة ٢٠٩هـ وقيل سنة ٢١٠هـ. السير ٩/٤٤٥-٤٤٧، ووفيات الأعيان ٥/٢٣٥.

(٢) هو محمد بن أحمد بن علي بن إسحاق بن خويز منداد، أبو عبد الله تفقه بالأبهري المتوفى سنة ٣٩٥، وله كتاب كبير في الخلاف، وكتاب في أصول الفقه، وكتاب في أحكام القرآن، وكان محاربًا للكلام وأهله. ترتيب المدارك ٤/٦٠٦والديباج المذهب ٢/٢٢٩وشجرة النور ١/١٠٣.

(٣) قال ابن عبد البر في التمهيد ٥/١٦: «وحمل كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ على الحقيقة، أولى بذوي الدين والحق؛لأنه يقص الحق، وقوله الحق، تبارك وتعالى علوًا كبيرًا».

(٤) أبو سليمان الظاهري، ولد بالكوفة، سنة ٢١٠هـ أحد الأئمة الفقهاء، وإليه تنسب الظاهرية، وسموا بذلك لأخذهم بظاهر الكتاب والسنة، وكان داود أول من جهر بهذا القول، توفي سنة ٢٧٠هـ ببغداد. تاريخ بغداد ٨/٣٦٩-٣٧٥، وميزان الاعتدال ٢/١٤-١٦، وسير أعلام النبلاء ١٣/٩٧-١٠٨.

وابنه أبو بكر[1]، ومنذر بن سعيد البلوطي[2]، وصنف في نفيه مصنَّفًا.

وبعض الناس يحكي في ذلك عن أحمد روايتين[3]وقد أنكرت طائفة أن يكون في اللغة مجاز بالكلية، كأبي إسحاق الإسفراييني[4] وغيره إلى آخر ما بيّن وحقّق من أن أسعد الناس بالصواب من أنكر المجاز، وردَّ دعوى المجاز بوجوه كثيرة تعلم بالوقوف على الصواعق.

وعلى تسليم صحته فأين القرائن الدالة عليه في الآيات؟ فإن قلتم: قرينة العقل إذالعقل يحيل الحقيقة، قلنا: ولِمَ؟ فإن قلتم: لمشابهة الأجسام، قلنا: مدفوع بجهل الكيف، وتلزمكم المشابهة بمجازكم أيضًا فيما تدفعون وأعظم منه ما يلزمكم على مجازكم من تعطيل صفة الله بل تعطيل وجوده. وقد صرح بذلك

(١) محمد بن داود بن علي بن خلف، أبو بكر الظاهري، علامة كأبيه، كان فقيهًا أديبًا شاعرًا طريفًا، مات سنة ٢٩٦هـ وقيل في التي تليها. تاريخ بغداد ٥/٢٥٦-٢٦٣، ووفيات الأعيان ٤/٢٥٩-٢٦١، والوافي ٣/٥٨-٦١، والسير ١٣/١٠٩.

(٢) منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن، أبو الحكم البلوطي، نسبة إلى موضع قريب من قرطبة يقال له فحص البلوط، إمام عالم فقيه محقق خطيب مفوه بليغ قاضي الجماعة بقرطبة. ولد سنة ٢٧٣هـ له مصنفات منها: «الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله» و«الإبانة عن حقائق أصول الديانة». توفي سنة ٣٥٥هـ، جذوة المقتبس ص ٢٣٦-٢٣٧ت ٨١١، وبغية الملتمس ص ٤٥٠-٤٥٢.

(٣) الإيمان لابن تيمية ص ٨٥ وشرح الكوكب المنير ١/١٩٢.

(٤) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق الإسفرائيني الملقب بركن الدين، الشافعي الأشعري، فقيه متكلم أصولي مات بنيسابور، يوم عاشوراء سنة ٤١٨هـ وقيل قبلها. تبين كذب المفتري ص ٢٤٣-٢٤٤، والسير ١٧/٣٥٣-٣٥٦ وطبقات السبكي ٤/٢٥٦-٢٦٢.

علماؤكم حيث قالوا: «لا خارج العالم ولا داخله»[1] وهذا لا يقع إلا على العدم، ويلزم قائله أن وجود الإله ذهني فقط تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وقولكم: (إنه لا محذور في إطلاق الفوقية... إلخ).

يقال عليه: أي محذور أعظم من أن يطلق على الله تعالى ما لا يصح أن يوصف بصريحه ولا ظاهره.

وقولكم: (إذ هو الغني عن كل شيءٍ) كلام يدل منكم على أن إثبات الفوقية الحسية لله يلزم منه افتقار الله تعالى إلى ما عداه مع أن هذا الافتقار من صفة المخلوقين إذ ليس كمثله شيء. والقوم قاسوا صفة الخالق على صفة المخلوق مرة فعطلوه عنها وطورًا غفلوا عن هذا القياس فأثبتوا له بعض الصفات كالسمع والبصر والقدرة والعلم مع أن الباب واحد.

وقولكم: (قال جعفر الصادق[2].. إلى آخر كلامه) إما كونه ليس في

---

(١) نسب هذا القول خشيش بن أصرم (ت ٢٥٣) في كتابه – الاستقامة– فيما نقله عنه الملطي في التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص ٩١) إلى طائفة من الجهمية فقال: «ومنهم صنف قالوا لا نقول: إن الله بائن من الخلق ولا غير بائن، ولا فوقهم ولا تحتهم... » وهو قول الفلاسفة ومنهم ابن سيناء، وقول المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم الذين ينفون العلو عن الله تعالى، ورثوه من الجهمية الذين أخذوه عن الفلاسفة، والجهمية نوعان: الحلولية، الذين قالوا إن الله في كل مكان، والمعطلة الذين قالوا: لا داخل العالم ولا خارجه.

(٢) هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمي القرشي، الملقب بالصادق، ولد سنة ٨٠هـ بالمدينة، وهو سادس الأئمة الاثني عشرية عند الإمامية، من أجلاء التابعين، أخذ عنه جماعة منهم الإمامان مالك وأبو حنيفة، قال ابن حجر: =

شيء ولا من شيء،/ فقد دلت الدلائل العقلية والنقلية على ذلك، فالعقلية [٣٢] منها ما قال من الحصر والحدوث، والنقلية ما دل عليه القرآن والسنة والإجماع، وبهذه الدلائل نفسها ثبت أن الله فوق عرشه وزادوا هذه الدلائل، ومؤولها يدفع دلالتها على أنه ليس في شيء ولا من شيء، وكون الفوقية والعلو يستلزمان الحمل في الأجسام المخلوقة المفتقرة إلى مكان وحمل لا في الخالق سبحانه.

وإن قال هذا جعفر الصادق فقد قال من هو أصدق من جعفر الصادق وغيره، وهو الله ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢]. والصادق المصدوق ﷺ ما يدل على أن الله فوق عَرشِهِ مما يأتيك بعد، فانتظر.

وقولكم: (وأيضًا هو سبحانه مكون المكان... إلخ) هذا المعنى صحيح مُسَلَّمٌ ولكن احتجاجكم به لا يَتم إلا لو كان فوق العرش، وزعم القائل بالفوقية أنه فيه مع أن فوق العرش لا يوصف بمكان ولا يدخل في دورة الزمان إذ الزمان، هو دورة الفلك الأعظم وما في حوزته من الأفلاك، ولا فلك ولا دور فوق العرش، والمكان محصور بالعرش فلا مكان فوق العرش.

وكأني بكم لا إلمام لكم بهذا العلم، ولا طالعتم ما كتب في ذلك أهله.

قال ابن رشد[1]: «والشبهة التي قادت نفاة الجهة إلى نفيها هي أنهم

= صدوق فقيه إمام، توفي بالمدينة سنة ١٤٨هـ. السير للذهبي ٦/٢٥٥-٢٧٠، وتهذيب الكمال ٥/٧٤-٩٧، والنقريب ١٤٠.

(١) هو ابن رشد الحفيد: محمد بن أبي القاسم أحمد بن شيخ المالكية، أبو الوليد، العلامة =

اعتقدوا أن إثبات الجهة يوجب إثبات المكان، وإثبات المكان يوجب إثبات الجسمية، ونحن نقول: إن هذا كله غير لازم، فإن الجهة غير المكان، وذلك أن الجهة هي إما سطوح الجسم نفسه المحيطة به وهي ستة، وبهذا نقول: إن للحيوان فوق وأسفل ويمينًا وشمالًا [وأمامًا وخلفًا](1)، وإما سطوح جسم آخر محيط(2) بالجسم ذي الجهات الست.

[فأما](3) الجهات التي هي سطوح الجسم نفسه فليست بمكان للجسم نفسه أصلًا، وأما سطوح الأجسام/ المحيطة به فهي له مكان مثل سطوح [٣٣] الهواء المحيطة بالإنسان، وسطوح الفلك المحيطة بسطوح الهواء هي أيضًا مكان للهواء، وهكذا الأفلاك بعضها محيطة ببعض ومكان له.

وأما سطح الفلك الخارج فقد تبرهن أنه ليس خارجه جسم، لأنه لو كان ذلك كذلك لوجب أن يكون خارج ذلك الجسم جسمٌ آخر ويمر الأمر إلى غير نهاية.

= الفيلسوف، ولد قبل موت جده بشهر سنة ٥٢٠هـ، عرض الموطأ على أبيه، وله تصانيف كثيرة منها: «بداية المجتهد» و«مناهج الأدلة» وغيرها، ولي قضاء قرطبة، فحُمدت سيرته، مات سنة ٥٩٥هـ، وقيل سنة ٥٩٤هـ. السير ٢١/٣٠٧-٣١٠، وشذرات الذهب ٤/٣٢٠.

(١) في الأصل وكذا في مناهج الأدلة ص ٦٧ «وأمام وخلف». وما أثبته من مختصر الصواعق ١/١٤٦.

(٢) كذا في الأصل، وفي مختصر الصواعق ١/١٤٦: «يحيط».

(٣) ساقطة من الأصل، وما أثبته من مناهج الأدلة ص ٦٧ وفي مختصر الصواعق ١/١٤٦: «فالجهات».

فإذًا سطح آخِر أجسام العالم ليس مكانًا أصلًا، إذ ليس يمكن أن يوجد فيه جسم، ـ لأن كل ما هو مكان يمكن أن يوجد فيه جسم ـ.

فإذًا إن قام البرهان على وجود موجود في هذه الجهة، فواجب أن يكون غير جسم، فالذي يمتنع وجوده هنالك هو عكس ما ظنه، وهو موجود هو جسم لا موجود ليس بجسم، وليس لهم أن يقولوا: إن خارج العالم خلاء، وذلك أن الخلاء قد تبين في العلوم النظرية امتناعه، لأن ما يدل عليه اسم الخلاء ليس هو شيء أكثر من أبعادٍ ليس فيها جسم، أعني طولًا وعَرضًا وعُمقًا؛لأنه إن رفعت الأبعاد عنه عاد عدمًا، وإن أنزل الخلاء موجودًا لزم أن تكون أعراضًا موجودة في غير جسم، وذلك [أن][1] الأبعاد هي أعراض من باب الكمية[2] ولا بد، ولكنه قيل في الآراء السالفة القديمة والشرائع الغابرة أن ذلك الموضع هو مسكن الروحانيين، يريدون الله والملائكة، وذلك أن ذلك الموضع ليس هو بمكان، ولا يحويه زمان، وذلك أن كل ما يحويه الزمان والمكان فاسد، فقد يلزم أن يكون ما هنالك غير فاسد ولا كائن، وقد تبين هذا

---

(١) سقطت من الأصل، والمثبت في مناهج الأدلة.

(٢) الكمية: كمية الحد في المنطق ما صدقه، والحدود تنقسم بحسب الكم إلى كلية، وهي التي لا يمنع مفهومها أن يشترك فيها كثيرون، وجزئية وهي التي لا تشمل إلا عددًا معينًا من الأفراد، ومفردة: وهي التي لا تصدق إلا على فرد واحد كزيد المشار إليه، أما كمية القضية فالمقصود بها استغراق الموضوع في المحمول، فإن كان الحكم واقعًا على جميع أفراد الموضوع كانت القضية كلية، تقول: كل إنسان فان. المعجم الفلسفي لجميل صليبا ٢/٢٤١.

المعنى مما أقوله وذلك أنه لما لم [يكن][1] هٰهنا شيء، إلا هذا الموجود المحسوس أو العدم، وكان من المعروف بنفسه أن الموجود إنما ينسب إلى الوجود، أعني أنه يقال: إنه موجود، أي في الوجود، إذ لا يمكن أن يقال: إنه موجود في العدم، فإن كان هٰهنا موجود هو أشرف الموجودات فواجب أن ينسب من الوجود[2] المحسوس إلى الجزء[3] الأشرف وهو السموات، و[الشرف][4] هذا الجزء[5] قال تبارك وتعالى ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: ٥٧]./ [٣٤] وهذا كله يظهر على التمام للعلماء الراسخين في العلم)[6].

وقولكم: (قال في الحكم[7]: «الحق تعالى ليس بمحجوب... إلخ».

هذا الكلام ينظر إليه من وجوه:

---

(١) في الأصل وكذا في مناهج الأدلة ص ٦٨ «وذلك أنه لم يمكن» وما أثبته من مختصر الصواعق ١/١٤٨.

(٢) في مختصر الصواعق ١/١٤٨ «الموجود».

(٣) في مختصر الصواعق ١/١٤٨ «الحيز».

(٤) في الأصل: [وأشرف] وفي مناهج الأدلة ص ٦٨ و«الشرف»، والمثبت في مختصر الصواعق ١/١٤٨.

(٥) في مختصر الصواعق ١/١٤٨ «الحيز».

(٦) نهاية المنقول عن ابن رشد من مناهج الأدلة ص ٦٧-٦٨، وهو في مختصر الصواعق ١/١٤٦-١٤٨.

(٧) انظر شرح الحكم ١/٢٩.

الأول: ما وجه الدلالة به على نفي استواء الله على عرشه، وأن الفوقية مجاز، ولعلكم تقولون استدلاله بالآيات.

فنقول: استدلاله قاصر على قهرية الله لعباده، ولا يفهم منه غير هذا المعنى، ولا تعرض لغيره، ولا ساقه لأجل مجازكم ومقصدكم.

الثاني: هبه ضمن هذه الجملة مقالتكم ودعواكم، والاستدلال بتلك الآيات، وحملها على المجاز؛ لأنه لم يكن في قوله حجة، بل الحجة في كلام الله ورسوله وإجماع الأمة.

الثالث: لا يلزم أن الحاجب للشيء حاضر له وقاهر؛ فقد يكون لذلك، وقد لا يكون فيما بين الخلائق، وأما في حق ذي القهر والسلطان سبحانه والغالب الذي لا يُغْلَبُ والقاهر الذي لا يُقْهَرُ، فإنه لا يقهره حجاب ولا يستره وكيف لا؟ وبقدرته وقهره كان، فالحجاب هو المقهور على الحجابة المغلوب للعزة والعظمة.

الرابع: لم يرد ما يدل على أن الله محجوب عن خلقه، وإنما الخلق هو المحجوب عنه [إذ لو حجبه شيء](١) لكان محجوبًا عنا، فالحجاب الذي حجبنا به، إذ المحجوبية تنسب للأمرين الذين بينهما الحجاب، والسوية على أنه ورد ما يدل على نسبة الحجاب إلى الله تعالى كما روينا من حديث مسلم(٢)

---

(١) في الهامش «تأمل هنا» ولعله قد سقطت منه بعض الكلمات. قلت: ما بين المعكوفين ساقط في الأصل وتمت إضافته ليستقيم الكلام.

(٢) أخرجه في صحيحه ١/١٦١-١٦٢ حديث ٢٩٣، كتاب الإيمان، باب قوله عليه السلام إن الله لا ينام.

عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات[1] وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»./ [٣٥]

وروى عثمان بن سعيد الدارمي[2] قال: حدثنا محمد بن كثير[3]، أخبرنا سفيان[4]، عن عبيد المكتب[5]، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: «احتجب الله عن خلقه بأربع، بنار، وظلمة، ونور، وظلمة»[6].

---

(١) سُبُحَاتُ: جمع سُبحة، والمعنى كما كما قال ابن الأثير: «لو انكشف من أنوار الله التي تحجب العباد عنه شيء لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور، كما خرّ موسى عليه السلام صعقا وتقطَّعَ الجبل دكًّا لما تَجَلَّى الله سبحانه وتعالى له». النهاية في غريب الحديث ٣٣٢/٢. والمجموع المغيب ٤٩/٢.

(٢) أبو سعيد التميمي، ولد قبل المئتين بيسير، وطوف في الأقاليم في طلب الحديث، أخذ علم الحديث وعلله على عليّ ويحيى، وأحمد وفاق أهل زمانه، وكان لَهِجًا بالسُّنة، بصيرًا بالمناظرة، من مصنفاته: المسند الكبير، والرد على بشر، والرد على الجهمية، مات سنة ٢٨٢هـ. السير ٣١٩/١٣-٣٢٦.

(٣) العبدي البصري، قال ابن حجر: ثقة لم يصب من ضعفه، مات سنة ٢٢٣هـ. التقريب ص ٥٠٤.

(٤) ابن سعيد الثوري.

(٥) عبيد بن مهران الكوفي المكتب، قال ابن حجر: ثقة من الخامسة. التقريب ص ٣٧٨.

(٦) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية ص ٨٤ حديث ٥٠، وفي نقضه ٧٦١/٢-٧٦٢. و٧٤٨/٢-٧٤٩، واللالكائي في أصول الاعتقاد ٤٢٩/٣ حديث ٧٢٩، وزاد في آخره «وخلق أربع بيده» والذهبي في الأربعين في صفات رب العالمين ص ٧٨ رقم ٧٢، وأبو =

وقال: حدثنا موسى بن إسماعيل(١)، عن حماد بن سلمة(٢)، عن أبي عمران الجوني(٣)، عن زرارة بن أوفى(٤)، «أن النبي ﷺ سأل جبريل «هل

= الشيخ في العظمة ٢/٦٧٥ حديث ٢٦٨، من طريق عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان به. وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٣١٩، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/١٢٦ حديث ٦٩٣، كلاهما من طريق يزيد بن هارون، عن سفيان به. وزادا في أوله «خلق الله بتارك وتعالى أربعة أشياء بيده: العرش، وجنات عدن، وآدم، والقلم».

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال الألباني في تخريج أحاديث الرد على الجهمية ص ٣٧ إسناده صحيح ولكنه موقوف.

(١) أبو سلمة التَّبُوذكي، بفتح المثناة وضم الموحدة، وسكون الواو وفتح المعجمة، مشهور بكنيته وباسمه، ثقة ثبت، مات سنة ٢٢٣هـ. التقريب ص ٥٤٩.

(٢) ابن دينار البصري، أبو سلمة، ثقة عابد أثبت الناس في ثابت وتغير حفظه بآخره، مات سنة ١٦٧هـ. التقريب ص ١٧٨.

(٣) عبد الملك بن حبيب الأزدي، أو الكندي، مشهور بكنيته، ثقة مات سنة ١٢٨هـ، وقيل بعدها. التقريب ص ٣٦٢.

(٤) كذا في الأصل، وكذا هو في نقض عثمان بن سعيد، ولعله هو زُرارة بن أوفى العامري الحَرَشي بمهملة وراء مفتوحتين ثم معجمة، أبو حاجب، البصري قاضيها، صلى بهم صلاة الفجر فلما بلغ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨] شهق شهقة فمات، قال ابن حجر: ثقة عابد، من الثالثة، مات سنة ٩٣هـ. تهذيب الكمال ٩/٣٣٩-٣٤١، والتقريب ص ٢١٥.

لم يذكر المزي في تهذيب الكمال أبا عمرو الجوني في تلاميذ زرارة، ولا ذكر زرارة في شيوخ أبي عمرو الجوني.

وأما زرارة بن أبي أوفى النخعي، أبو عمرو، قال ابن أبي حاتم، عن أبيه له صحبة، ومات في زمن عثمان، وتبعه أبو عمرو ابن عبد البر. الإصابة ٢/٥٥٨-٥٥٩، والاستيعاب ٢/٥١٧.

رأيت ربك؟» فانتفض جبريل وقال: «يا محمد إن بيني وبينه سبعين حجابًا من نور، لو دنوت من أدناها لاحترقت»[1].

فليتأمل المنصف ولينظر هل في هذا أن الله حجب نفسه عنا أم لا؟. وفيه أن جبريل إذا حُجب عنه فكيف بغيره!

الخامس: ما تقولون: ويقول صاحب الحكم[2] في هذه الكائنات التي جعلها الله حجابًا بيننا وبينه: أهي حجاب بين الله وبين الخلق أم لا؟ فإن

---

(١) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية ص ٨٤حديث ٥١، وفي نقضه لبشر ٢/٧٦٢-٧٦٣،وابن أبي شيبة في كتاب العرش ص ٨٧حديث ٧٧، وأبو الشيخ في العظمة ٢/٦٧٧-٦٧٨حديث ٢٧١. وهو ضعيف لإرساله، وزرارة بن أوفى معدود في التابعين قال البيهقي في الأسماء والصفات ٢/٢٩٤-٢٩٥عقب حديث ٨٥٦، قال ابن شقيق: بلغني في حديث جبريل عليه السلام بيننا وبين العرش سبعون حجابًا لو دنوت إلى أحداهن لاحترقت، قلت: وهذا الذي ذكره ابن شقيق يروى عن زرارة بن أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرسلًا عن النبي ﷺ».

والحديث ضعيف لإرساله، وله شاهد من حديث أنس مرفوعًا مثله إلا أنه قال: «من نار أو نور» أخرجه أبو نعيم في الحلية ٥/٥٥ من طريق عبد الله بن جعفر، ثنا إسماعيل بن عبد الله سمويه، ثنا الحسين بن حفص، ثنا أبو مسلم قائد الأعمش، عن الأعمش، عن أنس مرفوعًا.

وإسناده ضعيف أيضًا، لأن أبا مسلم قائد الأعمش هو عبيد الله بن سعيد الجعفي، الكوفي، قال ابن حجر: ضعيف من السابعة. التقريب ص ٣٧١.

(٢) هو أبو الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري المالكي الشاذلي، قال ابن حجر: كان المتكلم على لسان الصوفية في زمانه، وهو ممن قام على الشيخ تقي الدين ابن تيمية فبالغ في ذلك، له عدة تصانيف منها: «الحكم العطائية». توفي بمصر سنة ٧٠٩. الدرر الكامنة ١/٢٧٣، وطبقات الشافعية ٩/٢٣-٢٤، وشذرات الذهب ٨/٣٦-٣٨.



كانت حجابًا فقد رجعتم عما قلتم وإن لم تكن حجابًا، فإن كان لكل الخلائق فهي مكابرة للحس، وإن كان للبعض دون البعض فمن هو هذا البعض؟ فإن كان للعارفين فلا أَعْرَفُ من الأنبياء والمرسلين، فلِمَ لم يمنحوا رؤية الله على الدوام ولا يحتاجون هم ولا الراسخون في العلم إلى الاستدلال على الله بل يكفيهم العيان، ولا أن يسأل موسى عليه السلام الرؤية فيمنع منها، ولا أن يختلف في رؤية النبي ﷺ ربه، ولخصص ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣]. بأبصار غير العارفين.

نعم يعكر على هذا دعوى طائفة من عارفيكم رؤية الله عيانًا في الدنيا وما تقدم يرده قوله ﷺ: **«لن تروا ربكم حتى تموتوا»**(١) ولا يقال: إن الموت معنوي، لأنا نقول إن رسول الله ﷺ يخاطب كل الناس بما يفهمون، وأكثر

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٧/٤٢٣-٤٢٤ حديث ٢٢٨٦٤، وعبد الله بن أحمد في السنة ٢/٤٤٨-٤٤٩ حديث ١٠٠٧، وابن أبي عاصم في السنة ١/١٨٦ حديث ٤٢٨، والنسائي في السنن الكبرى ٤/٤١٩ حديث ٧٧٦٤، كتاب النعوت، المعافاة والعقوبة، والبزار في البحر الزخار ٧/١٢٩ حديث ٢٦٨١، والطبراني في مسند الشاميين ٢/١٨٥ حديث ١١٥٧، والآجري في الشريعة ٣/١٣١٠-١٣١١ حديث ٨٨١، والشاشي في مسنده ٣/١٥٠-١٥١ حديث ١٢٢٦، وأبو نعيم في الحلية ٥/١٥٧ و ٢٢١، و ٩/٢٣٥. كلهم من طريق بقية بن الوليد، حدثني بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن عمرو بن الأسود، عن جنادة بن أبي أمية، أنه حدثهم عن عبادة بن الصامت مرفوعًا.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/٣٤٨ «رواه البزار وفيه بقية وهو مدلس». وقال الألباني في تخريج أحاديث السنة ١/١٨٦ «إسناده جيّد، رجاله ثقات، قد صرح بقية بالتحديث».
وقال عبد القادر الأرناؤوط «إسناده حسن». جامع الأصول ١٠/٣٥٨ حاشية رقم ١.



الناس لا يفهمون للموت إلا معناه المتداول، وأرفع الناس درجة في الموت المعنوي الأنبياء والرسل، وقد تقدم ما لهم في هذا الباب.

وقولكم: (وما ورد في صفة العرش) لا فائدة لذكره إلا تكثير الجمل /وتكبير جِرْم الرسالة. [٣٦]

وأما الاستدلال على الموضوع فقد ذهب مشرقًا وذهب كلامكم هذا مغربًا، وشتان [بين][١] مشرق ومغرب، ويتضح ذلك بما يكتب؛ وهو أن وصف العرش وعظمته التي دل عليها كلامكم هذا لا مدخل لها في النزاع وليست حرفه، وإنما النزاع في نفي استواء الله على عرشه.

وما حكيتم عن أبي نعيم في صفة الملَك الأول لا تعرُّض فيه ولو بكلمة لذلك، وما ذكرتم عن الملَك الثاني أنه خطر بباله هل فوق عرش ربنا شيء لا يدل أيضًا على نفي علو الله على عرشه، إلا لو أجابه الله تعالى بنفي علوه عليه، أو طار فوق العرش فلم يجد شيئًا، ولا شيء من ذلك بإقراركم.

وما ذكرتم من الروايات المجهولة «أن ملكًا طار ثلاثين ألف سنة فقال: يا رب أين أنت؟ قال: أنا معك... الخ»[٢] كذلك لا يدل لما أنتم بصدده إلا لو أجابه الله تعالى بِنَفْيِ علوه على عرشه وسماواته.

وأما «أنا معك» فإنه صحيح؛لأن معيته بقدرته وعلمه مع الكل وليست بالذات، وإلا فما فررتم منه من وصفه من علو وقعتم في أقبح منه ـ على

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) لم أقف عليه.



زعمكم قبح العلو ـ من مذهب الحلولية.

وهذه مسايرة لكلامكم، وإلا فمن ذا يرضى لكم بالاستدلال بأحاديث أبي نعيم بل وبالرواية عن مجهول التي لم تصح روايتها عن حفاظ المحدثين والجهابذة منهم، ولاسيما في أصول الدين، وبالأحرى في رد نصوص الكتاب والسنة ونصوص السلف، ومعلوم ما لأبي نعيم في «حليته» مما لا يصح الاحتجاج به مع ما في باقي قولكم «ألف ثلاثين سنة»[1] من تقديم التميز على المميز.

وقولكم: (قال في المواهب اللدنية...) هذا تفنن منكم في الاستدلالات الحمقى ولون آخر من الدلائل [الكاذبة][2] يبينها ما يُسمع، وهو أن هذا الدليل واضح الخطأ من وجوه كثيرة:

الأول: أن صاحب المواهب لا يحتج بقوله، بل هو المحتج له؛ إذ لا حجة بقول/ أحد غير الله ورسوله. ولله در الشافعي إذ يقول: [٣٧]

العلم قال الله قال رسوله ... وما سوى ذاك وسواس الشياطين[3]

(١) كذا في الأصل، وهو خلاف ما ذكر أعلاه في الرواية المذكورة عنهم.

(٢) في الأصل الكذبة.

(٣) ديوان الإمام الشافعي ص ٣٨٨، والبداية والنهاية ١٤/ ١٣٨، وطبقات الشافعية للسبكي ١/ ٢٩٧.

قال الشافعي:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... إلا الحديث وعلم الفقه في الدين

العلم ما كان فيه قال حدثنا ... وما سوى ذاك وسواس الشياطين



الثاني: هذه المواهب نسبتها إلى لدن، إن كانت لرسول الله فقد أخطأ صاحبُها في كثير مما نسبه إلى رسول الله ﷺ مما لم يصح ثبوته عنه أوله حسبما يعلم بالوقوف على مواهبه، وإن كانت لمؤلفها فالأليق باللدنية أن تنسب إلى الأنبياء لا إلى مثل المؤلف، وإن ارتكب فيه المجاز على حسب استعداد الفكر والملكة بقبول ما يطرأ عليها، فَبَعْدَ بُعْدِ هذه النسبة نسلمها، ولكن مواهبها ليست باللدنية حقًا لما قدمناه، ولذلك كانت معروضة للخطأ ومتعرضة للقبول والردِّ، ومحتاجة للتحرير والتمييز بين الصحيح والسقيم، ويوضح ذلك بالوجوه الآتية التي أولها.

الثالث: **قوله: (عن بعض أرباب الإشارات...الخ)** الرواية عن البعض المجهول لو كانت في أسانيد أهل الكتاب والسنة إلى من لا ينطق عن الهوى ما صح سندها ولا مسندها فكيف بها إسنادا مجهولًا إلى مجهول، ليس بمعصوم من الخطأ، بل واضح الخطأ، إذ العبارة الصريحة لا تكفي في هذا الباب، إلا أن تكون مقطوعًا بها كتابًا، أو سنة، أو إجماعًا، فكيف بالإشارات، هذا إذا كانت الإشارة مدلولًا عليها بكتاب وسنة دلالة صحيحة، أما إن كانت من كلام صريحُه لا يخلو غالبًا من الخطأ أو كانت مجرد تخيل ووهم كما هو شأن من عبّر عنهم بأرباب الإشارات، إذا علمت هذا فمحط الإشارة كلها مرتبة عما تخيله وموَّه به هذا المموه حيث قال: إنه يخاطب النبي ﷺ على لسان العرش؛لأنه يُسأل ما الطريق التي توصل بها إلى علم ذلك من العرش، ولا دلالة على ذلك، بل غاية ما يدل عليه لسان الحال في الجمادات أنها مصنوعة لله مملوكة له واهية بحكمه فيها طائفة مسبحة كذلك، وأما دلالتها/ على شيء لا ينكر، إلا باللفظ [٣٨]

الصريح فأين هو؟ وإنما هو تقوُّلٌ عليها، وكذبٌ، والله يقول ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

الرابع: ما السبب في تخصيص بعض أهل الإشارات بهذا السر والعلم من العرش حتى صاروا في الخطاب بينه وبين الرسول. ولم يكن هذا العلم لرسول الله ﷺ ولا يحتاج الخطاب إلى واسطة، ولكن التمويهات والأغلوطات الباطلة حاشا أن تقع من رسول الله ﷺ، وإذا نسبت إليه رَدَّها حفاظ الملة.

الخامس: إذا كان الأمر كما قال ذلك البعض: فَلِمَ أغفل رسول الله ﷺ الخبر عن ذلك ولم يقل [خاطبني](١) العرش بلسان حاله ليلة أسري بي كما أخبر عن كل ما صح مما رأى وقيل له تلك الليلة، فَتَرْكُ رسول الله ﷺ ذلك دليل على عدمه، وقد قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ كِذْبَةً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»**(٢)

---

(١) في الأصل: «خطبني».

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢٤/ ٢٣٠-٢٣١ حديث ١٥٤٨٢، بلفظ «من كذب علي كذبة فليتبوأ مضجعًا من النار أو بيتًا في جهنم» وأبو يعلى في مسنده ٣/ ٢٦ حديث ١٤٣٦، كلاهما من طريق ابن لهيعة حدثنيه ابن هبيرة، قال سمعت شيخًا من حمير يحدث أبا تميم الجيشاني أنه سمع قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري وهو على مصر يقول: سمعت رسول الله ﷺ فذكره.

وإسناده ضعيف؛لأجل ابن لهيعة والشيخ من حمير المبهم. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١/ ١٤٤ و ٥/ ٧٠ «رواه أحمد وأبو يعلى وفيه راوٍ لم يسم».

لكن أصل حديث «من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» صحيح جاء من طرق. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ١/ ٢٠٣، «أخرجه البخاري ومسلم عن عدد من الصحابة ـ فذكر أسماءهم ـ ثم قال: «وصح أيضًا في غير الصحيحين من حديث عثمان بن =

ولا مستند للرجل في درءِ الكذب على العرش وعلى رسول الله ﷺ.

السادس: من العجب استدلالكم بهذه الإشارات التي لا مفهوم لها إلا الكذب المحض على ما زعمتم وردكم لنصوص الكتاب والسنة وتأويلكم لها تأويلًا لا يَذَرُ لها حقيقة.

السابع: **قولكم: (لمَّـا مرَّ به حين رجع من الإسراء...)** هذه المقالة نسألكم بالله العليم الخبير عن قائلها دون هذا الرجل ممن يعتمد على خبره وعن دليلها من القرآن والسنة أو أقوال الصحابة والتابعين، وإنما الذي ثبت الإسراء إلى سدرة المنتهى وما حول ذلك مما يعلمه الله لم نقف على دليل صحيح ولا سقيم ينبئ عن جواز رسول الله ﷺ عرش الرحمن إلى ما فوقه ثم رجوعه على العرش مارًّا به الذي أخبر به معتمدكم هذا، وإن المخاطبة كانت وقتئذٍ، فالله الله من الكذب عليه وعلى رسوله/. [٣٩]

الثامن: كيف وقع [من][(١)] رسول الله ﷺ هذا العروج إلى فوق العرش

= عفان... وروي بأسانيد حسان من حديث طلحة بن عبيد الله... فهولاء ثلاثة وثلاثون نفسًا من الصحابة، وورد أيضًا عن نحو من خمسين غيرهم بأسانيد ضعيفة، وعن نحو من عشرين آخرين بأسانيد ساقطة، وقد اعتنى جماعة من الحفاظ بجمع طرقه، فأول من وقفت على كلامه في ذلك علي بن المديني... وقد جمع طرقه ابن الجوزي في مقدمة كتاب «الموضوعات» فجاوز التسعين... وقال أبو موسى المديني: يرويه نحو من مائة من الصحابة... ونقل النووي أنه جاء عن مئتين من الصحابة... إلى أن قال: «وتحصل من مجموع ذلك كله رواية مائة من الصحابة على ما فصلته من صحيح وحسن وضعيف وساقط».

(١) في الأصل: «أههل» ولم يظهر معناها.

والنـزول بعـده ولم يخبر بـه في صـحيح خـبره، ولا بتلـك المخاطبـة، ولعلكـم تقولون: ترك البيان لبعض أهل الإشارات، فتزيدون تمويهًا على تمويه.

التاسع: **قولكم: (حين رجع من الإسراء...)** يقتضي أن الإسراء[1] كان لما فـوق العـرش مـع أن الثابـت أن الإسراء كـان لمـا تحـت العـرش فكيـف تستدلون بما لم يثبت، وتظهرون الباطل في صورة الحق.

العاشر: ونسألكم عن إسراء رسول الله ﷺ إلى من؟ سواء قلنا منتهاه فوق العرش أو تحته. فإن قلتم: إلى الله تعالى فقد نقضتم مذهبكم القائل: بأن الله لا داخـل العـالم ولا خارجـه، وإن قلـتم: إلى فـضاء أو إلى مـشاهدة تلـك الكائنات خالفتم صريح النصوص كما سيأتي، وطولبتم بمرجح الإسراء إلى العلو دون أسفل.

الحادي عشر: هذه الشكوى من العرش من أهل الزور والغرور لم يكن لها مصداق يومئذٍ إذ العراك بين أهل التأويل والمُسَلِّمين صفات الله بلا كيف لم يحم وطيسه، إلا بعد ظهور جهم وتلامذته، ولم يكونوا في زمان الصحابة فضلًا عن زمان رسول الله ﷺ فضلًا عن وقت الإسراء فضلًا عن تقرر ذلك قبله حتى يعلمه العرش ويتضرر من دعاويهم؛ إلا أن يكون المراد بهم السابقين من أصحاب رسول الله ﷺ أهل ذلك الوقت، أو من كان قبل الإسلام من الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم على خلاف عقيدة الجهمية وحينئذٍ يعلم الله ورسوله والمؤمنون وكل عالم وعاقل يستضيئان بنور العلم والعقل من أهل

---

(١) يعني: المعراج. لأن الإسراء كان إلى بيت المقدس بنص القرآن، والمعراج إلى السماء.

الزور ومن أهل البهتان والفجور، ولا يشك شاك في أن من نسب هذا إليهم هو الخاسر المغبون والملعون الكفور.

الثاني عشر: **قولكم: (على العرش يكتب محمد رسول الله)**[1] هذا لم يقله العرش بلسان المقال، نعم جاء في بعض الأحاديث رواها الحاكم وأشكاله، وقد قال فيه الحافظ الذهبي: «لم يستح هذا الرجل من الله ورسوله أن يروي مثل هذه الأحاديث بهذا اللفظ أو مثله مما يدل على هذا المعنى». وبالجملة فمثل تلك الأحاديث/ لا يحتج بها في فرع ولا أصل. [٤٠]

الثالث عشر: **قولكم عنه: (ولا بد لي من نصيب من هذه الرحمة... إلخ)** يقال عليه ألـم تكفه رحمة الله العامة الشاملة لجميع المخلوقين التي كان بها

---

(١) لعله يقصد ما روي عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: أوحى الله إلى عيسى عليه السلام، يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولا محمد ما خلقت الجنة ولا النار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن» أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٦١٤-٦١٥، من طريق عمرو بن أوس الأنصاري، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس. قال الحاكم عقب الحديث: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: أظنه موضوعًا على سعيد». وقال في الميزان ٣/ ٢٤٦ في ترجمة عمرو بن أوس، يُجهل حاله أتى بخبر منكر فذكر هذا الحديث». وأقره ابن حجر في لسان الميزان ٤/ ٤٠٧، وقال الألباني في الضعيفة ١/ ٤٤٨ حديث ٢٨٠: «لا أصل له مرفوعًا».
وساق الحاكم بعده حديثًا آخر من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وفيه «فرفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا لا إله إلا الله محمد رسول الله» المستدرك ٢/ ٦١٥، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي فقال: بل موضوع وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واهٍ».

رسول الله ﷺ رحمةً، ولولا ها لم يوجد في الكون رحيم ولا مرحوم، وقد أرسل الله رسوله رحمة للعالمين، وهم الإنس والجن، فالزيادة على هذا لا حجة عليها حسبما بيناه فيما كتبناه على «تنوير الحلك» للسيوطي(١).

الرابع عشر: **قولكم عنه: (أن تشهد لي بالبراءة...)** يقال عليه ألم تكفه أيضًا شهادة الله، وكفى بالله شهيدًا، وشهادةُ الملائكة، والملائكة يشهدون.

الخامس عشر: أي ملام على العرش وعتاب عليه إذا لم يرض على ما تقوَّله عليه أهل الزور حتى يحتاج إلى هذه الاستغاثة وهذا التضرع الذي لا يقع إلا من مذنب.

السادس عشر: أهل الزور إن كانوا هم المتمسكين بنصوص الكتاب والسنة فالتمسك بهما عندكم زور وغرور، نسأل الله السلامة والعافية من هذه البلية، بل النافون للنصوص المتمسكون بالخيالات والأوهام هم أحق بالزور والغرور.

السابع عشر: **قولكم عنه: (وزعموا أني أسع.... إلخ)** فيه أنهم لم يزعموا أن العرش يسعه ولا أنه يحيط به، بل يقولون إن الله محيط بالعرش وغيره ويستدلون لذلك بنصوص الكتاب والسنة كقوله ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠﴾ [البروج: ٢٠]. ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧، ٢٦١، ٢٦٨] [آل عمران: ٧٣] [المائدة: ٥٤]، [النور: ٣٢]. فالكذب عار ولو على العدو.

الثامن عشر: **قولكم عنه: (من لا حدَّ لذاته ولا عدَّ لصفاته... إلخ)** يلزمكم على هذا القول بالحلول فإنه إذا لم يكن مباينًا لخلقه، ولا بينه وبينهم

---

(١) ويسمى: «تنوير الحوالك».

حد كانت ذاته داخلة في الكون لا محالة أو كانت ذاته ذاتهم وهو القول بالإتحاد وكلاهما كُفْرٌ.

التاسع عشر: **قولكم: (لا عَدَّ لصفاته)** يخالف الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ: **«إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة»**[1] والمحققون من علماء/ [٤١] الإسلام حصروها في هذا العدد[2]، وضعفوا الدليل على ما زاده الغير.

العشرون: **قولكم عنه: (كيف يكون مفتقرًا إليَّ أو محمولًا عليَّ...)** هذا بهتان وكذب على خصومكم، إذ لم يقولوا بافتقاره إلى عرشه، ولا أنه محمول له حمل الأجسام، وإنما قالوا: إنه فوقه وعالٍ عليه، ونفوا عنه أن يكون كعلو

---

(١) الحديث بهذا اللفظ أخرجه البخاري في صحيحه ٢/ ٩٨١-٩٨٢حديث ٢٥٨٥، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط. و ٥/ ٢٣٥٤حديث ٦٠٤٧، كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحد. و ٦/ ٢٦٩١حديث ٦٩٥٧، كتاب التوحيد، باب إن الله مائة اسم إلا واحدًا. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٦٢-٢٠٦٣حديث ٢٦٧٧، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى، وفضل من أحصاها. وأخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٥٣٠-٥٣٢حديث ٣٥٠٦و ٣٥٠٧و ٣٥٠٨، كتاب الدعوات، باب ٨٣. ووابن ماجة في سننه ٢/ ١٢٦٩حديث ٣٨٦١، كتاب الدعاء، باب في أسماء الله عز وجل. والنسائي في سننه الكبرى ٤/ ٣٩٣حديث ٧٦٥٩، كتاب النعوت، باب قول الله جل ثناؤه ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] وأحمد في مسنده ١٢/ ٤٦٩حديث ٧٥٠٢ كلهم من طريق أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة مرفوعًا نحوه.

(٢) الصحيح عدم الحصر، وسياق الحديث لا يدل على أنه يعني الحصر.

وحمل المفتقر إلى الظرف أو السطح المحمول عليه، إذ فرق بين صفات الخالق والمخلوق.

الحادي والعشرون: **قولكم عنه: (إذا كان الرحمن اسمه... إلخ)** لا يلزم من كون الاستواء من صفة الذات أن يكون مفتقرًا إلى حمل العرش كما قدمناه.

الثاني والعشرون: **قولكم عنه: (فكيف يتصل بي أو ينفصل عني... الخ)** هذا عجب منكم وممن تقوَّلتموه عليه، إذ كيف يوصف بمتناقضين فلا يتصل ولا ينفصل، بينما أنتم تستدلون على الانفصال إذ نفيتموه والاتصال، ولكن اضطررتم لذلك البناء على أصل مذهبكم من وصف الله بالمتناقضين، حيث قلتم: لا خارج العالم ولا داخله وهما لا يقعان إلا على العدم، وقد أعدَّ لهذا التناقض جوابًا لا يسمن ولا يغني من جوع أشياخكم الجهمية حيث قالوا: إنما يوصف بالدخول والخروج الجوهر والعرض، والله ليس بهما، وقد صدقوا في أنه سبحانه وتعالى ليس بهما ولكن الموجود القديم والحادث لا بد لهما من وجود خارج الأذهان ولا خارج عن الأذهان إلا في العالم أو غيره، فإما أن تقولوا في العالم فحلولية أو إتحادية وإما أن تقولوا في غيره مباينًا لخلقه، وحول إنكاره تدندنون وعلى نفيه تستدلون، فلم يبق في أيديكم إلا الوجود الذهني وتعالى الله سبحانه [عن][1] أن يكون ذهنيًا فقط، إذ هي دعوى العدم وهي أشنع دعاوي الكفر.

والعجب منكم أيضًا كيف نفيتم صفة الاستواء ومثلها؛لأن عقولكم لم

(١) في الأصل: «على».

تقبل فيها إلا مشابهة الخلق مع أن هذا الحكم ليس بواجب عقلًا بل من الممكن العقلي، وقد رفعه قول الله عز وجل: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١]. وقبلتم التناقض المؤدي إلى العدم واستحالته واجبة بالعقل والنقل وغيرهما، وإنا لله وإنا إليه راجعون من التعصب المؤدي إلى هذا وأمثاله.

[٤٢] وقد استدل بعض الناس من هؤلاء في «شراح المرشد»[١]/ على أن لا خارج ولا داخل ليس من المتناقضين بكلمات أصح منهما معنى الهذيان وسيأتي ردها والله الموفق للصواب.

وقولكم: (قال بعض العلماء ينبغي لكل مؤمن..) إلى قوله: **(فالصنم معبوده).**

يقال عليه: هذا شكل آخر من الاستدلال من نمط ما قبله، وهذا الرجل حيث لم يجد برهانًا ولا دليلًا من الكتاب والسنة وإجماع الأمة لم يبق بيده إلا الاستدلال بالمجهولات والأوهام.

---

(١) كذا في الأصل «شراح المرشد» ولعل الصواب «شرح المرشد» انظر: الدر الثمين والمورد المعين لميارة ١/ ٢٩. قال: «سئل الإمام العالم أبو عبد الله سيدي محمد بن جلال هل يقال المولى تبارك وتعالى لا داخل العالم ولا خارج العالم فأجاب السائل هكذا نسمعه من بعض شيوخنا.... وزعم أن ابن مقلاش هكذا أجاب عنه في شرحه على الرسالة فأجاب بأنا نقول ذلك ونجزم به ونعتقد أنه لا داخل العالم ولا خارج العالم والعجز عن الإدراك إدراك لقيام الدلائل الواضحة على ذلك عقلًا ونقلًا». وسيأتي كلامهم والرد عليه في ص ١٢٧ و ١٣٦ من هذا البحث.

وعليه فيقال له أولًا: مَنْ هذا البعض المجهول الذي لا يحتج بقوله لو كان معلومًا بالمعرفة والإتقان فضلًا عن وصفه بدونها وبكونه مجهولًا.

وثانيًا: **قوله: (ينبغي لكل مؤمن إذا كان من لا يحفظ هذه الكلمات معبوده الصنم).**

فيكف يعبر عن الحكم في جانبه «ينبغي» التي لا تطلق غالبًا إلا على مستحسن أو ما يقاربه، بل المطلوب من التعبير في جانبه أن يقال: يجب عليه وجوبًا من تركه كفر.

وثالثًا: هذه الكلمات التي أوجبتموها على كل مؤمن بمعناها ولفظها أفي كتاب الله أم سنة رسول الله أم إجماع الأمة أم وجدتم إيجابها بهذا المعنى وهذا اللفظ؟ نعم لو كان قائلها نبيًا لكان حقًا ما قال، ولكن لا نبي بعد رسول الله ﷺ.

ورابعًا: كيف يكون الصنم معبود من لم يحفظ أن العرش سقف الجنان مع أنه لو مات جاهلًا ذلك مع تمكنه من التعلم لما مات عاصيًا؛لأنه لا يجب عليه ذلك كما لا يجب عليه أن يعلم هل الملائكة أفضل أم البشر في نظائر كثيرة نص عليها العلماء؟

وخامسًا: **قوله: (مستقر الرحمن).**

إن كان بمعنى استقرار الأجسام فهذا لا يقول به خصمكم، فالاستدلال في حقه ضائع، وإن كان بمعنى علوه ووصف يليق به فهو حرف النزاع وعلى نفيه تستدلون بهذه الخيالات.

وسادسًا: **قوله: (والكرسي آية القدم).**

ما يريد هذا الرجل بآية القدم؟ إن كان معناه الدلالة على قدم الله فلا خصوصية للمدلول عليه، بل وعلى وجوده وغيره من الصفات ولا للكرسي بل في كل شيء له آية تدل على أنه الواحد ولكن أسباب التخصيص واضحة عند هذا الرجل، وهي تسجيع كلمات المنهي عن تكليفه والإكثار منه.

وسابعًا: **قوله: (لا موضع القدم).**

ينظر في المردود عليه بهذا من هو؟[1] فإنه لم يقل أحد ولو من المجسمة إن الكرسي خاص بالقدم، وإنما يقولون الجلوس عليه كجلوس الأجسام وهذا لا يكون بالقدم.

وأما خصمكم فينزه الله تعالى عن الجارحة وصفة الجسم. وإنما يثبت لله صفة تشترك مع صفة الخلق وأسمائهم في مجرد الاسمية دون المعنى وهذا معلوم في الشاهد، فإن العين مثلًا تشترك بين مسميات كثيرة متباينة وربما كانت متنافية وكالقرء والجَوْن كمسميات دنيوية وأخروية تشترك في الأسماء وبين معانيها بون كما بين الضب والنون، وما بين الثرى والثريا، فإذا كان هذا

(١) ورد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره». أخرجه ابن أبي شيبة في صفة العرش برقم (٦١) والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٢) موقوفا، قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ورواه ابن خزيمة في التوحيد (٧١-٧٢) وعبد الله بن أحمد في السنة (ص ٧٠) وصححه الألباني في تخريجه لأحاديث شرح الطحاوية (ص ٣١٢). وروي مرفوعا ولا يصح. ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٦٨٤).

ضروريًا فكيف بصفة القديم مع صفة الحادث مشتركتين في الاسم إذ العلم قاطع بتباينهما تباينًا لا يكتنه كنهه.

وثامنًا: **قوله: (والسماء معدن المُلْك لامسكن الملِك).**

يسأل ما أراد بالمعدن والملك إن كان لفظ الملك بضم الميم وسكون اللام فلا خصوصية للسماء بل الكائنات كلها في ذلك سواء، وإن كان لفظ المَلَك بفتحَتين فالمعنى متقارب ولكن لا معنى للتعبير بالمعدن لا في جانب الملك ولا الملك وإن كان لفظ المَلِك بفتح الميم وكسر اللام جاء ما تقدم من عدم التخصيص في السماء وركاكة التعبير بالمعدن مع ما فيه من إيهام كون الملك منه بالمعاني الثلاث/. [٤٤]

وتاسعًا: **قوله: (لا مسكن المَلِك).**

يظهر أن مراده بهذا اللفظ المَلِك بفتح الميم وكسر اللام وحينئذٍ لا ينهض دليلًا على خصمه؛ لأنه لا يثبت له مسكنًا لا في سماء ولا أرض ولا غيرهما.

وعاشرًا: **قوله: (استواؤه) إلى قوله: (غفرانه).**

هذا مذهب الجهمية والمعطلة من إنكار صفة الله والدلائل الدالة عليها وتأويلها من محبة الله ورضوانه واستوائه على عرشه وغير ذلك من صفات الله سبحانه.

وحادي عشر: **قوله: (فالصنم معبوده).**

لا أدري من قلّد في هذا؟ فإن سلفه الجهمية والمعطلة لم يطلقوا هذا على

من خالفهم ممن أثبت تلك الصفات وإنما جَّهلهم الأكثر ولم يكفروهم؟ والمكفر منهم لم يبلغ بهم عبادة الصنم.

الثاني عشر: هذا الكاتب يجمع بين الدليلين المتناقضين، ولا يجب عن تناقضهما وقد سلم هنا ما قال، وسلم ما يأتي من أن الأصح أن معتقد الجهة لا يكفر وبقي بحث يأتي عند ذكره لكلام الرازي[1].

قوله: (ولهذا قال العلماء المفسرون).

إن كان الجهمية والمعطلة فلِمَ لم يُقيد بهم وأطلق إيهامًا للسامع والقارئ.

إن هذا القول لعلماء التفسير جميعًا، وإن كان مفسرو السنة والسلف فحاشاهم من حمل الاستواء على القهر والغلبة، وهذه نصوص من استحضرنا منهم:

(وقال أبو عبد الله القرطبي في تفسيره المشهور[2] في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. (هذه المسألة للفقهاء فيها كلام) ـ ثم ذكر قول المتكلمين ـ ثم قال: (وقد كان السلف الأول لا يقولون بنفي الجهة، ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق بها في كتابه،

---

(١) هو فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسين القرشي، البكري الطبرستاني الأصولي، ولد سنة ٥٤٤هـ، المفسر كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين، في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة، لكنه ندم على ذلك ورجع عنه توفي رحمه الله سنة ٦٠٦هـ. السير ٢١/٥٠٠-٥٠١، وطبقات السبكي ٥/٣٣-٤٠، ولسان الميزان ٤/٤٢٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/٢١٩-٢٢٠.

وأخبرت به رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وإنما جهلوا كيفية الاستواء) كما قال مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول)[1].

قال الحافظ ابن كثير في قوله تعالى﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، [يونس: ٣]، [الرعد: ٢]، [الفرقان: ٥٩]، [السجدة: ٤]، [الحديد: ٤]. «فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما/ نسلك في هذا المقام [٤٥] مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف[2] ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله؛فإن الله لا يشبهه شيءٌ من خلقه و﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١]. بل الأمر كما قال الأئمة ـ منهم نعيم بن حماد الخزاعي[3] شيخ البخاري قال ـ: «من شبه الله بخلقه كفر[4]، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر[5] ـ وليس فيما

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/٢١٩.

(٢) في تفسير ابن كثير ٣/٤٢٧ زيادة ولا تشبيه.

(٣) أبو عبد الله المروزي الفارض، روى عنه البخاري مقرونًا، قال أحمد: أول من عرفناه بكتب المسند نعيم. وقال العجلي: ثقة. توفي سنة ٢٢٨هـ. السير ١٠/٥٩٥-٦١٢، والتهذيب ٨/٥٢٦-٥٣٠، والتقريب ص ٥٦٤.

(٤) كذا في الأصل وفي تفسير ابن كثير ٣/٤٢٧: «فقد كفر».

(٥) العلو للذهبي ٢/١٠٩٣ حديث ٤٢٩.

وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه».

فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى»[1].

قال البغوي: «﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، [يونس: ٣]، [الرعد: ٢]، [الفرقان: ٥٩]، [السجدة: ٤]. قال الكلبي، ومقاتل: استقر، وقال أبو عبيدة: صعد[2]، وأوَّلت المعتزلة: الاستواء بالاستيلاء، فأما أهل السنة يقولون[3]: الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف، يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل، وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. كيف استوى؟ فأطرق رأسه مَلِيًّا، وعلاه الرُّحَضَاء[4]، ثم قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالًا ثم أمر به فأخرج»[5].

وروي عن سفيان الثوري والأوزاعي، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٤٢٦-٤٢٧، تفسير سورة الأعراف الآية: ٥٤.

(٢) متن القصيدة النونية لابن القيم (١/ ٨٧).

(٣) كذا في الأصل وفي تفسير البغوي ٣/٢٣٥ «وأما أهل السنة فيقولون».

(٤) الرحضاء: هو عرق يغسل الجلد لكثرته، وكثيرًا ما يُسْتعمل في عَرَق الحُمَّى والمرض. النهاية في غريب الحديث ٢/٢٠٨، والفائق للزمخشري ٢/٤٨.

(٥) تقدم تخريج قول الإمام مالك في ص٥٣.

جاءت في الصفات المتشابهات(١): أمروها كما جاءت بلا كيف»(٢).

قال الألوسي(٣): «وأنت تعلم أن مذهب السلف إثبات الفوقية لله تعالى كما نص عليه الإمام الطحاوي وغيره، واستدلوا لذلك بنحو ألف دليلٍ.

وقد روى الإمام أحمد في حديث الأوعال عن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: **«وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهُ»**(٤) وروى أبو داوود عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم(٥)، عن أبيه(٦)، عن جده قوله ﷺ للرجل الذي استشفع بالله تعالى عليه: **«وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللَّهُ تَعَالَى؟/ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ، وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ [عَلَيْهِ]**(٧)**، وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ**(٨) [٤٦]

---

(١) كذا في الأصل، وفي معالم التنزيل للبغوي ٣/٢٣٦: «المتشابهة».

(٢) معالم التنزيل للبغوي ٣/٢٣٥-٢٣٦.

(٣) هو محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين ولد سنة ١٢١٧هـ، كان شيخ العلماء في العراق، وكان ذا حافظة عجيبة، قال: ما استودعت ذهني شيئًا فخانني، توفي سنة ١٢٧٠هـ. مقدمة تفسير الألوسي ص ٣-٤. والتفسير والمفسرون للذهبي ١/٣٥٢-٣٦٢.

(٤) تقدم تخريجه في ص ٦٢.

(٥) قال ابن حجر: مقبول من السادسة. التقريب ص ١٣٨.

(٦) محمد بن جبير بن مطعم النوفلي، قال ابن حجر: ثقة عارف بالنسب، مات على رأس المائة. التقريب ص ٤٧١.

(٧) كلمة «عليه» ساقطة في الأصل وإثباتها من سنن أبي داود.

(٨) الأطيطُ: صوت الأقتاب، وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها. النهاية في غريب الحديث ١/٥٤.

الرَّحْلِ الجديد[1] بِالرَّاكِبِ»[2].

(١) كلمة «الجديد» لم أجدها في مصادر التخريج الآتية، لكنها موجودة في روح المعاني، وعزاه ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٦/٥٨٨، و ١٦/٤٣٧ إلى سنن أبي داود.

(٢) أخرجه أبوداود في سننه ٥/٩٤-٩٥حديث ٤٧٢٦، كتاب السنة، باب في الجهمية. والبغوي في شرح النسة ١/١٧٥-١٧٦، حديث ٩٢. وابن خزيمة في التوحيد ص ١٠٣-١٠٤، والبخاري في التاريخ الكبير ٢/٢٢٤، والدرامي في نقض عثمان بن سعيد ١/٤٦٨-٤٦٩، وفي الرد على الجهمية ص ٦٦ حديث ١٦، وابن أبي عاصم في السنة ١/٢٥٢-٢٥٣حديث ٥٧٥و ٥٧٦، والبزار في البحر الزخار ٨/٣٥٤-٣٥٥حديث ٣٤٣٢، وابن أبي شيبة في كتاب العرش ص ٥٦-٥٧حديث ١١، وابن أبي حاتم في التفسير ١/٦١حديث ٢٢٣، والآجري في الشريعة ٣/١٠٩٠-١٠٩١حديث ٦٦٧ والطبراني في الكبير ٢/١٢٨-١٢٩ح ١٥٤٧ والعظمة ٢/٥٥٤-٥٥٦حديث ١٩٨، واللالكائي ٣/٣٩٤ح ٦٥٦ والبيقهي في الأسماء ٢/٣١٧-٣١٨ح ٨٨٣ ويأتي الحديث بأتم من هذا في ص ١٥٨. وليس فيه لفظ «الجديد».

قال ابن تيمية: «وحديث الأطيط ألف فيه ابن عساكر جزءً، وجعل عمدة الطعن في ابن إسحاق، والحديث قد رواه علماء السنة كأحمد، وأبي داود، وغيرهما، وليس فيه إلا ما له شاهد من رواية أخرى، ولفظ «الأطيط» قد جاء في غيره» مجموع الفتاوى ١٦/٤٣٥.

وقال الذهبي في العلو عقب الحديث: «هذا حديث غريب جدًا فردٌ، وابن اسحاق حجة في المغازي إذا أسند، وله مناكيرٌ وعجائب، فالله أعلم أقال النبي ﷺ هذا أم لا. واللهُ فليس كمثله شيء، والأطيط الواقع بذات العرش من جنس الأطيط الحاصل في الرَّحل، فذاك صفة للرَّحل وللعرش ومعاذ الله أن نعده صفة لله، ثم لفظ الأطيط لم يأت به نص ثابت» العلو للعلي الغفار - (١ / ٤٤)، وقال ابن كثير في تفسير آية الكرسي ١/٦٨١«غريب» وقال ابن القيم في مختصر الصواعق ٣/١٠٦٧: «رواه أبو داود بإسناد حسن عنده». وأطال ابن القيم في دفع الطعون عن هذا الحديث في تهذيب السنن ٧/٩٤، فليراجعه من =

وأخرج الأموي[1] في مغازيه من حديث صحيح أن النبي ﷺ قال لسعد يوم حكم في بني قريظة «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ مِنْ فَوْقِ سبع سموات»[2].

= أراد الاستزادة. وقال الألباني في تخريج الطحاوية ص ٢٧٨ حاشية ٢٩٥ وص ٢٨٣ حاشية ٣١١ «ضعيف الإسناد، ولا يصح في أطيط العرش حديث».

وذكر ابن كثير البداية والنهاية ١/ ١٨ : «مصنف الإمام ابن عساكر جزءًا في الرَّدّ على هذا الحديث، سماه بـ «بيان الوهم والتَّخلِيطِ الواقع في حديث الأطيط».

(١) هو سعيد يحيى بن سعيد بن أبان الأموي، أبو عثمان البغدادي، ذكر الذهبي أنه مصنف كتاب المغازي، وثقه النسائي، وقال أبو حاتم، وصالح بن محمد: صدوق. زاد صالح، إلا أنه كان يغلط. توفي سنة ٢٤٩هـ. السير ٩/ ١٣٩، و ٢٠/ ١٩٥، وتاريخ بغداد ٩/ ٩٠-٩١، وتهذيب الكمال ٧/ ٣٢٢-٣٢٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ١١٠٧ حديث ٢٨٧٨، كتاب الجهاد، باب إذا نزل العدو في حكم رجل. و ٣/ ١٣٨٤ حديث ٣٥٩٣، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن معاذ، و ٤/ ١٥١١ حديث ٣٨٩٥، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، و ٥/ ٢٣١٠ حديث ٥٩٠٧، كتاب الأستئذان، باب قول النبي ﷺ قوموا إلى سيدكم. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٣٨٨-١٣٨٩ حديث ١٧٦٨، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد. وليس فيهما لفظة: «من فوق سبع سموات» وقد أخرجها ابن سعد في الطبقات ٣/ ٤٢٦، والنسائي في المناقب من الكبرى ٥/ ٦٢-٦٣ح ٨٢٢٣ والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٣٢١ حديث ٨٨٥، والذهبي في السير ١/ ٢٨٨-٢٨٩ كلهم من طريق محمد بن صالح التمار، عن سعد بن إبراهيم، عن عامر بن سعد، يحدث عن أبيه سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن حجر في الفتح ٧/ ٤١٢ : «رواه شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن سعد، قال=

وروى ابن ماجة يرفعه قال: «[بينا][1] أهل الجنّة في نعيمهم إذ سطع لهم نورٌ، فرفعوا إليه رءوسهم فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم وقال: يا أهل الجنّة سلام عليكم، ثم قرأ ﷺ قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يس: ٥٨]. فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيءٍ من النّعيم ما داموا ينظرون إليه»[2].

= سمعت أبا أمامة، قال سمعتُ أبا سعيد الخدري، ورواه محمد بن صالح بن دينار التمار المدني، عن سعد بن إبراهيم فقال: عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، أخرجه النسائي، ورواية شعبة أصح، ويحتمل أن يكون لسعد بن إبراهيم فيه إسنادان». وقال ابن أبي حاتم في العلل ١/٣٢٥-٣٢٦: «سألت أبي عن حديث رواه خالد بن عبد الرحمن، عن محمد بن صالح التمار، عن سعد بن إبراهيم .فذكر هذا الحديث ثم قال: - قال أبي: «رواه شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ وهو أشبه وذلك خطأ، ومحمد بن صالح شيخ لا يعجبين حديثه».

قال الألباني في تخريج الطحاوية ص ٢٨٣: «صحيح بدون قوله «فوق سبع سماوات»

وله طريق أخرى مرسلة ذكرها ابن حجر فتح الباري ٧/٤١٢. حيث قال: «وفي رواية ابن إسحاق من مرسل علقمة بن وقاص «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة».

(١) في الأصل (بين) وما أثبته من مراجع التخريج.

(٢) هذا الحديث جاء من ستة طرق عن أبي عاصم العباداني، عن الفضل بن عيسى، عن محمد بن المنكدر، عن جابر مرفوعًا. أخرجه ابن ماجة في سننه ١/٦٥-٦٦ حديث ١٨٤، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية. أبو نعيم في الحلية ٦/٢٠٨-٢٠٩، وفي صفة الجنة ١/١١٩ حديث ٩١. والبيهقي في البعث والنشور ص ٢٤٩-٢٥٠ حديث ٤٩٣. والبزار في مسنده كما في كشف الأستار ٣/٦٧ حديث ٢٢٥٣، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في =

وصح[1] أن عبد الله بن رواحة أنشد بين يدي رسول الله ﷺ أبياته

= تفسير بن كثير ٦/ ٥٨٣. والآجري في الشريعة ٢/ ١٠٢٧-١٠٢٨ حديث ٦١٥. والبغوي في تفسيره ٧/ ٢٣، . وابن عدي في الكامل ٦/ ٢٠٣٩-٢٠٤٠، والعقيلي في الضعفاء الكبير ٢/ ٢٧٤-٢٧٥، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ٤٨٢ حديث ٨٣٦، ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ص ٩٩ حديث ٩٨، بمثل لفظ ابن ماجة. ويأتي الحديث مكررًا في ص ١٦٢-١٦٣.

قال البزار عقب الحديث: «لا نعلمه يروى عن جابر، إلا بهذا الإسناد». وقال ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ٢٦١-٢٦٢: «هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ ومدار طرقه كلها على الفضل بن عيسى الرقاشي، قال يحيى بن معين: رجل سوء. ثم في طريقه الأول والثاني عبد الله بن عبيد الله قال العقيلي: لا يعرف إلا به ولا يتابع عليه». وقال ابن كثير في تفسيره ٦/ ٥٨٣: «في إسناده نظر». وقد أعله ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٦/ ٤٤٨-٤٤٩. بالفضل بن عيسى الرقاشي، ثم قال: وقد رويناه من طريق أخرى معروفة إلى سلمة بن شبيب، حدثنا بشر بن حجر، حدثنا عبد الله بن عبيد الله، عن محمد بن المنكدر، عن جابر مرفوعًا ثم قال: وهذه الطريق تنفي أن يكون قد تفرد به الفضل الرقاشي». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ٩٨. «رواه البزار، وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي، وهو ضعيف». وقال الألباني في ضعيف الترغيب: ٢/ ٥١١ حديث ٢٢٤٤. في وراية أبي نعيم والبيهقي «موضوع». وقال: في رواية ابن ماجة وابن أبي الدنيا «منكر».

الثاني: الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي، أبو عيسى البصري، قال أحمد: ضعيف. وقال أبو زرعة، وأبو حاتم:

منكر الحديث. وسئل أبو داود عن الفضل فقال: كان هالكًا. وقال النسائي: ضعيف. وقال ابن عدي: والضعف بَيِّن على ما يرويه. وقال ابن حجر: منكر ورمي بالقدر من السادسة. تهذيب الكمال ٣٣/ ٢٤٤-٢٤٧، والتقريب ٤٤٦.

(١) قال ابن عبد البر في الاستيعاب ٣/ ٩٠٠-٩٠١ «وقصته. يعني ابن رواحة. مع زوجته حين =

التي عرض بها عن القراءة لامرأته حين اتهمته بجاريته:

شـــهدت بـــأن وعـــد الله حـــق وأن النـــار مثـــوى الكفـــارين[1]

وأن العـــرش فـــوق المـــاء طـــافٍ وفـــوق العـــرش رب العـــالمين[2]

وتحملــــــه مــــــلائكة شــــــداد ملائكــــــة الإله مــــــسومين[3]

فأقره عليه الصلاة والسلام على ما قال وضحك منه.

وكذا أنشد حسان بن ثابت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قوله:

شهـــدت بإذن الله أن محمـــــــدًا رسول الذي فوق السموات من عَلُ

وأن أبا يحيا[4] ويحيـــــا كلاهما لَهُ عَمَلٌ من ربـه[5] متــــــــقبَّلُ

وأن الذي عدى[6] اليهود ابن مريم رسول أتى من عند ذي العرش مرسل

وقع على أمته مشهورة رويناها من وجوه صحاح.. ».

(1) كذا في الأصل وفي مختصر الصواعق ٣/١٠٦٥ وروح المعاني ٥/١٦٦، الكافرينا.

(2) كذا في الأصل وفي روح المعاني ٥/١٦٦، العالمينا.

(3) كذا في الأصل وفي روح المعاني ٥/١٦٦، مسومينا.

(4) هو زكريا عليه السلام.

(5) في ديوان حسان ٣٧٢ «في دِينِهِ».

(6) كـذا في الأصـل وفي روح المعـاني ٥/١٦٦، والـسير للـذهبي ٢/٥١٩، وديـوان حـسان «عادى».



وأن أخا الأحقاف[١] إذ قام فيهم[٢] يقـوم بذات[٣] الله فيهـم ويَعْـدِلُ[٤]

فقال النبي ﷺ: «وأنا أشهد»[٥].

وروى عكرمة[٦]، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى حكاية عن إبليس ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ ﴾ [الأعراف:

---

(١) أخ الأحقاف هو هود عليه السلام، وكأن حسان يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأحقاف: ٢١] والأحقاف: جمع حِقْفٍ من الرمل. والعرب تسمي الرمل المعوجّ حِقافًا، وهي الأرض التي بعث فيها هود عليه السلام، وتقع جنوب شبه الجزيرة العربية، وشمال حضرموت، وفي شمالها الربع الخالي، وفي شرقها عُمان، وموضع قوم عاد اليوم رمالٌ ليس بها أنيس ولا سمير. المعالم الأثرية في السنة والسيرة ص ٢٠. ومعجم البلدان ١/ ١١٥.

(٢) كذا في الأصل وفي ديوان حسان ص ٣٧٢: «إذْ يَعْذُلُونَهُ».

(٣) كذا في الأصل، وفي ديوان حسان ص ٣٧٢: «بدين».

(٤) الأبيات ذكرها ابن القيم في مختصر الصواعق ٣/ ١٠٦٦ ولم يذكر البيت الثالث. وقد نسب الذهبي في السير ١/ ٢٣٨-٢٣٩ البيت الأول والثاني لابن رواحة، ثم قال: «وقد رويا لحسان بن ثابت» ثم ذكرها جميعًا منسوبة لحسان في السير ٢/ ٥١٩.

(٥) انظر السير ٢/ ٥١٩ والأغاني لابي الفرج الأصفهاني ٤/ ١٥٦. ساقه الذهبي في السير من طريق عبدة بن سليمان، عن أبي حيان التيمي، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: أنشد حسان النبي ﷺ فذكر الأبيات ثم قال: وهذا مرسل».

(٦) أبو عبد الله، مولى ابن عباس، أصله بربري، ثقة ثبت عالم بالتفسير، مات سنة ١٠٤هـ. التقريب ص ٣٩٧.



١٧]. إنه قال: «لم يستطع أن يقول: ومن فوقهم؛لأنه قد علم أن الله سبحانه وتعالى من فوقهم»(١).

[٤٧] والآيات والأخبار التي فيها التصريح بما يدل على الفوقية/ كقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [الجاثية: ٢، الأحقاف: ٢]. و﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]. و﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]. و﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]. وقوله ﷺ فيما أخرجه مسلم(٢): «**وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ**» كثيرة جدًا.

وكذا كلام السلف في ذلك فمنه ما روى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري(٣) في كتابه «الفاروق»(٤) بسنده إلى أبي مطيع البلخي(٥) أنه سأل

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٣٧/٨) إلا أن في آخره «لأن الرحمة تنزل من فوقهم».

(٢) في صحيحه ٤/ ٢٠٨٤حديث ٢٧١٣، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٣) عبد الله بن محمد بن علي بن محمد أبو إسماعيل الهروي، الإمام العلامة المحدث الحافظ شيخ خراسان من ذرية الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولد بمدينة هراة سنة ٣٩٦هـ وتوفي بها سنة ٤٨١هـ. السير ١٨/ ٥٠٣-٥١٨، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٦٤-٨٥، والمنتخب من السياق ص ٢٨٤-٢٨٥.

(٤) نسبه له الذهبي في السير ١٨/ ٥٠٩-٥١٤، وقال: كدر كتابه بذكر أحاديث باطلة يجب بيانُها وهتكها، والله يغفر له بحسن قصده».

(٥) هو الحكم بن عبد الله بن مسلمة بن عبد الرحمن، أبو مطيع البلخي الخراساني القاضي، صاحب الإمام أبي حنيفة، وراوي كتابه الفقه الأكبر، قال فيه الذهبي: «تفقه به أهل تلك =

أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه عمن قال: لا أعرف ربي سبحانه في السماء أم في الأرض؟ فقال: «قد كفر؛لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه: ٥]. وعرشه فوق سبع سموات» فقال: قلت: فإن قال: إنه على العرش ولكن لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ فقال رضي الله تعالى عنه: هو كافر؛لأنه أنكر آية في السماء، ومن أنكر آية في السماء فقد كفر[1]، وزاد غيره إن الله تعالى في أعلى عليين وهو يُدعى من أعلى لا من أسفل.

وأيَّد القول بالفوقية أيضًا بأن الله تعالى لما خلق الخلق لم يخلقهم في ذاته المقدسة تعالى عن ذلك، فإنه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، فتعين أنه خلقهم خارجًا عن ذاته ولو لم يتصف سبحانه وتعالى بفوقية الذات مع أنه قائم بنفسه غير مخالط العالم وأنه موجود في الخارج ليس وجوده ذهنيًا فقط، بل وجوده خارج الأذهان قطعًا. وقد علم كل العقلاء بالضرورة أن ما كان وجوده كذلك فهو إما داخل العالم وإما خارج عنه، وإنكار ذلك إنكار ما هو

= الديار، وكان بصيرًا بالرأي علامة كبير الشأن، ولكنه واهٍ في ضبط الأثر. مات ببلخ سنة ١٩٩هـ وقيل سنة ١٩٧هـ. ميزان الاعتدال ١/٥٧٤-٥٧٥، ولسان الميزان ٢/٣٣٤-٣٣٥، والطبقات السنية ٣/١٧٨-١٨٠.

(١) مجموع الفتاوى ٥/١٨٣، وشرح الطحاوية ص ٣٢٢-٣٢٣، واجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٣٩، والعلو للذهبي ٢/٩٣٢حديث ٣٣٢، وإثبات صفة العلو لابن قدامة ص ١٧٠ حديث ٨١.

قال ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى ص ٨٧: «ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه: أنه كفّر الواقف الذي يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض، فكيف يكون الجاحد النافي الذي يقول: ليس في السماء ولا في الأرض».

أجلى البديهيات، فلا يستدل بدليل على ذلك إلا كان [العلم][1] بالمباينة أظهر منه وأوضح.

وإذا كان صفة الفوقية صفة كمال لا نقص فيها، ولا يوجب القول بها مخالفة كتاب ولا سنة ولا إجماع كان نفيها عين الباطل، لا سيما والطباع مفطورة على قصد جهة العلو عند التضرع إلى الله تعالى.

وذكر محمد بن الطاهر المقدسي[2] أن الشيخ أبا جعفر الهَمَذاني[3] حضر مجلس إمام الحرمين[4] وهو يتكلم في نفي صفة العلو ويقول: كان الله

(١) في الأصل «العالم»: والمثبت في روح المعاني ١٦٧/٥.

(٢) محمد بن طاهر بن علي بن أحمد الإمام الحافظ، أبو الفضل المقدسي، رحل في طلب العلم إلى القدس ومصر والحرمين والشام وغيرها، قال أبو زكريا يحيى بن مندة: كان أحد الحفاظ، حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، صدوقًا، عالمًا بالصحيح والسَّقيم، كثير التصانيف، لازمًا للأثر، توفي سنة ٥٠٧هـ. السير ٣٦١/١٩-٣٧١، ووفيات الأعيان ٢٨٧/٤-٢٨٨، والبداية والنهاية ٢٢٢/١٦-٢٢٤.

(٣) في الأصل: «الهمداني». الهَمَذَاني: بفتح الميم والذال معجمة، نسبة إلى هَمَذَان القبيلة، والهَمْدَاني: بالفتح والسكون والمهملة، نسبة إلى البلد. تبصير المنتبه ١٤٦٠/٤.
وأبو جعفر الهَمَذَاني هو محمد بن أبي علي الحسن بن محمد الهَمَذَاني، ولد بعد الأربعين وأربعمائة، كان من أئمة أهل الأثر ومن كبراء الصوفية، قال السمعاني: سافر الكثير إلى البلدان الشاسعة، ونسخ بخطه، وما أعرف أحدًا في عصره سمع أكثر منه. توفي رحمه الله سنة ٥٣١هـ. السير ١٠١/٢٠-١٠٢، وشذرات الذهب ٩٧/٤، والنجوم الزاهرة ٢٦٠/٥.

(٤) هو عبد الملك بن أبي محمد عبد الله بن يوسف، أبو المعالي الجويني، شيخ الشافعية، ولد سنة ٤١٩هـ، وهو من أئمة الأشاعرة، وتتلمذ عليه أبو حامد الغزالي، له مؤلفات كثيرة =

تعالى ولا عرش، وهو الآن على ما كان، فقال الشيخ أبو جعفر: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها، في قلوبنا فإنه ما قال عارف قط: يا الله! إلا وجد [في](١) قلبه ضرورة بطلب العلوِّ لا يلتفت يمينه ولا يساره، فكيف/ [٤٨] ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا؟! قال: فلطم الإمام على رأسه ونزل وأظنه قال: وبكى وقال: «حيرني الهَمَدَاني»(٢).

وبعضهم تكلف الجواب عن هذا بأن هذا التوجهَ إلى فوقٍ إنما هو لكون السماء قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة، ثم هو أيضًا منقوض بوضع الجبهة على الأرض مع أنه سبحانه ليس في جهة الأرض، ولا يخفى أن هذا باطل.

أما أولًا: فلأن: «السماء قبلة الدعاء» لم يقله أحد من سلف [الأمة](٣) ولا أنزل الله تعالى به من سلطان، والذي صح أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، فقد صرحوا بأنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة. وقد استقبل ﷺ الكعبة في دعائه في مواطن كثيرة، فمن قال: للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة فقد

= منها: «نهاية المطلب في المذهب» و«الرسالة النظامية في الأحكام الإسلامية» وفيه أعلن تراجعه عن مذهبه الكلامي الأشعري، توفي سنة ٤٧٨هـ. السير ١٨/ ٤٦٨-٤٧٧، وطبقات الشافعية للسبكي ٥/ ١٦٥-٢٢٢، وتبين كذب المفتري ص ٢٧٨-٢٨٥.

(١) ساقطة في الأصل، والمثبت من روح المعاني ٥/ ١٦٧

(٢) هذه القصة ذكرها الذهبي في السير ١٨/ ٤٧٤-٤٧٥و ٤٧٧، والسبكي في طبقات الشافعية ٥/ ١٩٠.

(٣) في الأصل [الأئمة] والمثبت من روح المعاني ٥/ ١٦٧.

ابتدع في الدين وخالف جماعة المسلمين.

وأما ثانيًا: فلأن القبلة ما يستقبله الداعي بوجهه كما تستقبل الكعبة في الصلاة، وما حاذاه الإنسان برأسه أو يديه مثلًا لا يسمى قبلة أصلًا، فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها، ولم يثبت ذلك في شرع أصلًا.

وأما النقض بوضع الجبهة فما أفسده من نقض، فإن واضع الجبهة إنما قصده الخضوع لمن فوقه بالذل، لا أن يميل إليه إذ هو تحته، بل هذا لا يخطر في قلب ساجد.

سمع عن بشر المريسي(١) أنه يقول: سبحان ربي الأسفل، تعالى الله سبحانه عما يقول الجاحدون والظالمون علوًا كبيرًا.

وتأول بعضهم كما نص فيه نسبة الفوقية إليه تعالى بأن فوق فيه بمعنى خير وأفضل كما يقال: الأمير فوق الوزير والدينار فوق الدرهم. وأنت تعلم أن هذا مما تنفر منه العقول السليمة، وتشمئز منه القلوب الصحيحة، فإن قول القائل ابتداءً: الله تعالى خير من عباده أو خير من عرشه من جنس قوله: الثلج

(١) بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي، أبو عبد الرحمن العدوي مولاهم البغدادي، شيخ الطائفة المريسية من المرجئة، قال فيه الذهبي: «المتكلم المناظر البارع.. ونظر في الكلام فغلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوى، وجَرَّد القول بخلق القرآن، ودعا إليه، حتى كان عين الجهمية في عصره وعالمهم، فمقته أهل العلم وكفره عِدَّةٌ، ولم يدرك جهم بن صفوان بل تلقف مقالاته من أتباعه» اهـ مات سنة ٢١٨هـ. السير ١٠/١٩٩-٢٠٢، وميزان الاعتدال ١/٣٢٢، والوافي بالوفيات ١٠/١٥١-١٥٢.

بارد،/ والنار حارة، والشمس أضوءُ من السراج، والسماء أعلى من سقف [٤٩] الدار ونحو ذلك، وليس في ذلك أيضًا تمجيد وتعظيم لله تعالى؛ بل هو من أرذل الكلام، فكيف يليق حمل الكلام المجيد عليه وهو الذي لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، على أن في ذلك تنقصًا لله تعالى شأنه ففي المثل السائر:

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل إن السيف خيرٌ من العصا(١)

نعم إذا كان المقام يقتضي ذلك بأن كان احتجاجًا على مبطل كما في قول يوسف الصديق عليه السلام ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩﴾ [يوسف: ٣٩]. وقوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا تشركون﴾ [النمل: ٥٩]. ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٣]. فهو أمر لا اعتراض عليه، ولا توجه سهام الطعن إليه.

والفوقية بمعنى الفوقية في الفضل مما يثبتها السلف لله تعالى أيضًا، وهي متحققة في ضمن الفوقية المطلقة، وكذلك يثبتون فوقية القهر والغلبة، كما يثبتون فوقية الذات، ويؤمنون بجميع ذلك على الوجه اللائق بجلال ذاته وكمال صفاته سبحانه وتعالى، منزهين له سبحانه عما يلزم ذلك مما يستحيل عليه جل شأنه، ولا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، ولا يعدلون عن الألفاظ الشرعية نفيًا ولا إثباتًا لئلا يثبتوا معنى فاسدًا وينفوا معنى صحيحًا، فهم يثبتون الفوقية كما أثبتها الله لنفسه.

وأما لفظ الجهة فقد يراد به ما هو موجود، وقد يراد به ما هو معدوم،

---

(١) تقدم نحو هذا الكلام وهذا البيت في ص (٧٦-٧٧).

ومن المعلوم أن لا موجود إلا الخالق والمخلوق فإذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله تعالى كان مخلوقًا، والله تعالى لا يحصره شيء، ولا يحيط به شيء من المخلوقات تعالى عن ذلك.

وإن أريد بالجهة أمر عدمي، وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله تعالى وحده، فإذا قيل: إنه تعالى في جهة بهذا الاعتبار فهو صحيح عندهم ومعنى ذلك أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات.

[٥٠] ونفاة لفظ الجهة الذين يريدون بذلك نفي العلو يذكرون/ من أدلتهم أن الجهات كلها مخلوقة، وأنه سبحانه كان قبل الجهات، وأنه من قال: إنه تعالى في جهة يلزمه القول بقدم شيء من العالم، وأنه جل شأنه مستغنيًا عن الجهة ثم صار فيها.

وهذه الألفاظ ونحوها تنزل على أنه عز اسمه ليس في شيء من المخلوقات، سواء سُمِّي جهة أم لم يسم، وهو كلام حق، ولكن ليست الجهة أمرًا وجوديًا بل هي أمر اعتباري ولا محذور في ذلك.

وبالجملة يجب تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، وتفويض علم ما جاء من المتشابهات إليه عز شأنه، والإيمان بها على الوجه الذي جاءت عليه»(١).

ويكفي اللبيب ما ذكرناه عن هؤلاء المفسرين، وإلا فهُم أكثر من أن

(١) من قوله: قال الألوسي... إلى هنا نقله من روح المعاني ٥/١٦٥-١٦٩. عند تفسير قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] وبعضه في شرح الطحاوية ص ٢٨٨.

يحصيهم العاد.

وأما قوله: (الاستواء في كلام العرب له معان).

فقد كفانا مؤنته صاحب الصواعق[1]: إذ ردَّه بنحو اثنين وأربعين وجهًا نذكر بعضها هاهنا بلفظه في بعض الوجوه والتصرف في بعضها بزيادة أو نقصان قليلين، ونذكر بعضها مفرَّقًا في التأليف سابقًا ولاحقًا على حسب المقتضي، وربما تركنا بعضها رَوْمًا للاختصار.

فأما المذكورة هنا فهي قوله: **أحدها:** أن لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله بلغتهم وأنزل بها كلامه نوعان: مطلق ومقيد.

فالمطلق مالم يوصل معناه بحرف مثل قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤]. وهذا معناه: كَمُل وتمَّ، يقال استوى النباتُ واستوى الطعامُ.

وأما المقيد فثلاثة أضراب:

أحدها: مقيد بإلى كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]. واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة، وقد ذكر سبحانه هذا المعدى بإلى في كتابه/ في [٥١] موضعين من البقرة والدخان[2] فقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٩]. وقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]. وهذا بمعنى

---

(١) مختصر الصواعق ٣/٨٨٨-٨٩٩.

(٢) الآية ليست في سورة «الدخان» بل في سورة «فصلت».

العلو والارتفاع بإجماع السلف[1].

الثاني: مقيد بعلى كقوله ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴿١٣﴾﴾ [الزخرف: ١٣]. ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]. ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩]. وهذا أيضًا معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون بواو المعية نحو استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها.

الثاني: إن الذين قالوا ذلك لم يقولوه نقلًا، فإنه مجاهرة بالكذب، وإنما قالوه استنباطًا وحملًا منهم للفظة استوى على استولى بقوله:

قد استوى بشرٌ[2] على العراق   من غير سيف ودمٍ مِهْرَاقِ[3]

وهذا البيت ليس من شعر العرب.

---

(١) قال أبو العالية «استوى إلى السماء: ارتفع» أخرجه البخاري في صحيحه تعليقا في كتاب التوحيد باب (وكان عرشه على الماء) ووصله الحافظ في الفتح (١٣/ ٤١٦) وفي تغليق التعليق (٣٤٤/٥). ورجحه ابن جرير في تفسيره (١/ ١٩٢) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٥/١)، وذهب بعض أهل العلم إلى التفريق بين المعدى بعلى فهذه بمعنى: علا وارتفع وصعد واستقر وكلها تدل على العلو والفوقية لله تعالى، والمعدى بإلى بمعنى: قصد وأقبل. ينظر: تفسير ابن كثير (٢١٦/١).

(٢) هو بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، أبو مروان الأموي القرشي، ولي لأخيه عبد الملك بن مروان العراقين (البصرة والكوفة) توفي بالبصرة سنة ٧٥هـ وقيل غير ذلك. السير ٤/١٤٥-١٤٦، وتاريخ دمشق ١٠/٢٥٣-٢٦٦، وشذرات الذهب ١/٨٣.

(٣) ذكره الجوهري في الصحاح ٦/٢٣٨٥ وعنه ابن منظور في اللسان ١٤/٤١٤ مادة (سوا) ولم ينسباه ونسبه الزبيدي في تاج العروس ١٩/٥٥١.



الثالث: إن أهل اللغة لما سمعوا ذلك أنكروه غاية الإنكار، ولم يجعلوه من لغة العرب.

قال ابن الأعرابي وقد سئل: هل يصح أن يكون بمعنى استولى؟ فقال: «العرب لا تعرف ذلك» وهو من أكابر أئمة اللغة.

وكذلك أنكره الخطابي في كتابه «شعار الدين» وحكم بجهل قائل البيت المذكور وهو من أئمة اللغة.

الرابع: أن هذا تفسير لكلام الله بالرأي المجرد الذي لم يذهب إليه صاحب ولا تابع، ولا قاله إمام من أئمة المسلمين، ولا أحد من أهل [التفسير][1] الذين يُحكِّمُون[2] أقوال السلف، وقد قال النبي ﷺ: **«من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»**[3].

---

(١) في الأصل: «المفسرين» والتصويب من مختصر الصواعق ٣/ ٨٩١.

(٢) في مختصر الصواعق ٣/ ٨٩١ «يحكون».

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٤٩٦ حديث ٢٠٦٩، و ٤/ ٢٥٠ حديث ٢٤٢٩، و ٥/ ١٢٢ حديث ٢٩٧٤، و ٥/ ١٥٥ حديث ٣٠٢٤. والترمذي في سننه ٥/ ١٨٣ حديث ٢٩٥٠ و ٢٩٥١، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه. والنسائي في سننه الكبرى ٥/ ٣٠-٣١ حديث ٨٠٨٤ و ٨٠٨٥، كتاب فضائل القرآن، باب من قال في القرآن بغير علم. والطبري في مقدمة تفسيره ١/ ٣٤، كلهم من طرق عن عبد الأعلى بن أبي عامر الثعلبي، عن سعيد بنن جبير، عن ابن عباس، مرفوعًا.
قال الترمذي عقب الحديث: «هذا حديث حسن». وصححه ابن القطان كما في النكت الظراف ٤/ ٤٢٣، وضعفه الألباني في الضعيفة ٤/ ٢٦٥ حديث ١٧٨٣، وضعيف سنن الترمذي ص ٣٥٩ حديث ٥٧٠.



الخامس: إن إحداث القول في تفسير كتاب الله الذي كان السلف والأئمة على خلافه يستلزم أحد أمرين:

إما أن يكون خطأً في نفسه أو تكون أقوال السلف المخالفة له خطأً.

السادس: من أبعد البعيد أن يكون استوى في جميع القرآن والسنة بمعنى استولى ثم لا يعبر عنه بلفظ استولى لا في موضعين بل ولا في واحد.

السابع: إن القائل بأن معنى استوى بمعنى استولى شاهد على الله بأنه [٥٢] أراد بكلامه هذا المعنى، وهذه شهادة لا علم لقائلها بمضمونها، بل هي قول/ على الله بلا علم، فلو كان اللفظ محتملًا لها في [اللغة][1] وهيهات، لم يجز أن يشهد على الله أنه أراد هذا المعنى، بخلاف من أخبر عن الله أنه أراد الحقيقة والظاهر، فإنه شاهد بما أجرى الله سبحانه عادته من خطاب خلقه بحقائق لغتهم وظواهرها كما قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٤].

الثامن: أن الإجماع منعقد على أن الله سبحانه استوى على عرشه حقيقة لا مَجازًا[2]. وستأتيك النصوص في ذلك.

التاسع: إن هذا البيت محرف وإنما هو [هكذا][3]:

* بشر قد استولى على العراق *

---

(١) في الأصل: «المعنى» والتصويب من مختصر الصواعق ٣/٨٩٨.

(٢) مختصر الصواعق ٣/٨٩٨-٨٩٩.

(٣) في الأصل: «كاذب» والمثبت من مختصر الصواعق ٣/٩١٢.

هكذا لو كان معروفًا مِنْ قائل معروف، فكيف وهو غير معروف في شيء من دواوين العرب وأشعارهم التي يرجع إليها.

العاشر: إنه لو صح هذا البيت، وصح أنه غير محرَّف لم يكن فيه حجةٌ، بل هو حجة عليهم، وهو على حقيقة الاستواء، فإن بشرًا هذا كان أخا عبد الملك بن مروان، وكان أميرًا على العراق، فاستوى على سريرها كما هو عادة الملوك ونوابهم أن يجلسوا فوق سرير الملك مستوين عليه، وهذا هو المطابق لمعنى هذه اللفظة في اللغة كقوله تعالى ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴿١٣﴾﴾ [الزخرف: ١٣]. وقوله ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]. وقوله ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩]. وفي الصحيح «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلاَثًا(١)»(٢) فهل تجد في هذه المواضع موضعًا واحدًا أنه بمعنى الاستيلاء والقهر.

الحادي عشر: لو كان المراد بالبيت استيلاء القهر والملك لكان المستولي على العراق عبد الملك بن مروان لا أخوه بشر، فإن بشرًا لم يكن ينازع أخاه الملك، ولم يكن ملكًا مثله، وإنما كان نائبًا له عليها، بخلاف الاستواء الحقيقي وهو الجلوس على سرير الملك، فإن نواب الملوك تفعل هذا بإذن الملوك.

الثاني عشر: أنه لا يقال لمن استولى على بلدة ولم يدخلها ولم يستقر فيها

---

(١) في الأصل: «ملبيًا» والتصحيح من صحيح مسلم.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٢/٩٧٨ حديث ١٣٤٢، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره.

[٥٣] / بل بينه وبينها بُعْدٌ كثير: إنه قد استوى عليها، فلا يقال استوى أبو بكر على الشام، ولا استوى عمر على مصر والعراق، ولا قال أحدٌ: استوى رسول الله ﷺ على اليمن، مع أنه استولى عليها، واستولى خلفاؤه على هذه البلاد، ولم يزل الشعراء يمدحون الملوك والخلفاء بالفتوحات، ويتوسعون في نظمهم واستعاراتهم، فلم يسمع عن قديم منهم، جاهلي ولا إسلامي ولا مُحْدَث أنه مدح أحدًا قط أنه استوى على [البلد][1] الفلاني الذي فتحه واستولى عليه، فهذه دواوينهم وأشعارهم موجودة.

الثالث عشر: إذا دار الأمر بين تحريف لغة العرب وحمل لفظها على معنى لم يعهد استعماله فيه البتة، وبين حمل [المضاف][2] المألوف حذفه كثيرًا إيجازًا واختصارًا، فالحمل على حذف المضاف أولى، وهذا البيت كذلك؛فإنا إن حملنا لفظ استوى فيه على استولى حملناه على معنى لم يعهد استعماله فيه البتة، وإن حملناه على حذف المضاف وتقديره قد استوى على سرير العراق حملناه على معهود مألوف، فيقولون: قعد فلان على سرير الملك، فيذكرون المضاف إيضاحًا وبيانًا، ويحذفونه تارة إيجازًا واختصارًا، إذ قد علم المخاطب أن القعود والاستواء والجلوس الذي يضاف ويقصد به الملك يستلزم سرير الملك.

الرابع عشر: المجاز لا بد له من قرينة ولا قرينة في الآية عليه، بل البيان

(١) في الأصل: «البلاد»، والتصويب من مختصر الصواعق ٣/٩١٧.

(٢) في الأصل: «الطلق» والتصويب من مختصر الصواعق: ٣/٩١٧.

يقتضي الحقيقة ويدفع المجاز)(١).

الخامس عشر: (أنه لو كان الاستواء بمعنى الملك والقهر لجاز أن يقال استوى على ابن آدم، وعلى الجبل، وعلى الشمس والقمر، وعلى البحر والشجر والدواب، وهذا لا يطلقه مسلم.

فإن قيل: هذا جائز وإنما خصص العرش بالذكر؛لأنه أجلّ المخلوقات وأرفعها وأوسعها، فتخصيصه بالذكر تنبيه على ما دونه.

قيل: لو كان هذا صحيحًا لم يكن ذكر الخاص منافيًا لذكر العام، ألا ترى أن ربوبية الله تعالى/لما كانت عامة للأشياءلم يكن تخصيص العرش بذكره منها [٥٤] كقوله: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، والمؤمنون الآية: ٨٦، والنمل الآية: ٢٦ مانعًا من تعميم إضافتها كقوله ﴿رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. فلو كان الاستواء بمعنى الملك والقهر لكان لم يمنع إضافته إلى العرش إضافة إلى كل ما سواه، وهذا في غاية الظهور.

السادس عشر: إنه إذا فسر الاستواء بالغلبة والقهر عاد معنى هذه الآيات كلها إلى أن الله أعلم عباده بأنه خلق السموات والأرض ثم غلب على العرش بعد ذلك وقهره وحكم عليه،

أفلا يستحي من الله من في قلبه أدنى وقار لله ولكلامه أن ينسب ذلك إليه، وأنه أراد بقوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. أي اعلموا يا

(١) من قوله التاسع إلى هنا نقله من مختصر الصواعق ٣/ ٩١٢ -٩١٨. باختصار وتصرف.

عبادي أني بعد فراغي من خلق السموات غلبت عرشي وقهرته واستوليت عليه)[1]!.

السابع عشر: جاء في الأخبار الصحيحة عن رسول الله ﷺ «أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ»[2].

(وهذه الفوقية هي تفسير الاستواء، والجهمية يجعلون كونه فوق العرش بمعنى أنه خير من العرش وأفضل منه كما يقال: الأمير فوق الوزير، والدينار فوق الدرهم، والمعنى عندهم أنه أعْلَم الأمة بأن الله خير وأفضل من العرش.

فيا لَلْعُقولِ، أين في لغة العرب حقيقةً أو مجازًا أو كناية أو استعارة بعيدة أن يقال: استوى على كذا إذا كان أعظم منه قدرًا وأفضل؟ هذا من لغة الطماطم[3] لا من لغة القوم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ).

الثامن عشر: (حمل الاستواء على حقيقته إما أن يحيله العقل وإما أن لا يحيله؛فإن أحاله كانت تفاسير السلف له وكل مفسر من الأمة تكلموا بباطل ومحال، وهذا أقبح وأشد من قول الرافضة[4] فيهم وإن كان لا يحيله فالواجب

---

(١) من الخامس عشر إلى هنا نقله من مختصر الصواعق ٣/ ٩٢٠-٩٢١.

(٢) تقدم تخريجه في ص ١١٠.

(٣) الطمطمة: العجمة، والطمطمُ والطمطمي والطُّماطم والطمطمانيُّ هو الأعجم الذي لا يُفْصح. ورجل طِمْطِمٌ بالكسر أي في لسانه عجمة لا يفصح. لسان العرب ١٢/ ٣٧١. مادة طمم.

(٤) قال ابن تيمية عن الرافضة: هذا اللفظ أول ما ظهر في الإسلام، لما خرج زيدبن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك، واتبعه الشيعة، فسئل عن أبي =



حمله على حقيقته وهو الأصل/. [٥٥]

التاسع عشر: إن أئمة السنة متفقون على أن تفسير الاستواء بالاستيلاء إنما هو متلقى عن الجهمية والمعتزلة والخوارج، و[ممن][١] حكى ذلك أبو الحسن الأشعري، وابن عبد البر، والطلمنكي[٢] عنهم خاصة)[٣].

العشرون: (قد صرح المنكر للاستواء بأن الله لا يجوز أن يتكلم بشيء ويعني به خلاف ظاهره كما قال صاحب «المحصول»[٤] وغيره، وهذا لفظه «لا ينبغي أن يتكلم الله بشيء يعني به خلاف ظاهره»[٥] والخلاف مع

= بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما، فرفضه قوم فقال: رفضمتوني رفضتموني فسموا رافضة... ومن حينئذٍ انقسمت الشيعة إلى زيدية، ورافضة إمامية. فالرافضة من فرق الشيعة وهم القائلون بأن عليًا استحق منصب الإمامة عن طريق الوصية والتعيين بالأسم، واتفقوا في الأئمة حتى إمامهم السادس جعفر الصادق، ولكنهم اختلفوا فيمن بعده. مجموع الفتاوي ١٣/٣٥-٣٦، ودراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين ص ١٧٩، والملل والنحل ١/١٥٥.

(١) في الأصل: «ومن».

(٢) هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى المعافري الأندلسي الطلمنكي أبو عمر، ولد سنة ٣٤٠هـ، وأول من أدخل علم القراءات إلى الأندلس، كان عالمًا بالتفسير والحديث من كتبه «أصول الديانات» و«الوصول إلى معرفة الأصول» وغيرها، أصله من طلمنكه، وتوفي بها سنة ٤٢٩هـ. السير ١٧/٥٦٦-٥٦٩، وترتيب المدارك ٤/٧٤٩-٧٥١، وشجرة النور ١/١١٣ت ٣٠٦، والصلة ١/٤٨-٥٠ ت ٩٢.

(٣) مختصر الصواعق ٣/٩٢٨-٩٢٩ بتصرف.

(٤) هو لفخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسين تقدمت ترجمته في ص ١٠٦.

(٥) المحصول لفخر الدين الرازي ١/٢١٩. بلفظ: «لا يجوز أن يتكلم الله بشيء ولا يعني به =



المرجئة[1]، ثم احتج على ذلك بأنه عبث وهو على الله محال، والذي احتج به على المرجئة يحتج به عليه أهل السنة)[2].

الحادي والعشرون: (إن الله سبحانه ذمَّ المحرفين للكلم، والتحريف نوعان: تحريف اللفظ وتحريف المعنى، فتحريف اللفظ: [العدول][3] عن جهته إلى غيرها، إما بزيادة وإما بنقصان وإما بتغير حركة إعرابية، وإما غير إعرابية، فهذه أربعة أنواع، وقد سلك فيها الجهمية والرافضة، فإنهم حرفوا نصوص الحديث ولم [يتمكنوا][4] من ذلك في ألفاظ القرآن، وإن كان الرافضة حرفوا كثيرًا من لفظه، وادعوا أن أهل السنة غيَّروه عن وجهه.

وأما تحريف المعنى فهذا الذي جالوا فيه وصالوا وتوسعوا وسموه تأويلًا، وهو اصطلاح فاسد حادث لم يعهد به استعمال في اللغة، وهو العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته، وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر بقدر ما مشترك بينهما.

= شيئا، والخلاف فيه مع الحشوية».

(١) المرجئة: الإرجاء من معانيه التأخير وأطلق على المرجئه؛لأنهم يؤخرون العمل عن النية والعقد، ويؤخرون الحكم على صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا ويقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. الملل والنحل للشهرستاني ص ١٣٩.

(٢) مختصر الصواعق ٩٣٣/٣.

(٣) في الأصل: «المعدول» والتصويب من مختصر الصواعق: ٩٣٦/٣.

(٤) في الأصل: «يتمسكوا» والتصحيح من مختصر الصواعق ٩٣٧/٣.

الثاني والعشرون: إن استواء الرب المعدى بأداة (على) المعلق بعرشه المعرف باللام المعطوف بـ«ثمَّ» على خلق السموات والأرض المطرد في موارده على أسلوب واحد ونمط واحد، لا يحتمل إلا معنى واحدًا، لا يحتمل معنيين البتة، فضلًا عن ثلاثة أو خمسة عشر، كما قال صاحب [العواصم من القواصم][1]: «إذا قال لك المجسم: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. فقل: استوى على العرش يستعمل/ على خمسة عشر وجهًا فأيها [٥٦] تريد؟»[2]. فيقال له: كلاَّ والذي استوى على العرش لا يحتمل هذا اللفظ معنيين البتة، والمدعي للاحتمال عليه بيان الدليل، إذ الأصل عدم الاشتراك والمجاز، ولم يذكر على دعواه دليلًا ولا بَيَّنَ الوجوه المحتملة حتى يصلح قوله: (فأيها تريدون وأيها تعنون؟)[3].

وكان ينبغي له أن يبين كل احتمال ويذكر الدليل على ثبوته، ثم يطالب حزب الله ورسوله ﷺ بتعيين أحد الاحتمالات، وإلا فهم يقولون لا نسلم احتماله لغير معنى واحد؛ فإن الأصل في الكلام الإفراد والحقيقة، دون الاشتراك والمجاز، فهم في منعهم أولى بالصواب منك في تعدد الاحتمال،

---

(١) في الأصل: «القواصم والعواصم». ومؤلفه هو: محمد بن عبد الله بن محمد، أبو بكر بن العربي المعافري، أحد أعيان المالكية الكبار، وله تصانيف كثيرة مشهورة، ولد سنة ٤٦٨هـ، وتوفي سنة ٥٤٣هـ. السير ٢٠/١٩٧-٢٠٤، والصلة ٢/٥٥٨-٥٥٩. وشجرة النور ١/١٣٦-١٣٨، والديباج المذهب ٢/٢٥٢-٢٥٦.

(٢) العواصم من القواصم ص: ١٧٩.

(٣) انظر درء تعارض العقل والنقل ١/٢٧٩. وشرح النونية لابن عيسى ٢/٣٠.

فدعواك أن هذا اللفظ يحتمل خمسة عشر معنى، دعوى مجردة، ليست معلومة بضرورة ولا نص ولا إجماع يوضحه.

الثالث والعشرون: وهو أن يقال: الاحتمالات التي ادعيتها تتطرق إلى لفظ الاستواء وحده المجرد عن اتصاله بأداةٍ، أم إلى المقترن بواو المصاحبة، أم إلى المقترن بإلى، أم إلى المقترن بعلى أم إلى كل واحد من ذلك؟ وكذلك العرش الذي ادعيت أنه يحتمل عدة معان هو العرش المنكر غير المعرف بأداة تعريف ولا إضافة، أم المضاف إلى العبد كقول عمر «كاد عرشي أن يُثل[1]» أم إلى عرش الدار وهو سقفها في قوله ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، [الكهف: ٢٤]، [الحج: ٤٥]. أم إلى عرش الرب تبارك وتعالى الذي هو فوق سمواته؟ أم إلى كل واحد من ذلك، فأين موارد الاحتمال حتى يعلم هل صحيحة أم باطلة؟ فلا يمكنك أن تدعي ذلك في موضع معين من هذه المواضع، ودعواه بُهْتٌ صريح، وغاية ما تقدر عليه أنك تدعي مجموع الاحتمالات في مجموع

(١) يُثَلُّ: أي يُهْدَم ويُكْسر، وهو مَثَلٌ يضرب للرجُل إذا ذَل وهلك. النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٢٠، تهذيب اللغة (١٥ / ٤٩).

وأثر عمر جاء ذكره بهذا اللفظ ابن الأثير في النهاية ١/ ٢٢٠. والزمخشري في الفائق ١/ ١٧٢، وجاء بألفاظ أخرى مثل: «إن كاد عرشي ليُهد» و«كاد عرشي أن يهوى» و«لهوى عرشي» و«إن كاد عرشُ عمر ليهد» أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣/ ٣٧٥، وابن أبي الدنيا في المنامات ص ٣٢-٣٣حديث ٢٢، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٥٤، وابن شبة في تاريخ المدينة المنورة ٣/ ٩٤٥-٩٤٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٤٨٢-٤٨٣. والسيوطي في شرح الصدور ص ٢٧٦ وعزاه لأحمد في الزهد وابن سعد، ولم أجده في الزهد لأحمد.



المواضع بحيث يكون كل موضع له معنى، بأي[1] شيء ينفعك هذا في الموضع المعين، فسبحان الله أين هذا من القول السديد الذي أوصانا الله به في كتابه حيث يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠﴾ [الأحزاب: ٧٠]. والسديد هو الذي يسد موضعه/ويطابقه فلا يزيد عليه ولا [٥٧] ينقص منه، وسداد السهم هو مطابقته وإصابته الغرض من غير علو ولا انحطاط ولا تيامن ولا تياسر.

والمقصود أن استواء الرب على عرشه المختص به الموصول بأداة «على» نص بمعناه[2] لا يحتمل سواه.

<u>الرابع والعشرون</u>: إنا نمنع الاحتمال في لفظ الاستواء مع قطع النظر عن صلته المقرون بها، وإنه ليس له إلا معنى واحد وإن تنوع بتنوع صلته كنظائره من الأفعال التي تتنوع معانيها بتنوع صلتها كمِلْتُ عنه ومِلْتُ إليه ورغبت عنه ورغبت فيه، وعدلت عنه وعدلت إليه، وفررت منه وفررت إليه، ولا يقال له: مشترك ولا مجاز، بل حقيقة واحدة تنوعت دلالتها بتنوع صلتها[3]، وهكذا لفظ الاستواء هو بمعنى الاعتدال حيث استعمل مجردًا أو مقرونًا، [تقول][4] سويته فاستوى)[5]. وتختلف دلالته باختلاف صلته.

---

(١) في مختصر الصواعق ٣/ ٩٤٠ «فأي».

(٢) في مختصر الصواعق ٣/ ٩٤١ «نص في معناه».

(٣) كذا في الأصل، وفي مختصر الصواعق ٣/ ٩٤١: «صلاتها».

(٤) في الأصل: «بقول» والمثبت من مختصر الصواعق ٣/ ٩٤١.

(٥) من قوله الحادي والعشرون إلى هنا نقله من مختصر الصواعق ٣/ ٩٣٦-٩٤١.



الخامس والعشرون: (أنا لو فرضنا احتمال اللفظ في اللغة بمعنى الاستيلاء والخمسة عشر معنى فالله ورسوله ﷺ قد عيَّنا[1] بكلامه منها معنى واحدًا ونَوَّع الدلالة عليه أعظم تنويع حتى يقال بذلك ألف دليل.

فالصحابة كلهم متفقون لا يختلفون في ذلك المعنى، ولا التابعون وأئمة الإسلام، ولم يقل أحدٌ منهم إنه بمعنى استولى، وإنه مجاز، فلا يضر الاحتمال بعد ذلك[2] لو كان حقًا). انتهى كلام [صاحب][3] الصواعق باختصار وتصرف كما قدمنا.

وقوله: (من المتشابه الخ) يقال عليه لا متشابه عند الراسخين في العلم من السلف والخلف[4]، وإنما المتشابه عند الذين في قلوبهم زيغ، ويوضحه ما قاله الحفيد ابن رشد رحمه الله ونصه بعد كلام في هذا المعنى.

(والناس في هذه الأشياء في الشرع على ثلاث رتب:

صنف لا يشعرون بالشكوك العارضة في هذا المعنى وخاصة، ما تركت هذه الأشياء على ظاهرها في الشرع، وهؤلاء هم الأكثر وهم الجمهور[5].

---

(١) كذا في الأصل وفي مختصر الصواعق ٣/ ٩٤٥: «قد عين».

(٢) كذا في الأصل وفي مختصر الصواعق ٣/ ٩٤٥ هنا زيادة: «في اللغة».

(٣) ساقطة من الأصل، وينظر مختصر الصواعق ٣/ ٩٤٥.

(٤) يعني: التشابه النسبي، ويفهم على ضوئه قول ابن عباس: «أنا ممن يعلم تأويله» أما التشابه الحقيقي فقد قال الله تعالى عن القرآن الكريم: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾.

(٥) في مختصر الصواعق ١/ ١٤٩ هنا زيادة «وصنف عرفوا حقيقة الأشياء وهم العلماء الراسخون في العلم، وهؤلاء هم الأقل من الناس» ولا توجد هذه الزيادة في مناهج الأدلة ص ٦٩.

وصنف عرضت لهم في هذه الأشياء، شكوك، ولم يقدروا على حلها، وهؤلاء هم فوق العامة ودون العلماء، وهذا الصنف/ هم الذين يوجد في [٥٨] حقهم التشابه في الشرع، وهم هم الذين ذمهم الله تعالى.

وأما عند العلماء والجمهور فليس في الشرع تشابه، فعلى هذا المعنى ينبغي أن يفهم التشابه.

ومثال ما عرض لهذا الصنف مع الشرع مثال ما يعرض لخبز البر مثلًا الذي هو الغذاء النافع لأكثر الأبدان أن يكون لأقل الأبدان ضارًا، وهو نافع للأكثر، وكذلك التعليم الشرعي هو نافع للأكثر، وربما ضر بالأقل، ولهذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦].

لكن هذا إنما يعرض في آيات الكتاب العزيز في الأقل منها، والأقلِّ من الناس، وأكثر ذلك هي الآيات التي تتضمن الإعلام عن أشياء في الغائب ليس لها مثال في الشاهد، فيعبر عنها بالشاهد الذي هو أقرب الموجودات إليها وأكثرها شبهًا بها، فيعرض لبعض الناس أن يأخذ الممثل به هو المثال نفسه، فتلزمه الحيرة والشك، وهو الذي يسمى متشابهًا في الشرع، وهذا ليس يعرض للعلماء ولا للجمهور، وهم صنفا الناس بالحقيقة؛ لأن هؤلاء هم الأصحاء، والغذاء الملائم إنما يوافق أبدان الأصحاء، وأما أولئك فمرضى، والمرضى هم الأقل، ولذلك قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران: ٧]. وهؤلاء هم أهل الجدل والكلام، وأشد ما عرض على الشريعة من هذا الصنف أنهم تأولوا كثيرًا مما ظنوه ليس على ظاهره، وقالوا بأن هذا التأويل ليس هو المقصود به، وإنما أتى الله به في صورة

متشابه ابتلاءً لعباده واختبارًا لهم.

ونعوذ بالله من هذا الظن بالله، بل نقول: إن كتاب الله العزيز إنما جاء معجزًا من جهة الوضوح والبيان، فإذًا ما أبعد من مقصد الشرع من قال فيما ليس بمتشابه إنه متشابه.

ثم إنه أول ذلك المتشابه بزعمه، وقال لجميع الناس: إن فرضكم هو اعتقاد هذا التأويل مثل ما قالوه في آيات الاستواء على العرش، وغير ذلك، مما قالوا: إن ظاهره متشابه/. [٥٩]

وبالجملة فأكثر التأويلات التي زعم القائلون بها أنها من المقصود من الشرع إذ تُؤُمِّلَتْ(١) وجدت ليس يقوم عليها برهان، ولا تفعل فعل الظاهر في قبول الجمهور لها وعملهم عنها، فإن المقصود الأول بالعلم [في حق الجمهور إنما هو العمل، فما كان أنفع بالعمل فهو أجدر، وأما المقصود الأول بالعلم](٢) في حق العلماء فهو الأمران جميعًا، أعني: العلم والعمل، ومثال من أول شيئًا من الشرع وزعم أن ما أَوَّلَه هو مقصد(٣) الشرع وصرح بذلك التأويل للجمهور مثال من أتى إلى دواء قد ركبه طبيب ماهر ليحفظ صحة جميع الناس أو الأكثر،

(١) في مناهج الأدلة ص ٧٠ ومختصر الصواعق ١/ ١٥١ أيضًا وفي الصواعق ٢/ ٤١٤ «تؤولت».

(٢) ما بين المعقوفتين لا يوجد في الأصل وألحقته من مناهج الأدلة ص ٧٠ ومختصر الصواعق ١/ ١٥١.

(٣) في مختصر الصواعق: ١/ ١٥٢ «وزعم أن الذي أوله هو الذي قصده الشرع». وفي مناهج ص ٧١ «هو ما قصد الشرع».

فجاء رجل فلم يلائمه ذلك الدواء المركب الأعظم، لرداءة مزاج كان به، ليس يعرض إلا للأقل من الناس، فزعم أن بعض تلك الأدوية التي صرح باسمه الطبيب[1] في ذلك الدواء العام المنفعة المركب، لم يرد به ذلك الذي جرت العادة في اللسان أن يدل بذلك الاسم عليه، وإنما أريد به دواء آخر مما يمكن أن يدل عليه بذلك باستعارة بعيدة. فأزال ذلك الدواء الأول من ذلك المركب الأعظم، وجعل فيه بدل الدواء الذي ظن أنه الذي قصده الطبيب، وقال للناس: [هذا هو][2] الذي قصده الطبيب الأول، فاستعمل الناس ذلك الدواء المركب على الوجه الذي تأوَّله عليه المتأول، ففسدت به أمزجة كثير من الناس، فجاء آخرون شعروا بفساد أمزجة الناس من ذلك الدواء المركب فراموا إصلاحه بأن أبدلوا بعض أدويته بدواء آخر غير الدواء الأول، فعرض من ذلك للناس نوع من المرض غير النوع الأول، فجاء ثالث فتأول في أدوية ذلك المركب غير التأويل الأول والثاني، فعرض للناس من ذلك نوع ثالث من المرض غير النوعين المتقدمين. فجاء متأول رابع فتأول دواء آخر غير الأدوية المتقدمة، فعرض منه للناس نوع رابع من المرض غير الأمراض المتقدمة، فلما طال الزمان بهذا[3] المركَّب الأعظم، وسلط الناس التأويل على أدويته وغيَّروها وبدَّلوها، عرض منه للناس أمراض شتى حتى فسدت المنفعة المقصودة بذلك الدواء المركب في حق أكثر الناس.

(١) كذا في الأصل وفي مناهج الأدلة ص ٧١ ومختصر الصواعق ١/١٥٢: «الطبيب الأول».

(٢) في الأصل: «ها أنتم» والتصويب من مناهج الأدلة ص ٧١ ومختصر الصواعق: ١/١٥٢.

(٣) في مختصر الصواعق: ١/١٥٣ «بهذا الدواء».

وهذه هي حال الفرقة الحادثة في هذه الطريقة[1] مع الشريعة، وذلك أن كل/ فرقة منهم تأولت في الشريعة تأويلًا غير التأويل الذي تأولته الفرقة الأخرى، وزعمت أنه الذي قصده الشرع، حتى تمزق كلَّ ممزق، وبعد جدًا عن موضعه الأول. [٦٠]

ولما علم صاحب الشرع ﷺ أن مثل هذا يعرض ولا بدّ في شريعته قال: **«وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ[2] وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً»**[3] فعنى[4] بالواحدة التي سلكت ظاهر الشرع ولم تؤوله، تأويلًا صرحت به للناس.

وأنت إذا تأملت ما في[5] هذه الشريعة في هذا الوقت من الفساد العارض فيها من قبل التأويل تبينت أن هذا المثال صحيح.

وأوَّل من غيرَّ هذا الدواء الأعظم هم: الخوارج، ثم المعتزلة بعدهم، ثم

---

(١) في مختصر الصواعق: ١/١٥٣ «الفرق الحادثة في الشريعة مع الشريعة».

(٢) في الأصل: «ستفترق أمتي على اثنين». وفي مناهج الأدلة ص ٧٢ «على اثنتين». وما أثبته من مصادر تخريج الحديث التالية.

(٣) أخرجه من حديث أنس ابن ماجة في سننه ٢/١٣٢٢ حديث ٣٩٩٣، كتاب الفتن باب افتراق الأمم. وابن أبي عاصم في السنة ١/٣٢-٣٣حديث ٦٤.
قال البوصيري في مصباح الزجاجة ٤/١٨٠ «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» وقال الألباني «الحديث صحيح قطعًا؛لأن له ست طرق أخرى عن أنس وشواهد عن جمع من الصحابة». السنة لابن أبي عاصم ١/٣٣.

(٤) كذا في الأصل وفي مناهج الأدلة ص ٧٢ ومختصر الصواعق ١/١٥٣ «يعني».

(٥) في مناهج الأدلة ص ٧٢ أيضًا، وفي مختصر الصواعق ١/١٥٤«ما عرض في».



الأشعرية، ثم الصوفية، ثم جاء أبو حامد[1] فطم الوادي على القرى)[2] إلى آخر ما قال.

فأنت تراه قصر المتشابه على الذين في قلوبهم زيغ كما أشارت إليه الآية، كما جعل مذهب التأويل هادمًا للشريعة ومخلًا بمقصودها.

وقوله: (ثلاثة مذاهب... إلخ) يقال عليه: مذهب السلف هو مذهب أبي الحسن الأشعري ولا فرق بينهما، فهما حينئذٍ مذهبان مذهب السلف، ومذهب الجهمية والمعطلة.

والرجل بِتَقْسِيْمِهِ وما يظهر من كلامه كصريح قول غيره من أهل نحلته ينسب القول بجهل ما ادعى أنه متشابه للسلف، وحاشاهم أن يجهلوا كلمات الله الدالة على صفته ويعلمها هو وجهميته.

قال في الصواعق: (وأصحاب التجهيل الذين قالوا: نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها، ولا يدرى ما [أراد][3] الله ورسوله منها، ولكن

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي، أبو حامد حجة الإسلام، ولد سنة ٤٥٠هـ، في الطابران (قصبة طوس بخراسان) فيلسوف متصوف، من أشهر كتبه إحياء علوم الدين، توفي في الطابران سنة ٥٠٥هـ. تبين كذب المفترى، ص ٢٩١-٣٠٦، وشذرات الذهب ٤/١٠-١٣.

(٢) من قوله: والناس في هذه الأشياء إلى هنا نقله من مناهج الأدلة ص ٦٩-٧٢، ومختصر الصواعق ١/١٤٩-١٥٥. بتصرف. ويلحظ عدم ذكره الشيعة مع أنها من أصول البدع الأربع التي ذكرها ابن المبارك ويوسف بن أسباط وهي من أشد الفرق تأويلًا وتحريفًا للنصوص.

(٣) في الأصل: «ما وراء» والتصحيح من مختصر الصواعق ١/١٥٩.



نقرؤها ألفاظًا لا معاني لها، ونعلم أن لها تأويلًا لا يعلمه إلا الله، وهي عندنا بمنزلة ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: ١]. و﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورى: ١-٢]. و﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ [الأعراف: ١]. فلو ورد علينا منها ما ورد لم نعتقد فيه تمثيلًا ولا تشبيهًا ولم نعرف معناه، وننكر على من تأوله، ونكل علمه إلى الله تعالى، وظن هؤلاء أن هذه/ طريقة السلف، وأنهم لم يكونوا يعرفون حقائق الأسماء [٦١] والصفات، ولا يفهمون معنى قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]. وقوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. وأمثال ذلك من نصوص الصفات، وبنوا هذا المذهب على أصلين:

أحدهما: أن هذه النصوص من المتشابه.

الثاني: أن للمتشابه تأويلًا لا يعلمه إلا الله، فنتج من هذين الأصلين استجهال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأنهم كانوا يقرءون هذه الآيات المتعلقة بالصفات ولا يعرفون معنى ذلك، ولا ما أريد به، ولزم[1] قولهم أن رسول الله ﷺ كان يتكلم بذلك ولا يعرف[2] معناه.

ثم تناقضوا أقبح تناقض فقالوا: تجري على ظواهرها، وتأويلها بما يخالف الظواهر باطل. ومع ذلك فلها تأويل لا يعلمه إلا الله.

---

(١) في مختصر الصواعق ١/ ١٦٠: «ولازم».

(٢) في مختصر الصواعق ١/ ١٦٠: «ولا يعلم».

فكيف يثبتون لها تأويلًا ويقولون: تجرى على ظواهرها، ويقولون: الظاهر منها مراد، والرب منفرد بعلم تأويلها، وهل في التناقض أقبح من هذا؟!

وهؤلاء غلطوا في المتشابه وفي جعل هذه النصوص من المتشابه. وفي كون المتشابه لا يعلم معناه إلا الله، فأخطئوا في المقدمات الثلاث، واضطرهم إلى هذا التخلص من تأويلات المبطلين وتحريفات المعطلين، وسدوا على أنفسهم الباب. وقالوا: لا نرضى بالخطأ، ولا وصول لنا إلى الصواب، فتركوا التدبر المأمور به والتعقل لمعاني النصوص، وتعبدوا بالألفاظ المجردة التي أنزلت في ذلك، وظنوا أنها أنزلت للتلاوة والتعبد بها دون تعقل معانيها وتدبرها والتفكر فيها، وأولئك جعلوها عرضة للتأويل والتحريف كما جعلها أصحاب التخييل أمثالًا لا حقيقة لها)(١).

(ولما نسبوا هذا المذهب إلى السلف قالوا: هو أسلم ويحتجون بقوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]. ويقولون: هذا هو الوقف التام عند جمهور السلف، ـ ولزم قولهم هذا ما تقدم(٢) من أن الأنبياء ورسول الله وسلف الأمة والراسخين في العلم لا يعلمون/ شيئًا من ذلك ـ بل يقرؤون [٦٢] كلامًا لا يعقلون معناه.

وقول هؤلاء باطل، فإن الله تعالى أمر بتدبر كتابه وتفهمه وتعقله، وأخبر أنه بيان، وهدى، وشفاء لما في الصدور، وحَاكمٌ بين الناس فيما اختلفوا فيه.

(١) من قوله: قال في الصواعق... إلى هنا نقله من مختصر الصواعق ١/١٥٩- ١٦٠.

(٢) انظر ما تقدم في ص ٩١.

ومن أعظم الاختلاف اختلافهم في باب الصفات والقدر والأفعال، واللفظ الذي لا يعلم ما أراد به المتكلم لا يحصل به حكم ولا هدى ولا شفاء ولا بيان.

وهؤلاء طَرَّقُوا[(١)] لأهل الإلحاد والزندقة والبدع أن يستنبطوا الحق من عقولهم؛فإن النفوس طالبة لمعرفة هذا الأمر أعظم طلب، والمقتضي التام لذلك فيها موجود.

فإذا قيل لها: إن ألفاظ القرآن والسنة في ذلك لها تأويل لا يعلمه إلا الله، ولا يعلم أحد معناها فرت [إلى][(٢)] عقولهم و[نظرهم][(٣)] وآراؤهم، فسدَّ هؤلاء باب الهدى والرشاد، وفتح أولئك باب الزندقة والبدعة والإلحاد، وقالوا: قد أقررتم بأن ما جاءت به الرسل في هذا الباب لا يحصل به علم بالحق ولا يهدي إليه، فهو في طريقتنا لا في طريقة الأنبياء، فإنا نحن نعلم ما نقول ونثبته بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا تأويل ما قالوه ولا بينوا مراد المتكلم به. وأصاب هؤلاء من الغلط على السمع ما أصاب أولئك من الخطأ في العقل. وهؤلاء لم يفهموا مراد السلف بقولهم: «لا يعلم تأويل المتشابه إلا

(١) الطُّرْقَة: بالضم العادةُ يقال: ما زال ذلك طرقتك أي رأيك. والطرقة: الطريقة إلى الشيء. والطرقة أيضًا: هي الطريقة إلى الأشياء المطارقة بعضها على بعض. تاج العروس ١٣/٢٩٢، مادة طرق.

(٢) في الأصل [إليه] وفي مختصر الصواعق: ١/٣٠٧ «فروا إلى عقولهم».

(٣) قال محقق مختصر الصواعق ١/٣٠٧: «في النسخ الخطية «وفطرهم» ولعل الأصوب: نظرهم». كما هو في أصل الصواعق ٣/٩٢٢. وهو كذلك.



الله».

[فإن التأويل في عرف السلف المراد به][1] في مثل قوله تعالى﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣]. وقوله تعالى﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وسورة الإسراء الآية: ٣٥. وقول يوسف ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠]. وقول يعقوب عليه الصلاة والسلام: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦]. وقال تعالى﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ [يوسف: ٤٥]. وقال يوسف عليه الصلاة والسلام/ ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ [يوسف: ٣٧]. [٦٣]

فتأويل الكلام الطلبي هو نفس الفعل المأمور به وترك المنهي عنه كما قال ابن عيينة: «السنة تأويل الأمر والنهي»[2] ومقالة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللّهم ربنا وبحمدك اللّهم اغفر لي**» يتأول القرآن[3].

---

(١) ما بين المعكوفين ساقط في الأصل والتصويب من مختصر الصواعق ١/ ٣٠٧.

(٢) انظر الرسالة التدمرية، لابن تيمية ص ٩٤، ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٠٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٢٧٤حديث ٧٦١كتاب صفة الصلاة، باب في الدعاء في الركوع، و ١/ ٢٨٢حديث ٧٨٤، كتاب صفة الصلاة، باب التسبيح والدعاء في السجود. و ٤/ ١٥٦٢حديث ٤٠٤٢، كتاب المغازي، باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح، =



وأما تأويل ما أخبر الله به تعالى عن نفسه، وعن اليوم الآخر، فهو نفس الحقيقة التي أخبر الله عنها، وذلك في حق الله هو كنه ذاته وصفاته التي لا يعلمها غيره، ولهذا قال مالك، وربيعة[1]: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول»[2] وكذلك قال ابن الماجشون[3] والإمام أحمد وغيرهم من السلف:

= و٤/١٩٠٠ حديث ٤٦٨٣ و ٤٦٨٤، كتاب التفسير، باب تفسيرة سورة إذا جاء نصر الله. ومسلم في صحيحه ١/٣٥٠ حديث ٤٨٤، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود.

(١) ابن أبي عبد الرحمن التيمي مولاهم، أبو عثمان المدني المعروف بربيعة الرأي، ثقة فقيه، مشهور، مات سنة ١٣٦هـ. التقريب ص ٢٠٧.

(٢) قول مالك تقدم تخريجه ص٥٣.

وأخرجها من قول ربيعة مع أختلاف يسير في ألفاظها: ابن بطة في الإبانة ٣/١٦٣-١٦٤ح ١٢١ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/٣٩٨ حديث ٦٦٥ والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/٣٠٦ حديث ٨٦٨، وذكرها الذهبي في السير ٦/٩٠، وفي الأربعين ص ٣٩ رقم ٩، وابن قدامة في إثبات صفة العلو ص ١٦٤ح ٧٤، وشيخ الإسلام في شرح حديث النزول ص ١٠٧، و ١٣٢-١٣٣ وقال: «ومثل هذا الجواب . يعني جواب مالك . ثابت عن ربيعة شيخ مالك، وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، موقوفًا ومرفوعًا ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه». وقال ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى ص ٧٨: «وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة، قال: سئل ربيعة فذكره. وأما قول أم سلمة فيأتي تخريجه في ص (١٤٨).

(٣) هو عبد العزيز بن عبد الله بن سلمة بن المَاجِشون، بكسر الجيم بعدها معجمة مضمومة، المدني، نزيل بغداد، مولى آل الْهُدَيْر، ثقة فقيه مصنف، من السابعة، مات سنة ١٦٤هـ. السير ٧/٣٠٩-٣١٢، والتقريب ص ٣٥٧.

«إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه، وإن كنا نعلم تفسيره ومعناه»[(١)]
وقد فسر الإمام أحمد الآيات التي احتج بها الجهمية من المتشابه وقال: «إنهم تأولوها على غير تأويلها»[(٢)] وبين معناها، وكذلك الصحابة والتابعون فسَّروا القرآن وعلموا المراد بآيات الصفات، كما علموا المراد من آيات الأمر والنهي، وإن لم يعلموا الكيفية، كما علموا معاني ما أخبر الله به في الجنة والنار، وإن لم يعلموا حقيقة كنهه وكيفيته.

فمن قال من السلف: إن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله بهذا المعنى فهو حق.

وأما من قال: إن التأويل الذي هو تفسيره، وبيان المراد منه لا يعلمه إلا الله فهو غلط، والصحابة والتابعون وجمهور الأمة على خلافه، قال مجاهد: «عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية وأسأله عنها»[(٣)]، وقال عبد الله بن مسعود: «ما في كتاب الله آية إلا وأنا

(١) الإبانة لابن بطة ٣/٦٣-٧٤ح ٥٩ واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٣/٥٠٢-٥٠٣ حديث ٨٧٣ وشرح حديث النزول ص ١٠٧، ودرء تعارض العقل والنقل ٢/٣٥-٣٦ و ٢٠٧، والفتوى الحموية ص ٢٥-٢٨، والذهبي في السير ٧/٣١١-٣١٢ ومختصر العلو ص ١٤٤-١٤٥ حديث ١٤٠.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٢/٢٠٧.

(٣) تفسير مجاهد ١/٤٧، والطبري في مقدمة التفسير ١/٤٠، وأبو نعيم في الحلية ٣/٢٧٩-٢٨٠ وابن عساكر في التاريخ ٥٧/٢٥ والذهبي في تذكرة الحفاظ ٢/٧٠٦، وقال: «هذا حديث حسن الإسناد»، والسير ٤/٤٥٠، ومعرفة القراء الكبار ١/٦٦، وقال: «صح عنه» ومقدمة تفسير ابن كثير ١/١٠.

أعلم فيمَ[1] أنزلت»[2]، وقال الحسن البصري: «ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم ما أراد بها»[3].

[٦٤] وقال مسروق[4]: «ما نسأل أصحاب محمد ﷺ/ عن شيء إلا وعلمه في القرآن، ولكن علمنا قصر عنه»[5] وقال الشعبي: «ما ابتدع قوم بدعة إلا وفي كتاب الله بيانها» [6][7]. انتهى.

تناقض هذا الرجل فأخبر عن الإمام مالك أنه يعلم الاستواء علم الجهمية بقوله عنه: الاستواء معلوم، أي معلوم محامله المجازية.

والإمام مالك من أكابر السلف بعد الصحابة والتابعين، وهذه المقالة ليست خاصة به فقد رويت عن أم سلمة[8] وربيعة بن أبي عبد الرحمن كما

---

(١) في مصادر التخريج: «فيما» بالألف. وكلاهما صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/١٩١٢ حديث ٤٧١٦، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ. ومسلم في صحيحه ٤/١٩١٣، حديث ٢٤٦٣، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٤٢ وذكره ابن تيمية في درء التعارض ١/٢٠٨.

(٤) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهَمْداني الوادعي، أبو عائشة الكوفي، ثقة فقيه عابد مخضرم مات سنة ٦٢ وقيل ٦٣هـ. التقريب ص ٥٢٨، السير ٤/٦٣.

(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٤٢ وذكره ابن تيمية في درء التعارض ١/٢٠٨.

(٦) ذكره ابن تيمية في درء التعارض ١/٢٠٨.

(٧) من قوله: «ولما نسبوا إلى السلف» إلى هنا نقله من مختصر الصواعق ١/٣٠٤-٣١٤. ودرء التعارض ١/٢٠٥-٢٠٨.

(٨) أخرجه عن أم سلمة اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/٣٩٧ حديث ٦٦٣. =



سيأتي، وسلمها السلف لهم، فإذا كان معناها ما قال هذا الرجل فقد تناقضت الدعوتان منه في حق السلف.

وقد قال غيره: «معلوم» أي لله، فنسبوا السائل إلى أنه كان يجهل أن الله يعلم الاستواء.

وقال غيره: «معلوم» أي في القرآن، وكأن السائل لم يكن يعلم أن هذا اللفظ ورد في القرآن.

وقد قال: يا أبا عبد الله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. كيف استوى؟ فلم يقل هل هذا اللفظ في القرآن أم لا؟ونسبوا المجيب إلى الله أنه أجابه بما يعلمه الصبيان في المكاتب ولا يجهله أحد، ولا هو مما يحتاج إلى السؤال عنه، ولا استشكله السائل، ولا خطر بقلب المجيب أنه يسأل عنه.

وما قال أحد من السلف الذين رويت عنه هذه الكلمة أن لفظ الاستواء

= وابن بطة في الإبانة ٣/١٦٢-١٦٣ حديث ١٢٠، وذكره الذهبي في الأربعين في صفات رب العالمين ص ٣٩ رقم ٩. وذكره ابن حجر في فتح الباري ١٣/٤٠٦.

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٥/٣٦٥، وشرح حديث النزول ص ١٣٣: «روي عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا موقوفًا ومرفوعًا، ولكن ليس في إسناده من يعتمد عليه».

وقال الذهبي في العلو للعلي الغفار - (١ / ٨١): «هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي، ومالك الإمام، وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سلمة، فلا يصح؛لأن أبا كنانة ليس بثقة وأبو عمير لا أعرفه، وتقدم عن مالك وربيعة في ص ١٤٦.

قلت: قول أبي جعفر الترمذي هو في النزول، فإنه سئل عن حديث النزول فقال: «النزول معقول والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. انظر خلق أفعال العباد للبخاري ص ١٨٣-١٨٤، وسير أعلام النبلاء في ترجمته ٦/٩٠.



مجمل يحتاج إلى تأويل، ولا أنه يحتمل خمسة عشر معنى كما قاله ابن العربي المعافري المردود عليه بما تقدم(١) وهم:

أم سلمة فيما رواه أبو القاسم اللالكائي من طريق الحسن البصري، عن أم سلمة أنها قالت: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر»(٢).

وربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه سئل كيف استوى على العرش؟فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، وعلى الله الرسالة، وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم»(٣).

وحكي هذا القول عن سفيان بن عيينة.

[٦٥] ورواه ابن وهب(٤)، ويحيى بن يحيى(٥)، عن مالك زاد في روايته:/ «والإقرار به واجب والسؤال عنه بدعة».

فكيف يلتئم قولهم: الإيمان به واجب، وجحده كفر، وعلى رسول الله البلاغ، وعلينا التسليم، مع قول المجهلة لهم، إذ هذه الأشياء فروع عن العلم،

---

(١) تقدم في ص ١٣٣.

(٢) تقدم قريبًا ص١٤٨.

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة - (٣/ ١٦٤).

(٤) عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم، أبو محمد المصري، الفقيه، ثقة حافظ عابد، مات سنة ١٩٧هـ. التقريب ص ٣٢٨.

(٥) ابن بكر بن عبد الرحمن التميمي، أبو زكريا النيسابوري، ثقة ثبت إمام، مات سنة ٢٢٦هـ على الصحيح. التقريب ص ٥٩٨.



ولا يصح الإيمان وما معه بمجهول، كما أنك تراهم إنما حكوا على الكيف بنفي المعقولية لا بنفي الذات؛ فتأمل في المقام.

وهذه مجاراة لكلامه، وإلا فالمذهب في المتشابه أكثر من ثلاث، بل انقسم الناس في نصوص الوحي إلى خمسة مذاهب:

• أصحاب التأويل: وهم المعتزلة والجهمية ومن على مذهبهم، وهؤلاء لا ضابط عندهم فيما يؤوَّل أو لا يؤوَّل، وفي التأويل ما هو؟ ولذلك تضاربت تأويلاتهم وتناقضت، ولا يمكنهم الرد على مبطل إذ ما ردُّوا عليه حكمًا من أحكامه إلا قابلهم بتأويله وألزمهم القبول له، وإلا فما كان جوابهم هو جوابه.

• وأصحاب تخييل: وهؤلاء هم الذين زعموا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يفصحوا للجمهور بالحقيقة، لأنهم لم يقدروا على فهمها، ولا لهم قوة على إدراكها، فأبرزوا لهم المعقول بصورة المحسوس وضرب الأمثال، إذ لو صرحوا للسواد الأعظم بأن الله ليس خارج العالم ولا داخله، ولا متصلًا به ولا منفصلًا ولا متكلمًا ولا فوق عرشه ولا يجيء لفصل القضاء بين عباده ولا كلامه فيض فاض على قلوب أنبيائه [ولا](1) جنته وناره على حقيقتهما، وإنما هما لذات وأَلَمٌ للروح... إلى غير ذلك مما هو مسطر في كتبهم لنفر الخلق من هذا الإله وصفاته؛ فخيَّلوا لهم ذلك المعنى بالمقصود بمحسوسةٍ لا حقيقة لها.

وأما الخاصة فلا يحتاجون إلى تخييل ذلك، لأنهم عالمون بالمعنى من أول

---

(١) في الأصل «ولأن جنة».



[٦٦] وهلة، وهذا المذهب كما قبله في الشر أو أعظم[١]./

• وأصحاب تجهيل: وقد تقدم ذكرهم[٢].

• وأصحاب تمثيل وتشبيه: وهم الذين وصفوا الخالق بصفة الخلق من غير فرق، فجعلوا اليد كاليد والعين كالعين، ولم يحكِّموا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. وهؤلاء هم المجسمة وهم في قبح وضلال أيضًا.

وهذه الفرق لا يزال يبدِّع بعضهم بعضًا، ويضلله ويجهِّله، وقد تصادمت كما ترى، فهم كزمرة من العميان تلاقوا فتصادموا، كما قال أعمى البصيرة[٣] منهم:

ونظيري في العلم مثل أعمى فكلانا في حِنْدِسٍ[٤] نتصادم[٥]

---

(١) انظر مختصر الصواعق ١/١٥٦-١٥٨.

(٢) في ص ١٤١ من هذا البحث.

(٣) لعله يقصد أبا العلاء المعري. فقد ذكر في كتابه لزوم مالا يلزم ٢/٤٨٨. ستة أبيات أولها.

قد ندمنا على القبيح فأمسيـ ـنا على غَير قهوة نتنادم

(٤) الحِنْدِسُ: الظلمة: وفي الصحاح: الليل الشديد الظلمة. وتَحَنْدَس الليل: أظلم أو اشتد ظلامه. وتَحَنْدَس الرجل: سقط وضعف. لسان العرب ٦/٥٨، وتاج العروس ٨/٢٥٢ مادة حندس.

(٥) وكذا البيت في مختصر الصواعق ١/١٦١ إلا أنه قال: مثلي. وفي كتاب لزوم مالا يلزم: ٢/٤٨٨، كما يلي:

وبصير الأقوام مثلي أعمى فهلموا في حِنْدِسٍ نتصادم



• وأصحاب سواء السبيل، وهم الرسل وأصحابهم والسلف ومن تبعهم من أهل السنة حكموا آيات الصفات ونفوا المثلية بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. فما أولوها ولا عطلوها، ولا زعموا أنها خيال لا حقيقة لها، ولا أنها مجهولة المعنى، ولا أنها كصفات الخلق(١).

وأما انقسامهم في الاعتقاد فإلى ثمانية:

• دهرية: وهم نفاة الصانع.

• وفلاسفة: أثبتوا صانعًا معطلا عن الصفات مقهورًا مجبور الفعل، وسموه العقل الأول.

• وجهمية قدماء: نفوا علوه على عرشه، وزعموا أنه في كل مكان.

• ومتأخرون: قالوا لا خارج العالم ولا داخله فنفوا وجود الإله في الخارج دون الذهن. وتبعهم متأخرو الأشعرية على هذا المذهب.

• وحلولية: زعموا أن الله مظروف في العالم، وهذا مذهب الحلولية من المتصوفة، ويشبه مذهب القدماء من الجهمية.

• ومذهب النصارى والاتحادية(٢): وهم القائلون بأنه نفس الوجود، وهم أصحاب وحدة الوجود من غلاة المتصوفة.

---

(١) مختصر الصواعق ١/١٦١.

(٢) النصارى زعمت أن الله ـ تعالى وتقدس ـ حلّ في جسد المسيح عليه السلام، والاتحادية زعموا أنه حلّ في كل شيء. تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.



• وجبرية: وهم القائلون إن كل حركة وسكون في الكون فعل الله بلا واسطة[1]./ [٦٧]

• وسلفية: وهم أتباع الأنبياء والرسل.

وهذه النحال غير السلفية قدَّموا العقل على النقل، على أن العقل التام لا يخالف النقل أبدًا، وكان رئيسهم في ذلك إبليس إذ هو أول من قدَّم العقل على النقل فقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢﴾ [الأعراف: ١٢]، [ص: ٧٦]. ثم [قابيل][2] ثم قوم نوح ومشركوا العرب، ثم لم يزل ذلك كذلك حتى جاء الإسلام فجاءت هذه النحال على هذا المنوال.

ومن أراد تفصيل ذاك فلينظر «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة»[3] اهـ.

---

(١) انظر مختصر الصواعق ٣١٨/١-٣٢٠.

(٢) في الأصل [قابل] وهو ابن آدم عليه السلام.

(٣) لابن قيم الجوزية. وقد طبع من هذا الكتاب ما يقارب الثلث في أربعة مجلدات بتحقيق الدكتور علي بن محمد الدخيل الله، نشر دار العاصمة بالرياض، وهو ما وقف عليه المحقق من نسخ الكتاب، وأصله رسالة علمية تقدم بها المحقق لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وحقق القطعة الأولى من الكتاب كل من: أحمد بن عطية الغامدي وعلي بن ناصر فقيهي في مجلد واحد، وقد شمل الجزء المطبوع من الكتاب: الطاغوت الأول والثاني من الطواغيت الأربعة التي أشار إليها المؤلف في مقدمته. وللكتاب مختصر شامل للطواغيت الأربعة، اختصره محمد بن الموصلي (ت ٧٧٤هـ) وطبع عدة طبعات من أحسنها ما كانت بتحقيق الدكتور: الحسن بن عبد الرحمن العلوي في أربع مجلدات.

وقول الإمام مالك «والسؤال عن هذا بدعة» صحيح؛لأن السلف كانوا يعتقدون أن تلك الصفات المنصوص عليها في الكتاب والسنة صفات لله، وإن تشاركت مع صفة المخلوق من حيث الأسماء، ويحكمون بمباينة المسميات بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. ولأن ذات الله وصفاته وأفعاله، لا تقاس بذات المخلوق ولا بصفاته وأفعاله، وهذا معلوم عندهم لا يسأل عنه إلا حديث عهد بالإسلام أو مبتدع.

ولما كثر السؤال عنه من مبتدعة الجهمية في زمان الإمام مالك، إذ جهم وهو [تلميذ][1] الجعد بن درهم[2] الذي قتله خالد بن عبد الله القسري[3] شاعت دعوتهم في زمان بني أمية ثم زادت شيوعًا في دولة بني العباس؛ فقد قال أهل التأريخ: ظهر الخوارج والروافض والشيعة والمرجئة فلم يتجاسروا على رد نصوص الشريعة بالعقل، وصاح بهم الصحابة من كل صوب وبدّعوهم، وتركوا السلام عليهم، ونسبوهم إلى العظائم، ثم ظهر الجهمية في آخر عصر التابعين فعارضوا الوحي بالعقل وقالوا: كل شريعة لا تقبلها

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

(٢) مؤدب مروان الحمار، هو أول من ابتدع أن الله ما اتخذ إبراهيم خليلا، ولا كلّم موسى، قال المدائني: كان زنديقًا فقتل على ذلك في العراق يوم النحر. السير ٥/٤٣٣، ولسان الميزان ٢/١٠٥.

(٣) خالد بن عبد الله بن يزيد القَسْري، بفتح القاف وسكون المهملة، كان أمير العراقين من جهة هشام بن عبد الملك الأموي، ولي مكة سنة تسع وثمانين للهجرة، وأمه نصرانية، وكان لجده يزيد صحبة مع رسول الله ﷺ، وكان خالد معدودًا من جملة خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة، قتل سنة ١٢٦هـ. وفيات الأعيان ٢/ ٢٢٧.

عقولنا رددناها بالتأويل إليها، ثم ذلك منهم في آخر زمان بني أمية فخمدت نار فتنتهم فقتل خالد بن عبد الله الجعد بن درهم ثاني[1] رؤسائهم، ثم اشتعلت نار فتنهم في زمان المأمون فأوقع/ المحنة بالعلماء حيث أعجبه [٦٨] مذهب هؤلاء المبتدعة فقتل من قتل من العلماء، ونجا من نجا منهم بإظهار مذهبهم اتقاء [شرهم][2] أو بالصبر على الحبس والعذاب وعلى هذه البدعة؛ حبس المعتصم[3] الإمام أحمد وضربه، ثم أطفأ الله نار هذه البدعة وأظهر السنة على لسان خلفه وخطب بها على المنابر زمانًا حتى ظهرت جنود إبليس القرامطة[4] والباطنية والملاحدة، ودعوا الناس إلى العقل المجرد، وأن أمور الرسل تعارض المعقول.

في زمنهم غلب الكفار على كثير من بلاد المسلمين، وهم الذين كسروا

---

(١) في الحاشية: وقد وجد في النسخة (الثاني).

(٢) في الأصل: «بشرهم».

(٣) هو الخليفة العباسي أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد، بويع له بالخلافة بعد موت أخيه المأمون في سنة ٢١٨هـ، توفي بسر من رأى سنة ٢٢٧هـ. البداية والنهاية ١٤/٢٨٣-٢٨٨.

(٤) القرامطة، وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون بنبوة زرادشت مزدك، وكانوا يبيحون المحرمات، ثم هم بعد ذلك أتباع كل ناعق إلى باطل، وأكثر ما ينقادون من جهة الرافضة ويدخلون إلى الباطل من جهتهم؛ لأنهم أقل الناس عقولًا ويقال لهم: الإسماعيلية لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج ابن جعفر الصادق، وسموا بالقرامطة نسبة إلى حمدان قرمط بن الأشعث الذي نشرها في سواد الكوفة سنة ٢٧٨هـ. البداية والنهاية ١١ / ٧١. وانظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٣٩٣.

عسكر الخليفة العباسي[(١)] وقلعوا الحجر [الأسود][(٢)] وقتلوا الحجاج، ثم خمدت دعوتهم في المشرق وظهرت من المغرب قليلًا قليلًا، ثم أخذوا يطؤون البلاد حتى وصلوا إلى بلاد مصر فملكوها وبنوا بها القاهرة، وأقاموا على هذه الدعوة مصرحين بها هم وولاتهم وقضاتهم، وفي زمنهم صرح ابن أبي زيد: «بأن الله مستوٍ على عرشه بذاته» ردًا لمذهبهم من غير أن تأخذه في الله لومة لائم، واتخذ الكلاب ليحرسوه من صائلهم ومعتدهم.

وفي أيامهم ألفت «الإشارات»[(٣)] وكتب ابن سيناء[(٤)].

---

(١) لعله الخليفة العباسي المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر بامر الله، ولد سنة ٦٠٩هـ وبويع له بالخلافة سنة ٦٤٠هـ، قتله التتار مظلومًا مضطهدًا في يوم الأربعاء رابع عشر صفر سنة ٦٥٦هـ. البداية والنهاية ١٧/٣٦٤-٣٦٦.

(٢) في الأصل: «الأسعد». قال ابن كثير في البداية والنهاية ١٤/٦٣٨ «دخلوا المسجد الحرام فسفكوا فيه دماء الحجيج في وسط المسجد حول الكعبة المكرمة وكسروا الحجر الأسود واقتلعوه من موضعه، وذهبوا به إلى بلادهم في سنة سبع عشرة وثلاثمائة، ثم لم يزل عندهم إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، فمكث غائبًا عن موضعه ثنتين وعشرين سنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون». وانظر أيضًا البداية النهاية ١٥/٣٧-٣٨، و ١٥/٢٠٤. وفتح الباري ٣/٤٦٢.

(٣) اسمه «الإشارات والتنبيهات» لأبي علي بن سينا وهو مطبوع بتحقيق د/ سليمان دنيا، نشر دار المعارف القاهرة.

(٤) هو الحسين بن عبد الله بن سيناء، أبو علي شرف الملك، الفيلسوف الشهير الملقب بالشيخ الرئيس، أشهر أطباء العرب وفلاسفتهم وهو من أصل فارسي، ولد سنة ٣٧٠هـ، وصنف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات وغيرها، قال الذهبي: «وقدكان آية في الذكاء =

قال[1]: كان أبي من أهل الدعوة الحاكمين[2]، وأهل السنة فيهم كأهل الذمة بين المسلمين، بل كان لأهل الذمة من الأمان والجاه والعز عندهم ما ليس لأهل السنة، فكم أُغمد من سيوفهم في أعناق العلماء، وكم مات في سجونهم من ورثة الأنبياء، حتى استنقذ الله الإسلام والمسلمين من أيديهم على يد نور الدين محمود بن زنكي[3]، والسلطان الأعظم صلاح الدين بن

= وهو رأس الفلاسفة الإسلاميين الذي مشوا خلف العقول وخالفوا الرسول» مات بهمذان سنة ٤٢٨هـ. تاريخ الإسلام للذهبي ٢٨/٢١٨-٢٣٢، والطبقات السنية ٣/١٣٦-١٤٦، وشذرات الذهب ٣/٢٣٤.

(١) في مختصر الصواعق: ٢/٤٣١ «فإنه قال»: أي ابن سينا.

(٢) في مختصر الصواعق: ٢/٤٣١ «الحاكمية». قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٣/٢٤٩: «كان ابن سينا وأهل بيته من أتباع الحاكم القرمطي العبيدي، الذي كان بمصر». وقال أيضًا في مجموع الفتاوى ٣٥/١٣٥ «أن المتفسلفة الذين يعلم خروجهم من دين الإسلام كانوا من أتباع مبشر بن فاتك أحد أمرائهم .أي العبيدين ..... وابن سيناء وابنه وأخوه كانوا من أتباعهما: قال ابن سيناء: وقرأت من الفلسفة وكنت أسمع أبي وأخي يذكران «العقل» «والنفس»، وكان وجوده على عهد الحاكم، وقد علم الناس من سيرة الحاكم ماعلموه، وما فعله هشكين الدرزي بأمره من دعوة الناس إلى عبادته، ومقاتلة أهل مصر على ذلك... الخ».

(٣) محمود بن الأتابك زنكي بن الأمير آقسنقر أبو القاسم، السلطان الملقب بالملك العادل صاحب الشام والجزيرة ومصر، كان يلقب بنور الدين الشيهد، ولد بحلب سنة ٥١١هـ، وكان قد أظهر السنة وقمع الرافضة وهزم الصليبين مات بقلعة دمشق سنة ٥٦٩هـ السير ٢٠/٥٣١-٥٣٩، والبداية والنهاية ١٢/٢٧٧-٢٨٧، وتاريخ ابن عساكر ٥٧/١١٨-١٢٤.

أيوب[1] رحمه الله [فأبل][2] الإسلام من علته، وانتعش بعد طول [الخمول][3] حتى استبشر أهل الأرض والسماء، واستنقذ الله بعبده صلاح الدين وجنوده بيت المقدس من أيدي عبدة الصليب، فعاش الناس/ في ذلك النور مدة حتى [٦٩] استولت الظلمة، وقدّم الناس العقول على النقول والأذواق على الشريعة الربانية، وكان رئيسهم في هذا الطوسي وأضرابه، هذا في المشرق.

وأما المغرب فمنذ فتح للإسلام إلا وهو على عقيدة السلف، إلا ما كان من فتنة العبيدين وبدعتهم ثم انجلت ظلمتها واستضاء المسلمون بنور السنة ومذهب السلف حتى ظهر فيهم في أوائل القرن السادس محمد بن تومرت المهدي[4] تلميذ أبي حامد الغزالي فملأ أرضهم بمعارضة العقل للوحي،

---

(١) يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان، أبو المظفر صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر، ولد بتكريت سنة ٥٣٢هـ، كان ذا شجاعة وهيبة وحزم، مجاهدا، وعلي يديه زالت دولة العبيديين ومحيت خلافتهم، أخرج الصليبين من بلاد المسلمين، واسترد القدس إلى المسلمين مع بلاد أخرى من الشام. توفي بقلعة دمشق سنة ٥٨٩هـ. السير ٢١/٢٧٨-٢٩١، والبداية والنهاية ١٣/٢-٦.

(٢) في الأصل: «قابل» والمثبت من مختصر الصواعق ٢/٤٣٢

(٣) في الأصل: «الحمرة» والمثبت من مختصر الصواعق: ٢/٤٣٢.

(٤) محمد بن تُومَرْتَ، قدم في صغر سنِّه من بلاد المغرب إلى بغداد، فاشتغل بالعلم على الغزالي وغيره، وكان أشعري المذهب وفرضه على الرعية، وكان يظهر التعبد والزهد والورع في ابتداء أمره، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ثم لقب نفسه بالمهدي وقاتل ابن تاشفين في المغرب، إلى أن مات سنة ٥٢٤هـ تقريبًا واستمر تلميذه عبد المؤمن بن علي في قتال ابن تاشفين إلى أن أنهى دولتهم في المغرب في سنة ٥٤٢هـ. البداية والنهاية ١٦/٢٤٥-٢٤٨. وشجرة النور ١/١٤٠.

وأشـهر مـذهب شـيخه الغـزالي في هـذه البقـاع، وسـمى مـن خالفـه مـن علـماء المغـرب وملـوكهم وجمهـورهم مجسمة، وقـاتلهم عـلى ذلـك، وسـمى أتباعـه الموحدين» وفي ذلك يقول الحفيد ابن رشد: «ولما ظهر أبو حامد طم الوادي على القرى»[١].

ثم لم يزل أهل المغرب في دولة الموحدين وبني مرين بعدهم وغيرهم بين آخذ بمذهبه وآخذ بمذهب السلف، وهـم القليل حتى كانت دولة سيدي محمد بن عبد الله العلوي[٢] فعانق مذهب السلف هو وخواصه وأظهره للجمهور، وهكذا ابنه أبو الربيع المولى سليمان كما تقدم[٣].

أما أهل المشرق: فبعث الله عليهم في خلال هذه الدعوة عبادًا له أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار، وهـم التتار[٤] ثم تيمور[٥] ثـم نبغت نابغة

---

(١) انظر ما تقدم في ص ١٤١.

(٢) تقدمت ترجمته في ص٥٠.

(٣) تقدم في ص ٥٢.

(٤) التَّتَار: شعب من شعوب أوروبا وآسيا يتحدث اللغة التركية، ويعيش في الأجزاء الجنوبية والوسطى من روسيا، كان ملكهم اسمه جنكز خان ملك التتار وسلطانهم الأول الذي خرب البلاد وأفنى العباد، جيش الجيوش، وخرج بهم من بادية الصين، واستولى على الممالك، وليس للتتار ذكر قبله، وكان قتل المسلم أهون عنده من قتل البرغوث، مات سنة ٦٢٤هـ، وهو جد هلاكو. سير أعلام النبلاء ٢٢/٢٤٣، والبداية والنهاية ١٧/١٥٩-١٦٧، والنجوم الزاهرة ٦/٢٦٨، وشذرات الذهب ٥/١١٣. ومعجم البلدان ٤/٨٥٨.

(٥) لعله تَيْمور لَنْك ويسمى أيضًا تيمور الأعرج، أمه من ذرية جنكز خان، قائد مغولي مسلم أقام أمبرطورية مترامية الأطراف، لكنها قصيرة الأجل، اشترك في حروب كثيرة (قبل =

أيضًا تدعو إلى معارضة النقل بالعقل؛ فقيض الله لهم شيخ الإسلام الحراني وأصحابه فكانوا يناضلون بسيف الحجة عن مذهب أهل السنة)(١).

ثم اختلط الأمر بعد ذلك ومرج فمن آخذ بمذهب هؤلاء ومن آخذ بمذهب هؤلاء، وقد قال رسول الله ﷺ: **«لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»**(٢).

= إسلامه) واعتلى عرش سمرقند عام ٧٧١هـ وحكم مملكة واسعة في آسيا الوسطى، فتح الهند، واستولى على بغداد، ودمشق، وتحرك لغزو الصين فمات قبل أن يحقق هدفه، عام ٨٠٨هـ، وتفككت أمبراطوريته بعد ذلك بزمن قصير. ، وشذرات الذهب ٩٦/٩، الموسوعة العربية ٣٩٩/٧.

(١) مختصر الصواعق ٤٢٢/٢-٤٣٦، باختصار وتصرف.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود في سننه ٤/ ٤٥٠-٤٥٢ حديث ٤٢٥٢، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها. وأحمد في مسنده ٧٨/٣٧-٧٩ حديث ٢٢٣٩٥. كلاهما من طريق حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان.
وأخرجه من حديث معاوية البخاري في صحيحه ١٣٣١/٣ حديث ٣٤٤٢، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية. و ٢٦٦٧/٦ حديث ٦٨٨١، كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» و٢٧١٤/٦ حديث ٧٠٢٢، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ﴾ [النحل: ٤٠] كما أخرجه من حديث المغيرة بن شعبة في صحيحه ١٣٣١/٣ حديث ٣٤٤١، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية. و ٢٧١٤/٦ حديث ٧٠٢١، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ﴾ [النحل: ٤٠]. وأخرجه بلفظ «لا يضرهم من خذلهم» مسلم في صحيحه ١٥٢٣/٣ حديث ١٩٢٠، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم». وأحمد في مسنده ٨٨/٣٧ حديث ٢٢٤٠٣، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني =

ولذلك تفرس في السائل الإمام[1] أنه من أهل هذه الدعوة لدليل ما قال: «وأظنك رجل سوء أخرجوه» ولولا ما ظنه الإمام فيه لما ساغ له أن يواجهه بهذا الكلام/ ولا أن يقول: أخرجوه. إذ السائل لا يُنْهَرُ بل يُلاَنُ له القول ويكرم. [٧٠]

ولا يشك في أن الإمام مالكًا من أكابر أهل السنة لاشَكَّاكٌ، ولو كان قصد مالك بقوله: «معلوم» ما نسبتم له من التأويل لكان قوله: «والكيف مجهول» ضائعًا ومنافيًا لاعتقاده إذ لا يقال: الكيف مجهول إلا إذا كان الاستواء على معناه الحقيقي بل لا يحكم على شيء بأنه مجهول، إلا إذا كان موجودًا وإلا كان اسم المعدوم أحق به.

وقوله: (المذهب الثاني جواز تعيين التأويل... الخ) لله دره هذا الرجل ما أدراه بأساليب الكلام، وما أعرفه بالأمور المتنافية، وما أعلمه بمحل الاتفاق والاختلاف، وما أكثره غوصًا على الحقائق حتى يستخرجها؛كأنه ينظر إليها بالعيان، أجل لا غرابة بذلك إذ السيد هو القطب ابن القطب الصقلي، ولمثل القطب تكشف هذه الحقائق التي منها ما في هذه الرسالة، وخصوصًا المسألة التي القلم يكتب ما فيها؛ فإن القطب قال فيما تقدم: «من لم يعتقد مذهبه هذا

= ١/٣٣٢-٣٣٣حديث ٤٥٦. وأخرجه بلفظ «لن تزال طائفة» ابن ماجة في سننه ١/٥-٦حديث ١٠، المقدمة، باب إتباع سنة رسول الله ﷺ. و ٢/١٣٠٤حديث ٣٩٥٢، كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن. والبيهقي في سننه الكبرى ٩/١٨١. والطبراني في المعجم الأوسط ٨/٥٨حديث ٧٩٥٧.

(١) يعني: مالكًا.

فالصنم معبوده» فما كانت سنون متباعدة ولا كتب متكاثرة ينسى فيها ما رقم بل ما هي إلا سطور قليلة متناسخة توسطت بين قوله: فالصنم معبوده، وبين قوله: المذهب الثاني، الذي عبر فيه لجواز التأويل المفيد أن غيره جائز أيضًا، وهذا من أشنع التناقض، إذ كيف يحكم على من ترك الجائز بأن الصنم معبوده، وقد أطلق فيما تقدم القول بأن من لم يعتقد مذهبه فالصنم معبوده.

وقوله: (إلى ما تقتضيه أدلة العقل... الخ) يقال عليه: هذا كلام لا يفيد أكثر من أن يوقع في حيرة، إذ الناظر فيه يحكم أول الأمر بأن الرد إلى أدلة العقول أول الأمر ثم إلى أدلة السياق، ثم إلى دلالة العرف، فلا يدرى ما الدليل عنده بالحقيقة إن كان دليل العقل فما بال السياق/ والعرف، وإن كان [٧١] السياق والعرف هما الدليلين فما شأن العقل؟ فإن قيل: معناه أن الدليل العقلي يعتمد على السياق والعرف، وحينئذٍ فليس بعقلي، وإن كان المعنى أن تلك التأويلات يبينها العقل والسياق والعرف، قلنا: لا يدل عليه اللفظ.

وقوله: (الاستواء القهر والغلبة.. الخ).

يقال عليه أي دلالة للسياق واستعمال العرف في محل الاستواء على هذا التأويل، ودلالة العقل عليه قد تقدم ردها.

وقد استدل بهذا الإطلاق من حيث العربية بقوله:

* قد استوى بشر على العراق *

وقد تقدم ما في هذا البيت عن صاحب «الصواعق»(١) وما قال فيه يقال

---

(١) تقدم في ص ١٢٤.

في مثله إذا جاء به مريدا الاستدلال بالمصنوعات الشعرية لإنكار أئمة اللغة كون الاستواء بمعنى الاستيلاء.

وحتى لو فرضنا ثبوته لكان شاذًا مجازًا يحتاج إلى قرينة ولا يصح، فموضوع نزاعنا لما تقدم من الدلائل على عدم صحته.

وقوله: (والوجه الوجود.... الخ).

فيه أنه أطلق اسم الذات على الوصف إذ لم يسمع إطلاق الوجه على الوجود ولو سلم لكان ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]. وصف الوجود ولكان معنى قوله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]. أي إلا وجوده فيؤدي إلى فناء ذاته وصفاته تعالى إلا وجوده تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. ويكون معنى قوله ﷺ: «**إِلاَّ رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ**»[1] على وجوده.

---

(١) أخرجه من حديث أبي موسى الأشعري البخاري في صحيحه ٤/١٨٤٨ حديث ٤٥٩٧، كتاب التفسير، باب قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢]، و ٦/٢٧١٠ حديث ٧٠٠، كتاب التوحيد، باب قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] ومسلم في صحيحه ١/١٦٣ حديث ٢٩٦، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى. والترمذي في سننه ٤/٦٧٣-٦٧٤ حديث ٢٥٢٨، كتاب الجنة، باب ما جاء في صفة غرف الجنة. وابن ماجة في سننه ١/٦٦-٦٧ حديث ١٨٦، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية. والنسائي في سننه الكبرى ٤/٤١٩-٤٢٠ حديث ٧٧٦٥، كتاب النعوت، باب المعافاة والعقوبة. و ٦/٤٤٣ حديث ١١٤٤١، كتاب التفسير، قوله تَعَالَىٰ: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ [البينة: ٨]. وأحمد في مسنده ٣٢/٤٦٠ حديث ١٩٦٨٢، و ٣٢/٥٠٥ حديث ١٩٧٣١. والدارمي في سننه ٢/٧٩٠ حديث ٢٧١٨. كتاب الرقاق، باب في جنات الفردوس.

وقوله: «**فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ [إِلَيْهِمْ]**(١) **مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عز وجل**(٢)»(٣) إلى وجوده.

وكذلك قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]. وقوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾ [الليل: ٢٠]. وقوله ﷺ: «**وارزقني لذة النظر إلى وجهك الكريم**»(٤) إلى غير

---

(١) «إِلَيْهِمْ» لا توجد في الأصل، وألحقتها من صحيح مسلم، والمراجع الأخرى.

(٢) في الأصل «إلى وجه الله» وما أثبته من صحيح مسلم.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ١/١٦٣ حديث ١٨١، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى. والترمذي في سننه ٤/٦٨٧ حديث ٢٥٥٢، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى. و ٥/٢٨٦ حديث ٣١٠٥، كتاب التفسير، باب ومن سورة يونس. وابن ماجة في سننه ١/٦٧ حديث ١٨٧، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية.

(٤) لم أجده بهذا اللفظ. ووجدته بلفظ «وأسألك لذة النظر إلى وجهك»

أخرجه من حديث عمار النسائي في سننه الصغرى ٣/٥٥ حديث ١٣٠١، كتاب السهو، باب نوع آخر. وفي الكبرى ١/٣٨٨ حديث ١٢٢٨ و ١٢٢٩، كتاب صفة الصلاة، باب نوع آخر. وأحمد في مسنده ٣٠/٢٦٤-٢٦٥ حديث ١٨٣٢٥. والبيهقي في الأسماء والصفات ١/٣٠٢-٣٠٣ حديث ٢٢٧. و ١/٣١٩ حديث ٢٤٤. واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٣/٤٨٨-٤٨٩ حديث ٨٤٥، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان ٥/٣٠٥ حديث ١٩٧١، والحاكم في المستدرك ١/٥٢٤-٥٢٥. والدارمي في الرد على الجهمية ص ١١٤-١١٥ حديث ٩٢. وص ١١٧ حديث ١٠١.

وأخرجه من حديث فضالة بن عبيد موقوفًا الطبراني في المعجم الكبير ١٨/٣١٩ حديث ٨٢٥، والأوسط ٦/١٦٥ حديث ٦٠٩١، واللاكائي في شرح أصول الاعتقاد ٣/٤٩١ حديث ٨٤٧، وابن أبي عاصم في السنة ١/١٨٦ حديث ٤٢٧.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٧٧: بعد أن عزاه للطبراني في المعجمين «ورجالهما ثقات». وصححه الألباني في تخريجه لأحاديث السنة لابن أبي عاصم ١/١٨٦.

[٧٢] ذلك/.

فأي معنى للنظر إلى الوجود أو لذاته أوابتغائه أو لا طعام له، والمعروف عند التأويلية أن المراد بالوجه: الذات. مجاز مرسل، ولكن هذا الرجل لما خدعه ذلك العالم المجهول [بسجعه](١) حيث قال: «ووجهه وجوده» إلى قوله: فالصنم معبوده، ظن أن المعروف عند أهل مذهبه هذا الإطلاق.

وقوله: (والعين العلم) يقال عليه: المراد بالعين البصر قطعًا وإجماعًا، فهي صفة زائدة على العلم، ويدل لذلك عَدّ علماء الكلام العلم صفة والبصر صفة. وهذا لا يُختلف فيه وكأن الرجل لم يستحضر حتى ما في «المرشد المعين»(٢). والتأويلية من أهل مذهبه لم يؤوِّلوا السمع ولا البصر وبعض الصفات، وقد خالف هذا الرجل ذلك [السجع](٣) في هذه؛ إذ قال: هو وعينه شهوده.

وقوله: (واليد: القدرة أو النعمة) تردد هذا الرجل في معنى اليد دليل على ألا يقين ولا ظن في هذا التفسير، وعلى تسليمه كيف يصح أن نفسر ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]. بهذا المعنى، إذ يصير المعنى عليه قدرتاه مبسوطتان أو نعمتاه مبسوطتان، وقدرة الله واحدة ليست بقدرتين، وليست بنعمتين بل

---

(١) في الأصل: «بشجعه».

(٢) اسم الكتاب «المرشد المعين على الضروري من علوم الدين» تأليف عبد الواحد بن أحمد بن عاشر الأنصاري، الأندلسي، الأصل، الفاسي المولد والقرار، أبو مالك الفقيه الأصولي المتكلم، له تآليف، توفي سنة ١٠٤٠هـ. شجرة النور ١/٢٩٩-٣٠٠، ومعجم المؤلفين ٦/٢٠٥.

(٣) في الأصل: «الشجع».

قدرة واحدة عمت المقدورات.

ونعمته يعبر عنها بالجمع والإفراد لا بالتثنية.

ولنذكر هنا كلامًا نقلناه عن «الصواعق» بتصرف فيه واختصار كثير مع بعض الزيادة في الرحمة واليد تاركين القول في العين اختصارًا، ومن أراد القول الواضح فيها فعليه بذلك الكتاب الجليل ردًّا لتأويل هذا الجهمي وسلفه.

فنقول **قولهم: (إن رحمة الله مجاز)** مردود بوجوه:

الأول: إن الله تعالى ردَّ [هذه][1] الدعوى وهي نفي كون الرحمة من أوصاف الله الحقيقية على الكفار، وسماهم ملاحدة في أسمائه فقال:/ [٧٣] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠]. ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وهم لم ينكروا الله وإحسانه لخلقه الذي فسرتم به الرحمة بدليل ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ﴾ [الزخرف: ٨٧].

الثاني: لو كانت الرحمة في حق الله مجازًا لصح نفيها عنه كما انتفى الحقيقة عن المجاز فيقال: الرجل الشجاع ليس بأسد ولا يجوز أن يقول له: ليس برحيم.

الثالث: لو كانت الرحمة مجازا في حقه سبحانه لنصب عليها القرائن في كلامه، ولا بد للمجاز من القرينة.

---

(١) في الأصل: «هذا».

الرابع: تفسيركم الرحمة بأنها رقة وانعطاف في القلب لا يلزم أن تكون رحمة الله بهذا المعنى، وإلا لزم ذلك في الأوصاف كلها إذ [العلم][(١)] عرض يقوم بالنفس الإنسانية، والقدرة قوة لها تخترع بها أفعالًا وتعدم أخرى، وهكذا يقال في باقي الصفات، بل الأوصاف في كل شيء بحسب ذلك، فالرحمة في ذي القلب من الحيوان رقة وانعطاف وفي المَلَك ما يناسبه، وفي الله تعالى كذلك.

كيف يكون أظهر الأسماء التي افتتح الله به كتابه في أم القرآن، وهي من أظهر شعار التوحيد، والكلمة الجارية على ألسنة أهل الإسلام، وهي «بسم الله الرحمن الرحيم» التي هي مفتاح الطهور والصلاة وجميع الأفعال، كيف يكون مجازًا؟! هذا من أشنع الأقوال، فهذان الاسمان اللذان افتتح الله بهما أم القرآن، وجعلهما عنوان ما أنزله من الهدى والبيان، وضمنهما الكلمة التي لا يثبت لها شيطان، وافتتح بها كتابه نبي الله سليمان، وكان جبرائيل ينزل بها [على][(٢)] النبي ﷺ عند افتتاح كل سورة من القرآن.

الخامس: كيف تكون الرحمة الضعيفة من العبد الضعيف حقيقة، ورحمة الله التي وسعت كل شيء مجازًا؟!! هذا عجب.

[٧٤] السادس: كيف تكون الرحمة القديمة التي لا أول لها مجازًا، والرحمة/ الحديثة حقيقة، هذا عكس الحقائق؛ لأن المجاز موضوع وضعًا ثانيًا والحقيقة موضوعة وضعًا أوليًا.

---

(١) في الأصل: «العالم».

(٢) في الأصل: «عن» ولعل الصحيح ما أثبته.



السابع: روى أهل السنن عن رسول الله ﷺ أن الله تعالى يقول: «**أَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُه**[1]»[2] فهذا صريح في أن رحمة الله هي الحقيقة التي اشتق منها غيرها من الرحمات، ونظيره قول حسان:

فشقَّ[3] له من اسمه ليُجِلَّهُ ... فذو العرش محمود، وهذا مُحَمَّدُ[4]

الثامن: معلوم أن المعنى المستعار يكون أكمل في المستعار منه من

---

(١) كذا في الأصل «قطعته» وفي مختصر الصواعق ٣/ ٨٧٠، أيضًا، وفي جميع مصادر التخريج الآتية: «بَتَتُّهُ».

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٢/ ٣٢٢حديث ١٦٩٤كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، والترمذي في سننه ٤/ ٣١٥-٣١٦حديث ١٩٠٧، كتاب البر والصلة، باب ماجاء في قطيعة الرحم، وأحمد في مسنده ٣/ ١٩٨حديث ١٦٥٩، و ٣/ ٢١٢-٢١٣حديث ١٦٨٠و ١٦٨١، و ٣/ ٢١٦-٢١٧حديث ١٦٨٦و ١٦٨٧، وابن حبان في صحيحه ٢/ ١٨٦-١٨٧حديث ٤٤٣ والبخاري في الأدب المفرد ص ٣٣حديث ٥٣، وأبو يعلى في مسنده ٢/ ١٥٥حديث ٨٤١، والحاكم في المستدرك ٤/ ١٥٧-١٥٨، وابن أبي شيبة في مصنفه ٨/ ٥٣٥-٥٣٦حديث ٥٤٣٩، وعبد الرزاق في مصنفه ١١/ ١٧١-١٧٢حديث ٢٠٢٣٤، ، ومن طريقه البغوي في شرح السنة ١٣/ ٢٢حديث ٣٤٣٢، والخرائطي في مساوئ الأخلاق ص ٢٧٨حديث ٢٦٢.

قال الترمذي عقب الحديث: «حديث صحيح». وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند ٣/ ١٢٥-١٢٦حديث ١٦٥٩و ٣/ ١٤١-١٤٢حديث ١٦٨٧، والألباني في صحيح الأدب المفرد رقم ٣٨ص ٤٩والسلسلة الصحيحه ٢/ ٣٦-٣٩حديث ٥٢٠.

(٣) في ديوان حسان ص ١٣١ «وشق».

(٤) ديوان حسان بن ثابت ص ١٣٤.



المستعار له، فعلى قولكم: تكون الرحمة في الخلق أكمل منها في الخالق.

إلى غير هذا من الوجوه التي بسطها صاحب «الصواعق»[1] ورد بها على الجهمية أحسن رد؛ فجزاه الله خيرًا.

وحملهم اليد على النعمة أو القدرة مردود بوجوه:

أحدها: أن الأصل هو الحقيقة، فدعوى المجاز مخالفة للأصل.

الثاني: أن ذلك خلاف الظاهر، فقد اتفق الأصل والظاهر على بطلان هذه الدعوى.

الثالث: أن مدعي المجاز المعين يلزمه أمور:

أحدها: إقامة الدليل الصارف عن الحقيقة، إذ مدعيها معه الأصل والظاهر، ومخالفها مخالف لهما جميعًا.

ثانيها: بيان احتمال اللفظ لما ذكره من المجاز لغة، وإلا كان منشئًا من عنده وضعًا جديدًا.

وثالثها: احتمال ذلك المعنى في هذا السياق المعين، فليس كل ما احتمل في[2] اللفظ من حيث الجملة يحتمله هذا السياق الخاص.

رابعها: بيان القرائن الدالة على المجاز.

---

(١) من قوله: «إن رحمة الله مجاز مردود بوجوه...» في صفحة ١٦٧: إلى هنا من مختصر الصواعق ٣/ ٨٦٠-٨٧٢ باختصار.

(٢) في مختصر الصواعق: ٣/ ٩٤٧، «كل ما احتمله».

الرابع: إن اطراد لفظها في موارد الاستعمال [وتنوع](١) ذلك وتصريف استعماله يمنع المجاز، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. وقوله ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]. وقوله ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ / [٧٥] وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾ [الزمر: ٦٧]. فلو كان مجازًا في القدرة والنعمة لم يستعمل منه لفظ «يمين».

وقوله في الحديث الصحيح: «**الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ..** »(٢) فلا يقال هذا يد النعمة والقدرة.

وقوله: «**يقبض الله سمواته بيده والأرض باليد الأخرى ثم يهزها(٣) ثم يقول: أنا الملك**»(٤) ....

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، وألحقته من مختصر الصواعق ٣/٩٤٧.

(٢) أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو مسلم في صحيحه ٣/١٤٥٨ حديث ١٨٢٧، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر. وأحمد في مسنده ١١/٢٤ حديث ٦٤٨٥، و ١١/٣٢ حديث ٦٤٩٢، و ١١/٤٩٩ حديث ٦٨٩٧، والنسائي في سننه الصغرى ٨/٢٢١ كتاب آداب القاضي، باب فضل الحاكم العادل. وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان ١٠/٣٣٦ حديث ٤٤٨٤.

(٣) كذا في الأصل، وفي مختصر الصواعق: ٣/٩٤٨، ومصادر التخريج الآتية: «يهزهن».

(٤) جزء من حديث عبد الله بن مسعود أخرجه البخاري في صحيحه ٤/١٨١٢ حديث ٤٥٣٣، كتاب التفسير، باب وما قدروا الله حق قدره، و ٦/٢٦٩٧ حديث ٦٩٧٨ و٦٩٧٩، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، و ٦/٢٧١٢ حديث =



[فهنا][1] هزٌّ وقبض وذكر يدين.

الخامس: إن اقتران لفظ الطي والقبض [والبسط][2] والإمساك باليد يصير المجموع حقيقة، هذا في الفعل، وهذا في الصفة، بخلاف اليد المجازية، فإنها إذا أريدت لم يقترن بها ما يدل على اليد حقيقة، بل ما يدل على المجاز كقولهم: «له عندي يد»، «وأنا تحت يدهم»، ونحو ذلك، وأما إذا قيل: «قبض بيده»، و«أمسك بيده»، أو «قبض بإحدى يديه» كذا وبأخرى كذا، وجلس عن يمينه، أو كتب كذا وعمله بيمينه أو بيديه، فهذا لا يكون إلا حقيقة، وإنما أوتي هؤلاء من جهة أنهم رأوا اليد تطلق على النعمة والقدرة في بعض المواضع، فظنوا أن كل تركيب وسياق صالحٌ لذلك، فوهموا وأوهموا، فهب أن هذا يصلح في قوله: «لولا يَدٌلك لم أجزك بها»، أفيصلح في قوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. وفي قول عبد الله بن عمرو: «إن الله لم يباشر بيده أولم يخلق بيده إلا ثلاثًا: خلق آدم بيده، وغرس

= ٧٠١٣، كتاب التوحيد، باب قول الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١] و ٦/٢٧٢٩ حديث ٧٠٧٥، كتاب التوحيد، باب كلام الله عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم. ومسلم في صحيحه ٤/٢١٤٧ حديث ٢٧٨٦، كتاب صفة القيامة والجنة والنار. والنسائي في سننه الكبرى ٦/٤٤٦ حديث ١١٤٥٠، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] وأحمد في مسنده ٧/٣٧٧-٣٧٨ حديث ٤٣٦٨.

(١) في الأصل: «بهنا». والتصويب من مختصر الصواعق ٣/٩٤٨.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، وزدته من مختصر الصواعق ٣/٩٤٩.

جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده»[1] أفيصح في عقل أو نقل أو فطرة أن يقال: لم يخلق بقدرته أو بنعمته إلا ثلاثًا؟!

---

(١) ورد هذا الأثر من طرق عن حكيم بن جابر قال: «أخبرت أن ربكم عز وجل لم يمس بيده إلا ثلاثة أشياء: غرس الجنة بيده، وخلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده» أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٣/٩٦ حديث ١٥٨٠٤، والآجري في الشريعة ٣/١١٨٣ حديث ٧٥٧، وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ١/٢٩٥ حديث ٥٧٠، بنحوه، والذهبي في العلو ٢/٨٨٦ حديث ٣٠٣،وفي الأربعين في صفات رب العالمين ص ٨٠رقم ٧٧. وهناد في الزهد ١/٦٦ حديث ٤٦.

وهو مرسل، لأن حكيم بن جابر بن طارق الأحمسي، قال ابن حجر: أرسل عن النبي ﷺ، وروى عنه إسماعيل بن أبي خالد وغيره، وهو ثقة مات سنة ٨٢هـ، وقيل غير ذلك. التهذيب ٢/٤٤٤ والتقريب ص ١٧٦.

قال الذهبي في الأبعين: ص ٧٧ «صح عن إسماعيل بن أبي خالد، عن حكيم بن جابر».

وقال الألباني: إسناده صحيح. مختصر العلو ص ١٣٠.

وجاء من حديث عبد الله بن الحارث مرفوعًا أخرجه أبو الشيخ في العظمة ٥/١٥٥٥ حديث ١٠١٧. والدارقطني في الصفات ص ٢٦-٢٧ رقم ٢٨.

وجاء من قول ابن عمر قال: «خلق الله عز وجل أربعة أشياء بيده: آدم عليه السلام والعرش والقلم وجنات عدن، ثم قال لسائر الخلق: كن فكان» آخرجه الدارمي في نقض المريسي ١/٢٦١، ٢٨٩، ٤٧٢، وابن جرير في تفسيره ٢٣/١٨٥، عند قوله ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ سورة ص: ٧٥ والآجري في الشريعة ٣/١١٨٢-١١٨٣ حديث ٧٥٦، وأبو الشيخ في العظمة ٢/٥٧٨-٥٧٩ حديث ٢١٣، و ٥/١٥٥٥-١٥٥٦ حديث ١٠١٨، والحاكم في المستدرك ٢/٣١٩، واللالكائي في شرح أصول الإعتقاد ٣/٤٧٧ حديث ٧٣٠، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/١٢٦ حديث ٦٩٣.

وإسناده: صحيح موقوف وروي نحوه عن كعب الأحبار، وتخريجه في تخريجنا لأحاديث الشريعة للآجري حديث ٧٥٩(٣/ ١١٨٥)، وإسناده صحيح إلى كعب.

السادس: إن مثل هذا المجاز لا يستعمل بلفظ التثنية، ولا يستعمل إلا مفردًا، أو [مجموعًا][1].

السابع: إنه لو ثبت استعمال ذلك بلفظ التثنية لم يجز أن يكون المراد به هٰهنا القدرة؛فإنه يبطل فائدة تخصيص آدم؛ فإنه وجميع المخلوقات حتى إبليس مخلوق بقدرته سبحانه، فأي مزيَّة لآدم على إبليس في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥].

[٧٦] إلى غير ذلك من الوجوه التي ذكرها/ «صاحب الصواعق»[2] وزاد ما نصه:

«ولفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع، ورودًا متنوعًا متصرفًا فيه مقرونًا بما يدل على أنها يد حقيقة من الإمساك والطي والقبض والبسط والمصافحة والحثيات والنضح باليد، والخلق باليدين والمباشرة بهما وكتب التوراة بيده وغرس جنات عدن بيده، وتخمير طينة آدم بيده، ووقوف العبد بين يديه، وكون المقسطين عن يمينه، وقيام رسول الله ﷺ يوم القيامة عن يمينه، وتخيير آدم بين ما في يديه، فقال: اخترت يمين ربي، وأخذ الصدقة بيمينه يربيها لصاحبها، وكتابته بيديه على نفسه: إن رحمته تغلب غضبه، وأنه مسح ظهر آدم بيده ثم قال له ويداه [مقبوضتان][3]: اختر. فقال: اخترت

(١) في الأصل: «أو مجردًا» وما أثبته من مختصر الصواعق ٣/ ٩٥٠.
(٢) مختصر الصواعق ٢/ ٩٤٦-٩٥١.
(٣) في الأصل: «مفتوحتان» وما أثبته من مختصر الصواعق ٣/ ٩٨٨.

يمين ربي، وكلتا يديه يمين مباركة، وأن يمينه ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، وبيده الأخرى القسط يرفع ويخفض، وأنه خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، وأنه يطوي السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يطوي الأرض بيده الأخرى، وأنه خط الألواح التي كتبها لموسى بيده.

وذكر عثمان بن سعيد الدارمي بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن الملائكة قالت: يا رب قد أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها، ويشربون ويلبسون، فاجعل لنا الآخرة كما جعلت لهم الدنيا؟ فقال: لا أفعل، فأعادوا ذلك. فقال: لا أفعل، فأعادوا ذلك عليه فقال: «وعزتي لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان» رواه عبد الله بن أحمد في «كتاب السنة» عن النبي ﷺ مرسلًا[1].

---

(١) أخرجه الدارمي في نقض عثمان بن سعيد ١/٢٥٦-٢٥٧.
قال ابن كثيرعقب الحديث في البداية والنهاية (١/١٢٧): «وهو أصح». وقال الذهبي في العلو (١/٦٣٥) عقب الحديث: «إسناده صالح». وقال في الأربعين (ص ٧٩ رقم ٧٣): «صح عن عبد الله بن عمرو»، وضعفه ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ٢٨٥-٢٨٦) والألباني في تعليقه على الطحاوية (ص ٣٠٥).
وأعل شارح الطحاوية حديث عبد الله بن عمرو من رواية الطبراني ومن رواية عبد الله بن أحمد فقال: «والشأن في ثبوتها، فإن في إسناديها مقالًا، وفي متنهما شيء، فكيف يظن بالملائكة الاعتراض على الله مرات عديدة؟ وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون». وتعقبه الشيخ أحمد شاكر في شرح الطحاوية ص ٢٨٥-٢٨٦حاشية رقم ١. فقال: «أعل الشارح الحديث إسنادًا ومتنًا، وما أصاب في ذلك السداد، إذ قصر في تخريجه» ثم ذكر رواية الدارمي فقال: «وهذا إسناد لا مغمز فيه وقد أشار إليه الحافظ ابن كثير في التاريخ... =

وأشار إلى صحته». وتعقبه الألباني فقال في تخريج الطحاوية ص ٣٠٥حاشية ٣٥٢، «ضعيف كما أشار إليه المصنف». وأعله بعبد الله بن صالح. وهو عبد الله بن صالح بن مسلم الجهني، أبو صالح كاتب الليث، قال ابن حبان: كان في نفسه صدوقًاوإنما وقعت المناكير في حديثه من قبل جار له: كان بينه وبينه عداوة، فكان يضع الحديث على شيخ عبد الله بن صالح ويكتب في قرطاس بخط يشبه خط عبد الله بن صالح ويطرح في داره في وسط كتبه، فيجده عبد الله فيحدث به فيتوهم أنه خطه وسماعه، فمن ناحيته وقع المناكير في أخباره. وقال ابن حجر: صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة، مات سنة ٢٢٦هـ. المجروحين ٢/ ٤٠، والتقريب ص ٣٠٨.

وأخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة ٢/ ٤٦٩حديث ١٠٦٥. من طريق الهيثم بن خارجة، نا عثمان بن علاق .وهو عثمان بن حصن بن علاق، قال سمعت: عروة بن رويم، أخبرني الأنصاري عن النبي ﷺ.

وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١/ ١٧٢حديث ١٤٩، وفي الأسماء والصفات ٢/ ١٢١-١٢٢حديث ٦٨٨ من طريق أبي زرعة عبد الكريم الرازي، ثنا هشام بن عمار، ثنا عبد ربه بن صالح القرشي، ثنا عروة بن رويم، عن الأنصاري نحوه.

قال أحمد شاكر في شرح الطحاوية ص ٢٨٥-٢٨٦حاشية رقم ١، : «فهذا إسناد ظاهر الصحة أيضًا، وإن لم أستطع أن أجزم بذلك، لأن عروة بن رويم لم يصرح فيه بأن الأنصاري الذي حدثه به صحابي، فجهالة الصحابي لا تضر، وهو يروي عن أنس بن مالك الأنصاري فإن يكنه يكن الإسناد صحيحًا وهذا محتمل جدًا وإن كنت لا أقطع به».

وتعقبه الألباني في تخريج الطحاوية ص ٣٠٧-٣٠٨ فقال: «لا شك في عدالة رواته باستثناء الأنصاري، وإنما البحث في كون الأنصاري إنما هو أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لأنه إن كان هو فالحديث متصل الإسناد، صحيح كما قال الشيخ أحمد، لكن استئناسه على ذلك برواية ابن عساكر التي نقلها عن تفسير ابن كثير مما لا يصلح له».

وهذا الإسناد ضعيف فيه علتان:

الأولى: هشام بن عمار، قال ابن حجر: صدوق مقرئ كبر فصار يتلقن فحديثه القديم أصح. التقريب ٥٧٣.

الثانية: عبد ربه بن صالح القرشي، ذكره البخاري وابن أبي حاتم ولم يذكرا فيه جرحًا ولا

تعديلًا. التاريخ الكبير ٦/٧٩-٨٠، والجرح والتعديل ٦/٤٤.
وجاء الأنصاري مسمى في رواية البيهقي في الأسماء والصفات ٢/١٢٢-١٢٣ حديث ٦٨٩ من طريق جُنيد بن حكيم، ثنا هشام به إلا أنه قال جابر بن عبد الله بدل الأنصاري فذكر نحوه إلا أنه قال: «ويركبون الخيل».
قال البيهقي عقب حديث جابر «وفي ثبوته نظر».
وهذا الإسناد ضعيف فيه أربع علل:
الأولى: جُنيد بن حكيم الدقاق، قال الدارقطني: ليس بالقوي. الميزان ١/٤٢٥، ولسان الميزان ٢/١٤١.
الثانية: هشام بن عمار، وقد تقدم الكلام عليه.
الثالثة: عبد ربه بن صالح القرشي، وقد تقدم الكلام عليه أيضًا.
الرابعة: عروة بن رويم اللخمي، قال ابن حجر: صدوق يرسل كثيرًا، روى عن أنس بن مالك وحديثه عن جابر مرسل، ولم يسمع منه. كما في تهذيب الكمال ٢٠/٨، والتهذيب ٧/١٧٩، وخلاصة الخزرجي ٢/٢٢٦، وجامع التحصيل للعلائي ص ٢٨٨، والتقريب ص ٣٨٩.
ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٢/١٣٩ حديث ١٠٩٥٨ من طريق محمد بن أيوب بن الحسن الداراني، حدثنا الحسن بن علي بن خلف الصيدلاني، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، حدثنا عثمان بن حصن بن عبيدة بن علاق به إلا أنه قال: عن عروة بن رويم، حدثني أنس بن مالك فذكره. وانظر تفسير بن كثير ٥/٩٨. وكنز العمال ١٢/١٩١-١٩٢ حديث ٣٤٦١٨.
وهذا الإسناد فيه محمد بن أيوب بن الحسن أبو بكر الداراني، من أهل داريا، قال ابن عساكر: روى عن الحسن بن علي بن خلف الصيدلاني، وعبد الرحيم بن صالح الداراني، وروى عنه أبو علي بن مهنى الداراني، وأبو الفتح المظفر بن أحمد بن برهان المقرئ، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعدلًا. تاريخ دمشق ٥٢/١٣٨-١٣٩.
وضعف الألباني طريق ابن عساكر بمحمد بن أيوب فقال: لم يذكر فيه ابن عساكر جرحًا ولا تعديلًا، ودونه جماعة لم أجد من ترجمهم، فمثل هذا الإسناد الواهي، لا يترجح كون الأنصاري هو أنس، على أنني قد وقفت له في ابن عساكر على طريق أخرى ضعيفة أيضًا سمي فيه الصحابي جابر بن عبد الله». تخريج الطحاية ص ٣٠٨. والرواية التي أشار إليها

وقوله: «الأيدي ثلاثة فيد الله العليا، ويد المعطي التي تليها، ويد السائل

= الألباني أخرجها ابن عساكر في تاريخه في ترجمة عبد ربه بن صالح القرشي ٣٤/١٠٩-١١٠ حديث ٦٩٥٣. من طريق هشام بن عمار، أنا عبد ربه بن صالح القرشي، قال سمعت عروة بن رويم يحدث عن جابر بن عبد الله الأنصاري مرفوعًا.
قال الألباني في شرح الطحاوية ص ٣٠٨: «وجملة القول أن حديث ابن رويم هذا ضعيف لجهالة الأنصاري واضطراب الروايتين الأخيرتين في تعيينه، فأولهما تقول أنس، والأخرى تقول: إنه جابر بن عبد الله ولا يصلح عند تقويته بحديث عبد الله بن صالح لاحتمال أنه مما أدخل عليه».
وأخرجه الطبراني في الأوسط ٦/١٩٦ حديث ٦١٧٣، من طريق محمد بن حنيفة الواسطي، نا أحمد بن محمد بن ماهان، ثنا أبي قال: ثنا طلحة بن زيد، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمرو.
وأخرجه الطبراني في الكبير كما في تفسير ابن كثير ٥/٩٧-٩٨ من طريق أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي، حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي، حدثنا حجاج بن محمد، حدثنا أبو غسان محمد بن مطرف، عن صفوان بن سليم به.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٨٢: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي وهو كذاب متروك، وفي سند الأوسط طلحة بن زيد وهو كذاب». وإبراهيم قال فيه الذهبي في الميزان ١/٤٠، هذا رجل كذاب، قال الحاكم أحاديثه موضوعة، وقال ابن حجر في اللسان ١/٧١: أحد المتروكين. وطلحة قال فيه أبو حاتم في الجرح ٤/٤٨٠، منكر الحديث ضعيف الحديث لا يكتب حديثه. وقال البخاري في التاريخ ٤/٣٥١، منكر الحديث.
وقال أحمد شاكر في شرح الطحاوية ص ٢٨٥-٢٨٦ حاشية رقم ١. بعد أن ذكر الحديث من رواية الطبراني: «فهذان إسنادان لا نعبأ بهما».
وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١/٣٨٢ ومن طريقه ابن كثير في تفسيره ٥/٩٧، من طريق معمر، عن زيد بن أسلم قال: قالت الملائكة: فذكر نحوه. قال ابن كثير: «وهذا الحديث مرسل من هذا الوجه».

السفلى»[(١)(٢)].

(١) أخرجه من حديث عبد الله بن مسعود أحمد في مسنده ٧/٢٩٥ حديث ٤٢٦١، وأبو يعلى في مسنده ٩/٦٠-٦١ حديث ٥١٢٥، والبغوي في شرح السنة ٦/١١٤. حديث ١٦١٨. والحاكم في المستدرك ١/٤٠٨، وابن خزيمة في التوحيد ص ٦٥-٦٦، وفي صحيحه ٤/٩٦ حديث ٢٤٣٥، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/١٣١-١٣٣ حديث ٧٠٠، وفي سننه الكبرى ٤/١٩٨، والطيالسي في مسنده ص ٤٠ حديث ٣١٢، والشاشي في مسنده ٢/١٦٤-١٦٥ حديث ٧١٨ و ٧١٩، والطحاوي في شرح معاني الآثار ٢/٢١، كلهم من طريق إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا.
سكت عليه الحاكم وتبعه الذهبي وقال المنذري في الترغيب والترهيب ١/٥٨٥-٥٨٦: «رواه أبو يعلى والغالب على روايته التوثيق، ورواه الحاكم، وصحح إسناده» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/٩٧: «رواه أحمد وأبو يعلى ورجاله موثقون». وقال الألباني في ضعيف الترغيب ١/٢٥٢-٢٥٣ حديث ٤٩٧: «ضعيف».
لكن للحديث شواهد صحيحة عن كل من: مالك بن نضلةعند أبي داود، وحكيم بن حزام وعدي الجذامي عند الطبراني، ، فيرتقي حديث ابن مسعود إلى درجة الحسن لغيره.
فحديث مالك بن نضلة أخرجه أبوداود في سننه ٢/٢٩٨ حديث ١٦٤٩، كتاب الزكاة، باب في الاستعفاف. وأحمد في مسنده ٢٥/٢٢٥ حديث ١٥٨٩٠ و ٢٨/٤٦٧ حديث ١٧٢٣٢، وابن خزيمة في صحيحه ٤/٩٧-٩٨ حديث ٢٤٤٠، والبيهقي في سننه الكبرى ٤/١٩٨، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان ٨/١٤٨ حديث ٣٣٦٢، كلهم من طريق أبي الزعراء، عن أبي الأحوص، عن أبيه مالك بن نضلة مرفوعًا.
قال الدارقطني في الإلزامات ص ٨٦-٨٧: «يلزم مسلمًا إخراج حديث أبي الأحوص، عن أبيه، عن النبي ﷺ إذ كانت طرقها صحاحًا». وذكر الحديث ابن حجر في الإصابة في ترجمة مالك ٧/٧٥٢: وقال: «سنده صحيح». وقال الألباني في صحيح الترغيب ١/٥٠١ حديث ٨٢١: «صحيح». وأما حديث حكيم فأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣/٢١٢ حديث ٣٠٨١، بلفظ «يد الله فوق يد المعطي... الحديث» قال ابن حجر في الفتح ٣/٢٩٧: «وللطبراني بإسناد صحيح» فذكر حديث حكيم.
وأما حديث عدي الجذامي فأخرجه أيضًا الطبراني في المعجم الكبير ١٧/١١٠ حديث ٢٦٩.

(٢) من قوله: «لفظ اليد في القرآن والسنة» إلى هنا نقله من مختصر الصواعق ٣/٩٨٤-٩٨٩. =

وقوله: (هو مذهب الخلف) صوابه هو مذهب المعتزلة والجهمية والمعطلة/ وخلف الأشعرية إذ خَلَفُ أهل السنة والسلف لا يرضون بهذا [٧٧] حيث كانوا ومنذ كانوا، وكأن الرجل لم يعرف وقت مجيء محمد بن تومرت المهدي بمذهب الجهمية إلى المغرب وقتالهم عليه في أوائل القرن السادس والأمة المغربية أهل العدوتين على مذهب السلف، ثم لم يزل المحققون منهم بعد مُلك الموحدين والتأويلية على مذهب السلف إلى الآن. هذا في المغرب.

وأما في المشرق فحدث عن أهل هذا المذهب ولا حرج من أهل الحديث والحنابلة وغيرهم، وقد قدمنا ما كتبناه في شأن السلطان سيدي محمد بن عبد الله وعلماء حضرته من التمسك بمذهب السلف، وما ذكره أهل التاريخ؛ فأين حكمه على الخلف بأنه مذهبهم.

وقوله: (وإمام الحرمين إلى آخره) قد قال به في أول مرة ثم رجع. وهو دليل على قصور الرجل حيث لم يطلع حتى على ما في فتح الباري[١] وقد قال ابن حجر: في باب «وكان عرشه على الماء» بعد كلام في المسألة ما نصه: «قال إمام الحرمين[٢] في «الرسالة النظامية»[٣]: اختلفت مسالك العلماء في هذه

= باختصار.

(١) ١٣/٤٠٧.

(٢) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، أبو المعالي، إمام الحرمين، تقدمت ترجمته في ص ٥٨.

(٣) وتسمى أيضًا «العقيدة النظامية» طبعت برواية أبي بكر ابن العربي، عن الغزالي، عن الجويني، وفيها صرح برجوعه عن التأويل في الأسماء والصفات. انظر السير ١٨/٤٧٣، واجتماع الجيوش الإسلامية ص ١١٣، والرسالة المذكورة ص ٣٢-٣٣.



الظواهر، فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب، وما يصح من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها(١) إلى الله تعالى، والذي نرتضيه رأيًا، وندين الله به عقيدة(٢): إتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة، . فلو كان تأويل هذه الظواهر [حتما لأَوْشَكَ](٣) أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع» اهـ(٤).

فأنت ترى إمام الحرمين اختار قول السلف ودان لله به، وحينئذٍ فأين قول الرجل وإمام الحرمين، بل هو قول تلميذه الغزالي وتلميذه المعافري(٥)، وقول جماعة كثيرة من أهل السنة، السنة تنافي هذه المقالة إذ كيف يقال لمن لم يرض بما في الكتاب والسنة ويرد ما فيها/ إلى عقل وتأويل رجل كجهم أنه من [٧٨] أهل السنة؟! ولا أدري لِمَ لم يذكر هذا الرجل سلف إمام الحرمين في هذا القول إذا كان يجهله فما للجاهل والدخول في مذهب لا يعلم أصله، وإن كان يعلمه فمن هو؟ فإن قال جهم والمعتزلة فعار كل العار على الرجل العاقل فضلًا عن

---

(١) السلف لم يفوضوا المعنى وإنما فوضوا الكيفية وأثبتوا المعنى، كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم.

(٢) في العقيدة النظامية ص ٣٢ «عقلًا».

(٣) في الأصل [احتمالا أوشك] والتصويب من فتح الباري: وفي العقيدة النظامية المطبوعة ص ٣٣ «مسوغًا محتومًا لأوشك».

(٤) العقيدة النظامية ص ٣٢-٣٣ بتصرف.

(٥) هو: محمد بن عبد الله بن محمد، أبو بكر ابن العربي المعافري، تقدمت ترجمته في ص١٣٣.



العالم أن يقلد جهمًا وأتباعه ويترك ما صح عن رسول الله وصحبه وأتباعِه ممن كان لا يؤول، وإن كان غير جهم فقد عاند بدعواه ونسب القول لغير قائله، ومن ادعى غير ما كان كذّبه النقل والامتحان.

وقوله: (ومذهب السلف أسلم... الخ) يقال عليه:

أولًا: إن حكمت على السلف فيما تقدم بأنهم لا يعلمون شيئًا من ذلك لا تأويلًا ولا حملًا على صفة وهو مناف لقولكم. ومذهب الباقين أعلم وأحكم إذ لا مشاركة بينهم لا في علم ولا إتقان.

وثانيًا: إذا أقررتم بأن مذهب السلف أسلم فلم لم تسلكوا سبيل السلامة مع أنه إن لم يكن واجبًا كان مندوبًا.

وثالثًا: إن أقررتم بأن هذا مذهب السلف فلم اخترتم مذهب الخلف على مذهب السلف، مع أنه لم يجئ آخر هذه الأمة بأهدى مما جاء به أولها وقرونهم قرون الخير وهم أسوة لغيرهم.

ورابعًا: إذا أقررتم بمذهب السلف وسلمتم بأنه أسلم فلم أو جبتم مذهبكم بل ومنكم من كفر من اعتقد خلافه.

وخامسًا: تفسيركم: «أعلم» بأحوج إلى مزيد علم لا يناسب أعلم الذي هو اسم تفضيل المقتضي المشاركة في العلم مع غيره والزيادة وإنما يناسبه أن يكون معناه أن أهله أعلم من غيرهم مجازًا إذ لا يوصف المذهب بالعلم.

وسادسًا: بينما أنتم تنفون علم المتشابه عن السلف إذ أنتم تثبتونه لهم في هذه العبارة.



وسابعًا: قولكم: «أعلم» يؤخذ منه أن أهل مذهبكم وخلفكم أعلم من علماء/ السلف. [٧٩]

وثامنًا: يقال لكم لِمَ فسرتم «أعلم» بما لا يناسبه «وأحكم» بما يناسبه، ولعلَّه لفق للتشهي والتحكم.

وتاسعًا: إذا كان أشد إتقانًا في دفع الشبه [عن][(١)] العقيدة لزم منه أن مذهب السلف والأشعري لم يخلصا من الشبه يقينًا حيث لا إحكام ولا إتقان في دفعها من دلائلهما.

وعاشرًا: قولكم والأول «أي التفويض... الخ» إن كان هذا هو تفسيركم أسلم فما أبعد اللفظ من المعنى وإن كان زيادة على [الأسلمية][(٢)] فيلزمكم أن مذهب التأويل ليس تام اللياقة بالأدب، وكيف لا وقد جعلتموه واجبًا.

وقولكم: (المذهب الثالث... إلخ) قد قدمنا أنه مذهب السلف بعينه، ويأتيك ما يدل عليه. على أنه يقال لكم: إن سلمتم هذا فلم توجبون مذهبكم وتعارضون غيركم وتسمونهم بالمجسمة وبالجَهوِية وهم لا يقولون إلا بما قال الأشعري، ها أنتم هؤلاء لا تستقرون على قرار، ولا تتمسكون بمذهب ولا تستحيون من تنافٍ.

وأيضًا إذا سلمتم مذهب الأشعري هذا وسميتموه شيخ أهل السنة فلم خالفتم مذهبه وتمسكتم بمذهب يراه شيخ السنة ضلالًا، ويتبرأ لله منه

---

(١) في الأصل: «على».

(٢) في الأصل: «الإسلامية».



ويأتيك نصه.

وأيضًا: لِمَ خالفتم عقائدكم المعروفة التي صنفت فيها كتبكم «كالمرشد المعين» الذي قال فيه مؤلفه «في عقد الأشعري وفقه مالك»[1] حيث نبذتموه وراء الظهور إلى تأويل الجهمية؟

وأيضًا: قد نصوا على أن المالكية قد حماهم الله من أن يخرجوا عن السنة في اعتقادهم إلى البدعة فيه، فهم متمسكون بمذهب أبي الحسن الأشعري المحمي من بدعة المعتزلة والجهمية وغيرهم. قال الحطاب[2] في شرحه لقول خليل[3]: في مذهب مالك ما نصه: «قال السبكي[4] في [مفيد][5] النعم

(١) تكملتها: وفي طريقة الجنيد السالك. انظر الدر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين لميارة ١/ ١٢.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الرعيني المعروف بالحطاب الكبير الأندلسي الطرابلسي المولد، المكي الدار والقرار، تفقه بطرابلس على الشيخ محمد الفاسي وأخيه ثم في سنة ٨٧٧هـ تحول مع بقية أهله إلى مكة، ولد في صفر سنة ٨٦١هـ وتوفي في شعبان سنة ٩٤٥هـ. شجرة النور ١/ ٢٦٩.

(٣) اسم الشرح «مواهب الجليل لشرح مختصر خليل لمؤلفه محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالحطاب».

(٤) عبد الوهاب بن تقي الدين علي بن عبد الكافي، تاج الدين أبو نصر السبكي، ولد سنة ٧٢٧هـ، ذكر صاحب كشف الظنون في مصنفاته كتاب «مفيد النعم ومبيد النقم» توفي سنة ٧٧١هـ. الدرر الكامنة ٢/ ٤٢٥، والبداية والنهاية ١٨/ ٧٠٨-١٠٩. وشذرات الذهب ٨/ ٣٧٨-٣٨٠ وكشف الظنون ٥/ ٦٣٩.

(٥) في الأصل «مؤيد». والتصويب من مواهب الجليل ١/ ٢٦. ومراجع الترجمة في الحاشية السابقة.

ومبيد النقم»: وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة يد واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة/ يدينون بطريقة شيخ السنة أبي الحسن [٨٠] الأشعري لا يحيد عنها إلا رعاعٌ من الحنفية والشافعية لحقوا بأهل [الاعتزال][(١)] ورعاعٌ من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرأ الله المالكية فلم يُرَ مالكي إلا أشعري العقيدة[(٢)].

فيؤخذ من هذا الكلام أن مذهب الأشعري هو مذهب السلف، وأن المالكية على مذهبهم حينئذٍ، وهذه الشرذمة التي تناضل على التأويل وتكفر مرة من خالف مذهبهم ويزعمون أنهم مالكية.

يقال لهم: لا مالك اتبعتم ولا بالأشعري اقتديتم، وهذا ابن السبكي وغيره يشهد عليكم بذلك؛إلا أن يقال: إن مقصود ابن السبكي بمذهب الأشعري مذهب بعض المتأخرين من الأشعرية القائلين بالتأويل فيكون مخطئًا من وجوهٍ ثلاثة:

الأول: نسبة هذا المذهب إلى السنة وإلى أبي الحسن الأشعري خطأ إذ هو متبرئٌ منه كما يأتي، وإلى المالكية إذ لم يتفقوا على ذلك بل سلفهم ومحققوا خلفهم على خلاف ذلك.

كما أخطأ في نسبة التجسيم إلى بعض الحنابلة، إن كان قصده بهم ابن تيمية وأصحابه وربَّما كان لهذا الاحتمال الثاني وجه يدل عليه ما قال ابن

---

(١) في الأصل «الاعتدال» وما أثبته من مواهب الجليل ١/ ٢٦. وهو الصواب حسب السياق.

(٢) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ١/ ٢٦.

سلطان[1] في «شرح الشمائل»: قال ابن القيم[2] عن شيخه ابن تيمية: إنه ذكر شيئًا بديعًا وهو أنه ﷺ لما رأى ربه واضعًا يده بين كتفيه أكرم ذلك الموضع بالعَذَبة[3]، قال العراقي: لم نجد لذلك أصلًا.

قال ابن حجر: «بل هذا من قبيح رأيهما وضلالهما، إذ هو مبني على ما ذهبا إليه وأطالا في الاستدلال له والحط على أهل السنة في نفيهم له، وهو إثبات الجهة والجسمية لله تعالى، ولهما في هذا المقام من القبائح وسوء الاعتقاد ما تصم عنه الآذان ويقضي عليه بالزور والبهتان، والإمام أحمد وأجلاء مذهبه مبرءون من هذه الوصمة القبيحة كيف وهو كفر عند كثيرين»[4].

[٨١] أقول صانهما الله/ من هذه السمة الشنيعة والنسبة الفظيعة، ومن طلع

---

(١) هو علي بن سلطان بن محمد الهروي، القاري، الحنفي، نور الدين، عالم مشارك في أنواع من العلوم، ولد بهراة، ورحل إلى مكة واستقر بها إلى أن توفي سنة ١٠١٤هـ، من تصانيفه «مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح» و«جمع الوسائل في شرح الشمائل» وغيرهما. البدر الطالع ١/ ٤٤٥-٤٤٦، ومعجم المؤلفين ٧/ ١٠٠.

(٢) قال ابن القيم في زاد المعاد ١/ ١٣٦: «وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية قدس الله روحه في الجنة يذكر في سبب الذؤابة شيئا بديعا، وهو أن النبي ﷺ إنما اتخذها صبيحة المنام الذي رآه في المدينة لما رأى رب العزة تبارك وتعالى فقال: «يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري فوضع يده بين كتفي فعلمت ما بين السماء والأرض» الحديث وهو في الترمذي وسئل عنه البخاري فقال صحيح قال: فمن تلك الحال أرخى الذؤابة بين كتفيه وهذا من العلم الذي تنكره ألسنة الجهال وقلوبهم، ولم أر هذه الفائدة في إثبات الذؤابة لغيره».

(٣) يعني الذؤابة.

(٤) قول ابن حجر هذا: لم أهتد إلى مكانه بعد البحث عنه.

«شرح منازل السائرين» تبين له أنهما كانا من أكابر أهل السنة والجماعة، ومن أولياء هذه الأمة، وما ذكره في الشرح المذكور قوله على ما نصه: «وهذا الكلام من شيخ الإسلام - يعني الشيخ عبد الله الأنصاري الحنبلي[1] قدس الله سره الجالي - يبين[2] مرتبته من السنة، ومقداره في العلم، وأنه بريء مما رماه به أعداؤه الجهمية من التشبيه والتمثيل، على عادتهم في رمي أهل الحديث والسنة بذلك، كرمي الرافضة لهم بأنهم نواصب، والناصبة بأنهم روافض، والمعتزلة بأنهم [نَوابتُ][3] حَشْوية[4]. وذلك ميراث من أعداء رسول الله ﷺ، في

(١) هو الإمام القدوة الحافظ الكبير، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الأنصاري، الهروي، مصنف كتاب «ذم الكلام» وكتاب «منازل السائرين» شيخ خراسان من ذرية صاحب النبي ﷺ أبي أيوب الأنصاري، ولد سنة ٣٩٦هـ وتوفي سنة ٤٨١هـ. السير ١٨/٥٠٣-٥١٨، وطبقات الحنابلة ٢/٢٤٧-٢٤٨، والبداية والنهاية ١٦/١١٢.

(٢) في جمع الوسائل في شرح الشمائل ١/٢٠٧، «الجلي تبين».

(٣) في الأصل وأيضًا في جمع الوسائل في شرح الشمائل ١/٢٠٨، «نوائب» والتصحيح من مدارج السالكين لابن القيم ٢/٨٨. والنَّوابِتُ: هم الأغمار من الأحداث، وفي الإساس: النَّوابِتُ طائفة من الحَشْوِيَّة أي أنهم أحدثوا بدعًا غريبة في الإسلام. وزاد في لسان العرب: والنويبتة: تصغير نابتة؛ يقال: نبتت لهم نابتة أي نشأ فيهم صغارٌ لحقوا الكبار، وصاروا زيادة في العدد. تاج العروس ٥/١١٣، ولسان العرب ٢/٩٦، كلاهما في مادة «نبت» وابن عيسى في شرح النونية ٢/٨٢.

(٤) الحشو: هو في اللغة: ما تملأ به الوسادة. وفي الإصطلاح: عبارة عن الزائد الذي لا طائل تحته. التعريفات للجرجاني ص ٦٣. والمعطلة يعنون بقولهم حشوية أن المثبتة حشو في الوجود وفضله في الناس، وجهالهم يظنون أن معنى الحشو أنهم بقولهم إن الله سبحانه في السماء وفوق خلقه قد حشوا رب العباد بالأكوان، شرح القصيدة النونية - (٢ / ٧٧).



رميه ورمي أصحابه [بأنهم][1] صُبَاة، قد ابتدعوا دينًا محدثًا، وهذا ميراث لأهل الحديث والسنة من نبيهم. بتلقيب أهل الباطل لهم بالألقاب المذمومة[2] وقدس الله روح الشافعي حيث يقول: ـ وقد نُسب إلى الرفض ـ شعرا[3]:

إن كان رفضًا حب آل محمد　　　فليشهد الثقلان أني رافضي[4]

وعفا الله عن الثالث حيث يقول شعرا[5]:

فإن كان تجسيمًا ثبوت صفاته　　　وتنزيهه[6] عن كل تأويل مُفْتَرِ

فإني بحمد الله ربي مجسم　　　هلم[7] شهودًا واملئوا كل محضرِ[8]

---

(١) في الأصل: «لأنهم» والتصويب من جمع الوسائل في شرح الشمائل ١/ ٢٠٨، ومدارج السالكين ٢/ ٨٧.

(٢) في الأصل زيادة: «لهم» والتصويب من مدارج السالكين ٢/ ٨٨.

(٣) في الأصل: «شعر» وكذا في جمع الوسائل في شرح الشمائل لابن سلطان ١/ ٢٠٨.

(٤) بعد هذا البيت قال في جمع الوسائل في شرح الشمائل ١/ ٢٠٨ ومدارج السالكين ٢/ ٨٨:
ورضي الله عن شيخنا أبي عبد الله ابن تيمية حيث يقول شعرا:
إن كان نصبًا حب صحب محمد　　　فليشهد الثقلان أني ناصبي

(٥) في الأصل: «شعر» وكذا في جمع الوسائل في شرح الشمائل لابن سلطان ١/ ٢٠٨.

(٦) في جمع الوسائل في شرح الشمائل ١/ ٢٠٨، ومدارج السالكين ٢/ ٨٨: «وتنزيهها».

(٧) في جمع الوسائل في شرح الشمائل ١/ ٢٠٨، ومدارج السالكين ٢/ ٨٨: «هلموا».

(٨) من قوله: قال شيخ الإسلام إلى هنا موجود في مدارج السالكين ٢/ ٨٧-٨٨. بتصرف.

ثم ذكر في الشرح المذكور ما يدل على براءته من التشنيع المسطور، وهو أن حفظ حرمة نصوص الأسماء والصفات بإجراء أخبارها على ظاهرها وهو اعتقاد مفهومها المتبادر إلى أفهام العامة، ولا نعني بالعامة الجهال بل عامة الأمة كما قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ وقد سئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. كيف استوى فأطرق مالك حتى علاه الرحضاء ثم قال: «الاستواء معلوم والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»[١]. وفرق بين المعنى المعلوم من هذه اللفظة وبين الكيف الذي لا يعقله/ البشر. وهذا الجواب من مالك رَحِمَهُ اللَّهُ شاف عام في جميع مسائل [٨٢] الصفات من السمع والبصر والعلم[٢] والقدرة والإرادة والنزول والغضب والرحمة والضحك فمعانيها كلها معلومة.

وأما كيفياتها فغير معقولة إذ تعقل الكيف فرع العلم بكيفية الذات وكنهها. فإذا كان ذلك غير معلوم فكيف تعقل لهم كيفية الصفات.

والعصمة النافعة من هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يثبت له الأسماء والصفات وينفى عنه مشابهة المخلوقات فيكون إثباتك منزهًا عن التشبيه ونفيك منزهًا عن التعطيل، فمن نفى حقيقة الاستواء فهو معطل، ومن شبهه باستواء المخلوق على المخلوق فهو ممثل، ومن قال هو استواء ليس

---

(١) تقدم تخريجه في ص ٥٣.

(٢) في جمع الوسائل في شرح الشمائل ١/ ٢٠٨ زيادة: «والحياة».

كمثله شيء فهو الموحد المنزه»[1] انتهى كلامه وتبين مرامه.

وظهر أن معتقده موافق لأهل الحق من السلف وجمهور الخلف فالطعن الشنيع والتقبيح[2] غير موجه عليه ولا متوجه إليه، فإن كلامه بعينه مطابق لما قاله الإمام الأعظم[3] والمجتهد الأقدم في فقهه الأكبر ما نصه «وله تعالى يد ووجه ونفس فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته؛لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف»[4]. انتهى مع زيادة نفيسة في كلامه، بعد هذا اختصارًا.

وقلنا: إن لهذا الاحتمال وجهًا وهو ما ذكرناه عن ابن حجر؛لأن ابن السبكي ألدُّ خصم من ابن حجر لابن تيمية وأصحابه/. [٨٣]

وقولكم: (قال الفخر الرازي: إذا وصف الله تعالى بأمر ولم يصح وصفه بمعناه... الخ) يقال عليه: لا يصف الله نفسه بشيء لا يصح وصفه بمعناه البتة، إذ ذاك يؤدي إلى الكذب تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وإنما القوم لما تشارك عندهم الوصف بين الخالق والمخلوق من حيث التسمية والإطلاق ظنوا الاشتراك في المعنى أيضًا، مع أنه لا يلزم حتى في اشتراك الأسماء

---

(١) مدارج السالكين (٢/٨٨).

(٢) في جمع الوسائل في شرح الشمائل ١/٢٠٨ زيادة «الفظيع».

(٣) يعني: الإمام أبا حنيفة ونقل كلامه السفاريني في لوامع الأنوار البهية (١ / ٢٢٧)

(٤) من قوله: قال ابن سلطان في شرح إلى هنا نقله من جمع الوسائل في شرح الشمائل ١/٢٠٧-٢٠٨.

وأوصاف المخلوقين فيما بينهم كما قدمناه.

وقدمنا أن هذا التوهم مدفوع بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. وبما ذكرناه هنا يدفع قوله لكون ظاهره يقتضي جارحة أو تجسيمًا.

وأما قوله: «يقتضي الجهة» فسيأتي عن ابن رشد وغيره أن منكر الجهة في جانب الله منكر لوجوده وذاته وجميع صفاته وشرائعه وأنبيائه ورسله.

وقوله: (كالرحمة والوجه والعين واليد والنزول... الخ).

يتبين بما قلناه فيما تقدم عند ذكره لليد وغيرها، وربما يسمح الوقت بذكر النزول إن شاء الله تعالى.

والعجب من هذا المؤلف المطلع كيف يستدل بالمنسوخ و[بالمرجوع][(١)] عنه على المرجوع إليه والباطل على الحق، فإما لكونه لم يطلع على الناسخ والمرجوع إليه والحق، ومن كان هكذا فلا ينبغي له أن يدخل فدان النزاع.

وإما اطلع وعاند وهو أقبح من الأول، وذلك أن هذا الرجل قد نسبه فيما تقدم لإمام الحرمين، وما درى أو ما بيَّن أن إمام الحرمين رجع عن ذلك إلى مذهب الحق، وقد تقدم لك نصه، وههنا نسب مذهبه إلى الرازي وما درى أو ما بيَّن أيضًا أنه رجع عن ذلك، وإليك نصه في ذلك: قال الإمام الرازي في كتابه الذي صنفه في اللذات[(٢)]/ .

[٨٤]

(١) في الأصل: «بالرجوع».

(٢) في الأصل «الذات»؛ والصواب ما أثبته؛ لأن الرازي له كتاب اسمه «أقسام اللذات» قال =

«نهاية أقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذىً ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل و[قالوا][1]
فكم قد رأينا من رجال ودولة فبادوا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فزالوا والجبال جبال»[2]

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا، رأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه: ٥]. ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]. وأقرأ في النفي ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١]. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠]. ثم قال:

«ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي» انتهى[3] من كلام الرازي.

= فيه الدكتور محمد رشاد: «وهذا الكتاب مخطوط بالهند ولم يذكره بروكلمان ضمن مؤلفات الرازي». درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٦٠ حاشية رقم ٤. وإلى كتاب «أقسام اللذات» عزاه ابن القيم في اجتماع الجيوش ص ٣٠٤-٣٠٥. وقال: صنفه في آخر عمره.

(١) في الأصل: «وقال».

(٢) در التعارض ١/ ١٦٠، ونقض المنطق ص ٦١، ومنهاج السنة ٥/ ٢٧١، واجتماع الجيوش الإسلامية ص ٣٠٤- ٣٠٥، ومختصر الصواعق ١/ ١٤. والبداية والنهاية ١٧/ ١٣-١٤. وشرح الطحاويةص ٢٠٨. وطبقات السبكي ٨/ ٩٦. وفيات الأعيان ٤/ ٢٥٠.

(٣) مجموع الفتاوى ٥/ ١٠-١١. وبعضه في مختصر الصواعق ١/ ١٤-١٥.

فهل بعد هذا البيان بيان؟ أو بعد هذا الرجوع عما نقله عنه صاحب الرسالة رجوع؟

وقد قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني[(١)] إنه لم يجد عند الفلاسفة المتكلمين إلا الحيرة والندم حيث قال:

«لعمري لقد طفت المعاهد كلها[(٢)] وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعًا كف حائر على ذقن [أو][(٣)] قارعًا سن نادم»[(٤)]

وكذلك قال أبو المعالي الجويني: «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو

---

(١) مصنف كتاب نهاية الاقدام، وكتاب الملل والنحل، كان كثير الحفظ، قوي الفهم، مليح الوعظ، ولد سنة ٤٦٧هـ ومات سنة ٥٤٨هـ. السير ٢٠/٢٨٦-٢٨٩.

(٢) كذا في الأصل: وفي نهاية الإقدام ص ٣ صدر البيت هكذا:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها

(٣) في الأصل: «و» والتصويب من وفيات الأعيان ٢/١٦١، و ٤/٢٧٤ وشرح الطحاوية ص ٢٠٩، وديوان الصنعاني ص ٣٤٥.

(٤) هذان البيتان ذكرهما عبد الكريم الشهرستاني في مقدمة كتابه «نهاية الإقدام في علم الكلام» ص ٣. ولم يذكر لِمَنْ هذين البيتين. وكذلك ابن تيمية في منهاج السنة ٥/٢٧٠، ونقض المنطق ص ٦١-٦٢، ودرء التعارض ١/١٥٩، وقد ذكرهما ابن خلكان في موضعين في كتابه وفيات الأعيان ٢/١٦١و ٤/٢٧٤، ففي الموضع الأول عزاهما لابن سيناء وفي الموضع الثاني عزاهما لأبي بكر محمد بن باجة المعروف بابن الصنائع الأندلسي.

وقد رد على هذين البيتين الإمام الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني في ديوانه ص ٣٤٥، بقوله:

لَعَلَّكَ أَهْمَلْتَ الطواف بمعهدِ الرَّسول ومن والاه مِنْ كل عالمِ

فما حار من يُهدى بهدي محمدٍ ولستَ تَراهُ قارعًا سِنَّ نادمِ

عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به»، وقال عند موته «لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمة فالويل لابن الجويني، وها أنا إذًا أموت على عقيدة أمي، أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور»[1] انتهى.

وهذا تصريح آخر من إمام الحرمين بالرجوع عما نسبه إليه هذا المُطِم.

[٨٥] كما رجع تلميذه الإمام أبو حامد الغزالي فقد قالوا: إنه انتهى/ أمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق وأقبل على أحاديث الرسول ﷺ فمات والبخاري على صدره[2].

وقوله: (ومعنى العلي.... الخ) يقال عليه:

أولًا: ما فسر به العلي هو ما فسر به الأعلى في المعنى وكلامه يوهم تغايرهما.

وثانيًا: إذا كانت صفة العلو ثابتة لله تعالى كالعلي والأعلى محصورة المعنى في علو المكانة والعلو عن الإحاطة بالذات والصفات وإدراك كنههما،

---

(١) مختصر الصواعق ١/ ١٥، ومجموع الفتاوى ٥/ ١١ والمنتظم ١٦/ ٢٤٥ والسير ١٨/ ٤٧١، وطبقات الشافعية ٥/ ١٨٥. وشرح الطحاوية ص ٢٠٨-٢٠٩. وبيان تلبيس الجهمية ١/ ١٢٢، ونقص المنطق ص ٦١، ومنهاج السنة ٥/ ٢٦٩.

(٢) نقل السبكي كلامًا طويلًا لعبد الغافر الفارسي عن الغزالي ـ وهو من معاصريه ـ كلامًا طويلًا، ومنه قوله: «وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى ﷺ ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين». طبقات الشافعية الكبرى (٦/ ٢١٠). وينظر (٦/ ٢١٥) وكان مما قاله عندما لقي تلميذه أبا بكر ابن العربي:

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل   وعدت إلى تصحيح أول منـــزل

يقال عليه: ما المخصص لتفسيرهما بهذا دون علو الذات؟ ولا مخصص من قبل الشارع، فإن قالوا: العقل، قلنا:

إذا لم يخصص عقل الرسول ولا أصحابه فأنى لعقولكم التخصيص؟

وعلى تسلميه يلزمكم أن الذات إذا نفي عنها العلو على كل شيء فأين هي إن تُسْأَلوا أين هي؟ فإما أن تثبتوا أنها أسفل من كل شيء فيكون ما فررتم منه وقعتم في أقبح منه، وإن أثبتم لها توسطًا بين الأعلى والأسفل كانت حالة في العالم أو نفسه وهما أقبح مما فررتم منه. وإن نفيتم عنها جميع ذلك كنتم فارين ولاجئين إلى نفي الوجود الخارجي، وهو العدم، ولا وجود لله بزعمكم إلا في الذهن، وهذا المذهب أقبح مذاهب أهل الضلال، تعالى الله عما يزعمه الضالون علوًا كبيرًا.

وقوله: (وبالجملة.... الخ) ينظر في هذا الكلام بوجهين:

الأول: أكثر هذا الرجل الاستدلال على أن الله لا يعرف ولا صفاته.

الثاني: وأنه لا يحاط بذاته ولا بصفاته، الثاني مُسلمٌ لم ينازعه أحد وأما الأول وهو نفي معرفة الله فإن كان بمعنى معرفة الكنه والحقيقة فيغني عنه ما بعده، وينبغي أن يقيده بهذا، وإن كان بمعنى معرفة الله التي حكم بها الشرع والعقل على المكلف فنفي هذا كفر والعياذ بالله، وهذا الرجل أطلق ولا ينبغي الإطلاق/المؤدي إلى هذا. [٨٦]

وما حكاه عمن قال: «إن المعرفة لا تزيد إلا حيرة ولو ارتقت إلى الكشف لاختلاف صور التجلي، فأهل الكشف أشد حيرة» يقال:

عليه يلزم منه أنه لا فرق بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين مع أن نفي



الفرق بينهما مكابرة، وقد قال الله تعالى عن خليله ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]. فكيف تجمع الحيرة مع الاطمئنان، وأي حيرة تجمع مع قوله ﷺ في رؤية الخلائق ربهم: **«لاَ تُمَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِ كَمَا لاَ تُمَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ، وَالشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»**[1] وأي حيرة لأهل الجنة أو أهل النار في كونهما فيهما إذا دخلوهما؟ على

(١) صحيح البخاري .كتاب بدء الوحي (٥٥٤)(١ / ١٤٥) وصحيح مسلم .باب فضل صلاتي الصبح والعصر (١٤٦٦)(٢ / ١١٣).

وأخرجه بهذا اللفظ من حديث أبي هريرة الترمذي في سننه ٤/٦٨٥-٦٨٦حديث ٢٥٤٩، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في سوق الجنة، وابن ماجة في سننه ٢/١٤٥٠-١٤٥٢حديث ٤٣٣٦، كتاب الزهد، باب في صفة الجنة، وابن أبي عاصم في السنة ١/٢٥٨-٢٦٠حديث ٥٨٦. وتمام في الفوائد كما في الروض البسام ٥/٢٣٦-٢٣٨حديث ١٧٨٧كلهم من طريق هشام بن عمار، حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين، حدثنا الأوزاعي، حدثنا حسان بن عطية، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة مرفوعًا.

وإسناده ضعيف قال الترمذي عقب الحديث: «هذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه». وضعَّفه الألباني في الضعيفة ٤/٢١١-٢١٢حديث ١٧٢٢، وقال: علته عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين، أورده الذهبي في الضعفاء وقال النسائي: ليس بالقوي. وقال الحافظ ابن حجر: صدوق ربما أخطأ. التقريب ص ٣٣٣.

وتابعه سويد بن عبد العزيز السلمي الدمشقي كما عند ابن أبي عاصم في السنة ١/٢٦٠حديث ٥٨٦ وتمام في فوائده كما في الروض البسام ٥/٢٣٩حديث ١٧٨٨ لكن سويد بن عبد العزيز ضعيف جدًا. قال أحمد: متروك الحديث وقال البخاري: عنده مناكير أنكرها أحمد. وقال مرة: فيه نظر لا يحتمل. وقال ابن حجر: ضعيف، مات سنة ١٩٤هـ. التاريخ الكبير ٤/١٤٨، وتهذيب الكمال ١٢/٢٥٥-٢٦٢، والمغني في الضعفاء للذهبي ١/٤١٧-٤١٨، والتقريب ص ٢٦٠.

أن العلم نفسه لا حيرة معه فضلًا على الكشف وما بعده، وإلا اتحد العلم والشك وكان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وغير ذلك ليس من اليقينيات على أن هذا عندهم عكسوا به ما قالوا من أن أهل الكشف هم الواقعون على حقائق الأشياء دون أهل العلم بالدليل والبرهان؛ ولهذا قال قائلهم:

كثر[(١)] العيان عليَّ حتى[(٢)] صار اليقينُ منه[(٣)] العيان توهُّما[(٤)]

وقال الآخر:

وعندي وجود الحق أظهر أن يرى دليل له، فالحق ليس بغائب[(٥)]

هذا ما نقله هذا العارف عن ذلك العارف وإن كان مرادهم غير هذا فليبينوه يسلَّم أو يعارض.

وقوله: (على تبحره في العلوم بلا تكييفٍ) يقال عليه صفة الخلائق كلهم من العلم وغيره لا ينتفي عنها الحصر ولا التكييف، وإن بلغوا المرتبة القصوى بذلك فكيف بأهل زماننا، ولكن اللسان لا يواطئ دائمًا العلم وما كان.

وقوله: (غير خاف على سيادة سيدنا إن هذا المبتدع هذا الكلام... الخ) يبحث فيه من وجوه:/. [٨٧]

(١) كذا في الأصل وفي يتيمة الدهر ١/٢١٣ «كبر».

(٢) كذا في الأصل وفي يتيمة الدهر ١/٢١٣ «حتى إنه».

(٣) كذا في الأصل وفي يتيمة الدهر ١/٢١٣ «من».

(٤) ذكر هذا البيت الثعالبي في يتيمة الدهر ١/٢١٣ ولم ينسبه لأحد. وكذا في قرى الضيف لابن أبي الدنيا ص ٢١٣.

(٥) لم أجده منسوبا.

الأول: أن التكفير الصادر منه إن صدر ليس محصورًا عليه بل قاله أئمة من أهل العلم وقد تقدم نص بعضهم، ويأتيك نصوص الباقين، فالمضلل له مضلل لهم.

الثاني: إثبات الجهة لا يلزم منه إدراك الكنه والحقيقة، وما ادَّعاه من أن من كان محصورًا... الخ باطل؛لأنه لا يلزم من كون الشيء في جهة أن تطلب معرفته، وإذا طلبت فلا يلزم إدراكها بل الموجودات الحادثات محصورة في جهة قطعًا، ومنها ما لا تطلب معرفته لجهلنا به، أو لكون الحاجة لم تمس إليه وما طلبت معرفته منها لا إدراك لنا لحقيقته وكنهه حتى في أنفسنا وما أحاط بنا، فضلًا عن البعيد منا، فضلًا عن الموجود القديم سبحانه.

الثالث: يفهم من هذا الكلام أن من لم يكن في جهة وهو الله كما قالوا لا تطلب معرفته مع أنها مطلوبة قطعًا.

فإن قالوا: طلب المعرفة المنفي عندنا المقيد بإدراك الحقيقة، قلنا: لا بيان للقيد في كلامكم، ولو سلَّمناه فقد تقدم رده في غير الله تعالى.

الرابع: حكايتكم الخلاف في تكفير المجسم لا موضوع له هٰهنا إذ خصمكم لا يدعي التجسيم.

الخامس: إذا نقلتم بهذا التخفيف عن المجسم يلزمكم التخفيف في جهوي أحرى.

السادس: قولكم في مدعي الجهة: «الأصح أنه لا يكفر.. » يقال عليه:

إذا نفي عنه الكفر فهو مسلم، وحينئذٍ ما وجه تضليلكم له وتبديعكم، وطلبكم من السلطان أن ينفيه من الأوطان، فإن قلتم لمعصيته/ قلنا: يلزمكم [٨٨] هذا في جميع المعاصي أو في المتفاحش منها على أنه يقال: إثبات صفة لله تعالى لا تكون معصية، وإنما تكون واجبة أو مستحيلة الواصف لله بصفة مستحيلة يكفر لا يفسق فقط.

السابع: قوله عن ابن أبي جمرة[١]: «إذا لم يقبل عقله غيرها»[٢].

يقال عليه: هذا القيد من أين أوتي به، ومن فرق بينه وبين غيره، بل ما هو إلا التحكم.

وقوله: (وفيه نظر) يقال عليه: في نظره نظر إذ لا نظر فيما حكم به رسول الله ﷺ وشهد بالإيمان بمن قال به واعتقد، على أنه ما المانع لهذا الرجل أن يبين نظر هذا.

وقد يقال لهذا الرجل وسلفه قولًا فصلًا في الجسمية والتركيب والجهة منقولًا عن أهل العلم مثل ابن القيم وابن رشد وغيرهما: (لفظ الجسم لم ينطق به الوحي إثباتًا ونفيًا، فمن أطلقه نفيًا أو إثباتًا سئل عما أراد به؛ فإن أراد به.

---

(١) لعله هو محمد بن أحمد بن عبد الملك بن موسى الأموي مولاهم الأندلسي المُرْسِيُّ سمع من أبي الوليد بن رشد، صنف كتاب «نتائج الأفكار في معاني الآثار» و«إقليد الإقليد المؤدي إلى النظر السديد» توفي سنة ٥٩٩هـ. السير ٢١/٣٩٨-٣٩٩، وشذرات الذهب ٤/٣٤٢.

(٢) حاشية محمد الطالب ابن الحاج على ميارة ١/٤٦.

الكثيف كالبدن الذي هو ضد اللطيف كالهواء والنار فهو محال عن الله، وإن أراد به المركب من المادة والصورة[1]، أو من الجواهر الفردة[2] فكذلك منفي.

وإن أراد به ما يوصف بالصفات ويرى بالأبصار ويتكلم ويكلم فهذا ثابت لله، فلا ننفيها عن الرب، لأجل تسميتكم المخطئة لها جسمًا، كما أننا لا نسب الصحابة لأجل تسمية الروافض لمن يحبهم ويواليهم نواصب، ولا ننفي قدر الرب ونكذب به، لأجل تسمية القدرية لمن أثبته جبريًا ولا نرم ما أخبر به الصادق عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله لتسمية أعداء الحديث لنا حشوية[3] ولا نجحد صفات خالقنا وعلوه على خلقه/ واستوائه على عرشه لتسمية [٨٩] الفرعونية المعطلة لمن أثبت ذلك مجسمًا مشبهًا. بل نرضى بتلطيخكم هذا لما حصلناه من الحق ولا نبالي به ورحم الله الشافعي الفاتح لهذا الباب حيث قال:

---

(١) الصورة: ما قابل المادة، فصورة التمثال هي الشكل الذي وضع عليه ومادته هي ما صنع منه، وقد عنى أرسطو بهذا التقابل وبنى عليه فلسفته كلها وطبقه في الطبيعة، وعلم النفس والمنطق. التعريفات للجرجاني ص، ٩١والمعجم الفلسفي ص ١٠٧.

(٢) الجواهر الفردة: هو الموجود الذي لا يقبل التجزئة لا في الواقع ولا في التصور، وهو في الحوادث الجزء الذي لا يتجزأ لا بالفعل ولا بالقوة. المعجم الفلسفي ١/٤٢٧، والدر الثمين لميارة ١/٢٩.

(٣) تقدم تعريف الحشوية في ص ١٨٧.

«يا راكبًا قف بالمحصب[1] من منى | واهتف بقاعد جيفها[2] والناهض
إن كان رفضًا حب آل محمد | فليشهد الثقلان أني رافضي[3]

كما رحم من اقتدى به بقوله:

«فإن كان تجسيمًا ثبوت استوائه | على عرشه إني إذًا لمجسم
وإن كان تشبيهًا ثبوت صفاته | فمن ذلك التشبيه لا أتكتم
وإن كان تنزيهًا جحود استوائه | أو أوصافه أو كونه يتكلم
فعن ذلك التنزيه نزَّهت ربنا | بتوفيقه والله أعلى وأعظم[4]

وهذا مأخوذ من قول الشاعر:

وعَيَّرني الواشون أني أحبها | وذلك ذنب لست منه أتوب[5]

(١) المُحَصَّب: بالضم ثم الفتح وصاد مهملة مشددة: اسم مفعول من الحصباء أو الحصب وهو الرمي بالحصى، وهي صغار الحصى قال ياقوت: وهو موضع فيما بين مكة ومنى وهو إلى منى أقرب، وهو خيف بني كنانة وحده من الحجون ذاهبًا إلى منى. معجم معالم الحجاز ٤٣/٨، ومعجم البلدان ٥/ ٦٢.

(٢) الخَيْفُ: بفتح أوله، وسكون ثانية، وآخره فاء، هو ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف من منى. معجم البلدان ٢/ ٤٧١.

(٣) ديوان الشافعي ص ٢٦٦-٢٦٧. وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١/ ٢٩٩. والوافي بالوفيات ٢/ ١٧٨.

(٤) لعل هذه الأبيات للإمام ابن القيم فإنه لم يعزها في الصواعق ٣/ ٩٤٠، ولا في مختصر الصواعق ١/ ٣٢٩ لأحدٍ. ولا في النونية بشرح محمد خليل هراس ١/ ١٤، وشرح ابن عيسى ١/ ٢٩.

(٥) هذا البيت عزاه في أشعار الهذليين ١/ ٧٠. لأبي ذؤيب الهذلي وذكرها أيضًا ابن منظور في =

وإن أردتم بالجسم ما يشار إليه إشارة حسية، فقد أشار أعرف الخلق به بإصبعه رافعًا بها إلى السماء بمشهد الجمع الأعظم مستشهدًا له لا للقبلة.

وإن أردتم بالجسم ما يقال: أين هو؟ فقد سأل أعلم الخلق به بأين عن علوه على عرشه، وسمع السؤال بأين وأجاب عنه، ولم يقل هذا السؤال إنما يكون عن الجسم.

وإن أردتم بالجسم ما يلحقه «من» و«إلى» فقد نزل جبريل من عنده، وعرج بالرسول إليه، ورفع عيسى إليه و ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

وإن أردتم بالجسم ما يتميز منه أمر عن أمر فهو سبحانه موصوف بصفات الكمال جميعها، من السمع والقدرة والعلم والحياة، وهذه صفات متميزة متغايرة، ومن قال: إنها صفة واحدة/ فهو بالمجانين أشبه منه بالعقلاء، [٩٠] وقد قال أعلم الخلق به: **«أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ»**(١) والمستعاذ به غير المستعاذ منه.

= لسان العرب ٤/ ٥٢٧ والزبيدي في تاج العروس ٧/ ١٧٥ كلاهما في مادة «ظهر» والأزهري في تهذيب اللغة ٦/ ٢٥٤، كلهم بلفظ:

وعيرها الواشون أني أحبها ... وتلك شكاة ظاهر عنك عَارُها.

(١) أخرجه من حديث عائشة أبو داود في سننه ١/ ٥٤٧ حديث ٨٧٩، كتاب الصلاة، باب في الدعاء في الركوع والسجود، والترمذي في سننه ٥/ ٥٢٤ حديث ٣٤٩٣، كتاب الدعوات، باب ٧٦، وابن خزيمة في صحيحه ١/ ٣٢٨-٣٢٩ حديث ٦٥٤ و ٦٥٥، وأحمد في مسنده ٤٠/ ٣٦١-٣٦٢ حديث ٢٤٣١٢ و ٤٢/ ٤٣٨-٤٣٩ حديث ٢٥٦٥٥، وأخرجه بلفظ =

وإن أردتم بالجسم ما لهُ وجهٌ ويدان وسمعٌ وبصرٌ، فنحن نؤمن بوجه ربنا الأعلى وبيديه وسمعه وبصره، وننزهه عن مشابهة خلقه فيها.

وإن أردتم بالجسم ما يكون فوق غيره مستويًا على غيره، فهو سبحانه فوق عرشه بغير كيف.

فقد أخطأتم في تسميتكم لهذه الوجوه جسمًا، وتعريفكم بها بما يدل على تشبيه تلك التسمية المخطئة والتعريف المنفِّر، وما مثلكم في هذا التعريف إلا كمثل من سأل عن العسل فقيل له: إنه مائع أصفر يشبه العذرة تتقيؤه الزنابير[1]، فمن لم يعرفه ينفر عنه بهذا التعريف، ومن عرفه وذاقه لم يزده هذا التعريف إلا محبة له ورغبة فيه، ولله در القائل حيث يقول:

[تقول][2] هذا جناء[3] النحل تمدحه وإن تشأ[4] قلتَ: ذَا قَيْءُ الزنـــابير

= «اللّهم أعوذ برضاك» مسلم في صحيحه ١/٣٥٢ حديث ٤٨٦ كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود. وابن ماجة في سننه ٢/١٢٦٢-١٢٦٣ حديث ٣٨٤١، كتاب الدعاء، باب ما تعوذ منه رسول الله ﷺ.

(١) الزنبور: الدبر وهي تؤنث والزنابير لغة فيها وربما سميت النحلة زنبورًا، والجمع الزنابير. حياة الحيوان للدميري ٢/٩.

(٢) ما بين المعكوفتين ساقط الأصل، وألحقته من ديوان ابن الرومي ٢/١٦٩، ومختصر الصواعق ١/٣٣٢.

(٣) في ديوان ابن الرومي ٢/١٦٩ «مُجاج» والجنى: الرطب والعسل، ويقال للعسل إذا اشتير جنى، وكل ثمر يُجْتَنَى فهو جنى. لسان العرب ١٤/١٥٦.

(٤) في ديوان ابن الرومي ٢/١٦٩ «وإن تُعِبْ».

مدحًا وذمًا وما جاوزت وصفهما والحق قد يعتريه سوء تعبير[1]

وإن قلتم: لو كان فوق عرشه لكان مركبًا، يقال لكم ما تعنون بالمركب؟ فإن قلتم: الذي ركبه غيره أو ركب عن أجزاء متفرقة أو اجتمعت فصارت مركبة فهذا محال لا يقوله خصمكم ولا غيرهم على الله تعالى.

وإن قلتم: علوه على عرشه وبينونته من خلقه فهذا المعنى ثابت لله بالدليل والبرهان.

وإن قلتم: كونه مركبًا، إنه يتميز منه شيءٌ عن شيءٍ.

قيل يلزمكم هذا حيث وصفتموه بصفات مخالفة كالسمع والبصر.

[٩١] وإن قلتم: لا نصفه بصفة فرارًا من هذا فقد وقعتم في العدم الذي هو/ أقبح من كل قبيح، إذ العقل والفطرة والنقل دل على ثبوته أفتنفونه بمجرد تسميتكم له مركبًا تسمية باطلة، والتركيب يطلق على تركيب من الوجود والماهية[2] فإذا نفي هذا التركيب صار وجودًا ذهنيًا لا خارجيًا، وعلى تركيب الماهية من الذات والصفات، فإذا نفي هذا التركيب كان ذاتًا مجردة من الأوصاف وعلى الهيولى[3] والصورة، وعلى تركيب الجواهر الفردة وعلى

---

(١) ديوان ابن الرومي ٢/١٦٩، وإعلام الموقعين ٤/٢٣٠. لكن قافية البيت الأخير في ديوان ابن الرومي ٢/١٦٩، سحرُ البيان يُرِى الظلماءَ كالنور. والقافية المذكورة هنا لبيت قبلهما.

(٢) الماهية: تطلق غالبًا على الأمر المتعقَّل، مثل المتعقل من الإنسان، وهو الحيوان الناطق مع قطع النظر عن الوجود الخارجي. التعريفات للجرجاني ص ١٣٧.

(٣) الهيُّولى: لفظ يوناني بمعنى الأصل، والمادة: وفي الإصطلاح: هي جوهر في الجسم قابل لما =

تركيب أجزاء كانت متفرقة فاجتمعت وهذا منفي عن الله.

فالعقل لما دل على إثبات إلهٍ واحدٍ، ورب واحد لا شريك له ولا شبيه له، لم يلد ولم يولد، لم يدل على أن ذلك الرب الواحد لا اسم له ولا صفة، ولا وجه ولا يد، ولا هو فوق خلقه ولا يصعد إليه شيء ولا ينزل منه شيء، فدعوى ذلك على العقل كذب صريح عليه كما هي كذب صريح على الوحي)[1].

(والجهة قال فيها ابن رشد: وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة، ثم تبعهم على نفيها متأخروا الأشعرية كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله. وظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة مثل قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة: ١٧]. ومثل قوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السجدة: ٥]. ومثل قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج: ٤]. ومثل قوله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [الملك: ١٦]. إلى غير ذلك من الآيات التي إن سلط التأويل عليها عاد

= يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين: الجسمية والنوعية، التعريفات للجرجاني ص ١٧٣. والمعجم الفلسفي لجميل صليبا ٢/٥٣٦.

(١) من قوله ولفظ الجسم لم ينطق به الوحي إلى هنا من مختصر الصواعق ١/٣٢٧-٣٣٦، بتصرف واختصار.

الشرع كله مؤولًا[1].

وإن قيل فيها: إنها من المتشابهات عاد الشرع كله متشابهًا؛لأن الشرائع كلها مبنية[2] على أن الله في السماء، وأن منه تنزيل الملائكة بالوحي/ إلى النبيين، وأن من السماء نزلت الكتب، وإليها كان الإسراء بالنبي ﷺ حتى قرب من سدرة المنتهى. [٩٢]

وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء، كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك[3].

ثم استرسل[4] في الاستدلال بعلم الفلسفة على أن ما فوق العرش لا يسمى مكانًا ولا بالجهة المكانية، وإنما هو جهة اعتبارية كما قدمناه عنه.

وقد قال الأذرعي[5] في «شرح الطحاوية» فيما يرى: (وأما لفظ الجهة، فقد يراد به ما هو موجود، وقد يراد به ما هو معدوم، ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق، فإذا أريد بالجهة أمرٌ موجودٌ غيرُ الله تعالى كان

(١) في مختصر الصواعق ١/١٤٦: «متأولًا».

(٢) كذا في الأصل وفي مناهج الأدلة ص ٦٧ أيضًا وفي مختصر الصواعق: ١/١٤٦، «مبينة».

(٣) من قوله: «والجهة قال فيها ابن رشد...» إلى هنا نقله من الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد ص ٦٦-٦٧، وهو في مختصر الصواعق: ١/١٤٤-١٤٦.

(٤) في الحاشية: يعني ابن رشد.

(٥) هو علي بن سليم بن ربيعة الأذرعي، ضياء الدين، أبو الحسن، فقيه ناظم حكم بطرابلس وعجلون ودمشق، من آثاره «نظم التنبيه للشيرازي في فروع الفقه الشافعي»، توفي بالرملة في سنة ٧٣١هـ. البداية والنهاية ١٨/٣٣٩، والدرر الكامنة ٣/٥٣-٥٤، وشذرات الذهب ٦/٩٦.

مخلوقًا، والله تعالى لا يحصره شيء، ولا يحيط به شيء من المخلوقات، تعالى الله عن ذلك، وإن أريد بالجهة أمر عدمي، وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده.

فإذا قيل: إنه في جهة بهذا الاعتبار، فهو صحيح، ومعناه: أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات فهو فوق الجميع، عال عليه.

ونفاة لفظ الجهة الذين يريدون بذلك نفي العلو، يذكرون من أدلتهم: أن الجهات كلها مخلوقة، وأنه كان قبل الجهات، وأن من قال: إنه في جهة يلزمه القول بقدم شيء من العالم، وأنه كان مستغنيًا عن الجهة ثم صار فيها.

وهذه الألفاظ ونحوها إنما تدل على أنه ليس في شيء من المخلوقات، سواء سمي جهة أو لم يسم، وهذا حق. ولكن الجهة ليست أمرًا وجوديًّا، بل [أمر اعتباري][(١)]، ولا شك أن الجهات لا نهاية لها، وما لا يوجد فيها لا نهاية له فليس بموجود[(٢)].

وقال أيضًا: ما معناه في قولهم علوّ مكانة لا مكان لا يكون الشيء علو المكانة في القلوب والأذهان حتى يكون ذلك مطابقًا/ لما في نفس الأمر [٩٣] والخارج من علو الذات والجهات الاعتبارية، وقد ذكر ابن القيم وغيره كلامًا في غاية الإتقان في إثبات هذه الجهة ما تركنا كتبه هنا إلا للتطويل.

(١) في الأصل: «أمرا اعتباريا» والمثبت كما في الطحاوية ص ٢٢١.

(٢) من قوله قال الأذرعي إلى هنا نقله من شرح الطحاوية ص ٢٢١.

وبعد هذا نذكر كلامًا للشيخ مَيَّارة[١] نقله في «شرح المرشد» عن بعضهم معترضين عليكم فنقول:

وما ذكره مَيّارة من جواب ابن جلال[٢] لمن سأله عن قول بعض الشيوخ: «إن الله لا داخل العالم ولا خارجه» وقول بعضهم: إنه سؤال معضل. وقول آخر: فيه رفع للنقيضين، وقول آخر: إنه الكل القائم به كل شيء بأنه يعتقد ويجزم بأنه لا خارج العالم ولا داخله للدلائل الدالة على ذلك كتابًا وسنة وإجماعًا وعقلًا إلى أن قال: أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]. فلو كان في العالم أو خارجًا عنه لكان مماثلًا، وبيان الملازمة واضح.

أما الأول[٣]: فلأنه إن كان فيه صار من جنسه فيجب له ما وجب له.

وأما الثاني[٤]: فلأنه إن كان خارجًا لزم إما اتصاله وإما انفصاله، وانفصاله إما بمسافة متناهية أو غير متناهية، وذلك كله يؤدي لافتقاره إلى مخصص.

---

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد الشهير بميارة، الفقيه الفصيح العبارة، أخذ عن ابن عاشر وشاركه في أغلب شيوخه، توفي سنة ١٠٥١هـ، شجرة النور الزكية ١/٣١٩.

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن جلال به عرف التلمساني مفتي فاس، وشيخ الجماعة بها الإمام الفقيه، العالم المتفنن المفضال، ولد سنة ٩٠٨ وتوفي سنة ٩٨١هـ. شجرة النور ١/٢٨٥.

(٣) كذا في الأصل، وفي الدر الثمين والمورد المعين ١/٢٩: «أما في الأول».

(٤) كذا في الأصل، وفي الدر الثمين والمورد المعين ١/٢٩: «وأما في الثاني».

وأما السنة فقوله ﷺ: **«كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما كان عليه»**[1].

---

(١) ذكره ميارة في الدر الثمين ١/٢٩، ومحمد الطالب بن الحاج في حاشيته على ميارة ١/٤٦، وابن عطاء الله كما في شرح الحكم ١/٣٣، وابن تيمية في الصفدية ٢/٢٢٣.
وقال الألباني رحمه الله في تخريج أحاديث الطحاوية عند حديث (كان الله ولم يكن شيء قبله، وفي رواية: ولم يكن شيء معه): «صحيح: ورواية «معه» لم أجدها عند البخاري، وقد أخرج الحديث في موضعين من «صحيحه»: «بدء الخلق» و«التوحيد» بالروايتين الأخيرتين: «قبله» و«غيره»، وبالأخرى منهما أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٦ و ٢٧٠)، ورواه أحمد (٤/ ٤٣١) بالرواية الأولى منهما، لكن بلفظ «كان الله تبارك وتعالى قبل كل شيء»، وعزاه الذهبي في «مختصر العلو» (٩٨/ ٤٠) للبخاري وقال: «حديث صحيح»! انظر المقدمة (ص ٢٧)، وكلام الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث يشعر بأن هذه الرواية «معه» لم يقف عليها، فقد قال (٦/ ٢٠٦): «تنبيه: وقع في بعض الكتب في هذا الحديث: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان» وهي زيادة ليست في شيء من كتاب الحديث، نبه على ذلك العلامة تقي الدين ابن تيمية، وهو مسلم في قوله: «وهو الآن إلى آخره»، وأما لفظ: «ولا شيء معه»، فرواية الباب بلفظ: «ولا شيء غيره بمعناها».
قلت: فلو كان عند الحافظ علم بهذه الرواية لذكرها، واستغنى بذلك عن الاحتجاج عليها بمعنى الرواية التي ذكرها، كما هو ظاهر، والله أعلم». شرح الطحاوية - (١ / ١٣٣).
وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية الذي أشار إليه الألباني مذكور في مجموع الفتاوى ٢/٢٧٢ وهذا نصه حيث يقول: قوله: «وهو الآن على ما عليه كان» هذه الزيادة كذب مفترى على رسول الله ﷺ، اتفق أهل العلم بالحديث على أنه موضوع مختلق، وليس هو في شيء من دواوين الحديث، لا كبارها ولا صغارها، ولا رواه أحد من أهل العلم بإسناد، لا صحيح ولا ضعيف، ولا بإسناد مجهول».
وقال ابن القيم في مدارج السالكين ٣/٣٩١: «وأما قوله: «وهو الآن على ماكان عليه» فزيادة في الحديث ليست منه. بل زادها بعض المتحذلقين. وهي باطلة قطعًا، فإن الله مع خلقه بالعلم والتدبير والقدرة... الخ».

وأما الإجماع: فأجمع أهل الحق قاطبة على أن الله تعالى لا جهة له فلا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف.

أما العقل: فقد اتضح لك اتضاحًا كليًا لما مر[1] في بيان الملازمة في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

والاعتراض بأنه رفع للنقيضين ساقط؛ لأن التناقض إنما يعتبر حيث يتصف المحل بأحد/ النقيضين ويتواردان عليه، وأما حيث لا يصح تواردهما [٩٤] على المحل ولا يمكن الاتصاف بأحدهما فلا تناقض كما يقال مثلًا: الحائط لا أعمى ولا بصير، فلا تناقض لصدق النقيضين فيه لعدم قبوله لهما على البدلية، وكما [يقال][2] في الباري أيضًا لا فوق ولا تحت وقس على ذلك إلى آخر ما اعترض به على ابن مقلاش[3] حيث قال: السؤال معضل بأنه لا يلتفت إليه لعدم إتقانه طريق المتكلمين، إذ كثير من الفقهاء، ليس له خبرة به فضلًا عن إتقانه. انتهى ببعض تصرف[4].

يقال عليه: ينظر في هذا الكلام من وجوه:

الأول: ابن جلال هذا الذي لقبه بالإمام وإن كان الحق لا يعرف بالرجال، من هو؟ ولمن هو إمام؟ ولو كانت لاشتهرت إلى من يعرفه الخاص

(١) كذا في الأصل، وفي الدر الثمين والمورد المعين ١/ ٢٩: «مما مر».

(٢) في الأصل: «لا يقال» والمثبت من الدر الثمين والمورد المعين ١/ ٣٠.

(٣) لم أجد ترجمته وأشار في بعض الكتب إلى أنه من شراح رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

(٤) الدر الثمين والمورد المعين ١/ ٢٩-٣٠.

إن لم يعرفه العام وعلى تسليمه فلله دره من إمام برهن بهذا الكلام على إمامته وبين به غفلة ناقله وسلمه وملقبه بها.

والثاني: استدلاله الأول: بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وتفصيله لوجه الدلالة بأنه إن كان في العالم وجب له ما وجب له صحيحٌ، وعليه فليس بداخل العالم، وإن كان خارج العالم إلى آخر ما ألزم عليه من الافتقار إلى المخصص يقال عليه: -

أولًا: الانفصال بمسافة ما لا محل لذكره؛لأنه لا مسافة إلا في السطوح والأجسام، وهي خاصة بالعالم كما تقدم عند الفلاسفة والفقهاء، على أن كون المسافة غير متناهية يلزم عليه نفي المنفصل فيبطل الإلزام، وإن كان المراد الاعتبارية فيقال عليه: لِمَ لَمْ يجوز الجهة الاعتبارية ويكفي نفسه كلفة هذا الفكر كما جوَّزها الناس.

وثانيًا: الاتصال والانفصال المعروفان لتأوله من صفة الأجسام، والله ليس بجسم ولا فوق العرش جسم حسبما برهن عليه ابن رشد وغيره كما تقدم/. [٩٥]

وثالثًا: الاتصال والانفصال لا يلزم منهما الافتقار إلى متصل به أو منفصل، إذ قد يكون وقد لا يكون في الأجسام نفسها، فالسماء منفصلة عن الأرض من غير افتقار إليها، والشمس والروح متصلان بالأرض والأجساد من غير لزوم وافتقار إليها، فكيف بمن جميع الكائنات مفتقرة إليه دون أن يفتقر إليها؟ وكيف لا وهي كما جاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ: «في



قبضته وقدرته وإحاطته وعظمته كخردلة في يد أحدنا»[1].

ورابعًا: إذا التزم من ذلك افتقاره إلى المخصص بسبب وجوده خارجًا عن العالم لزمكم افتقاره إليه بسبب وجوده مطلقًا، إذ الصفة واحدة، وهي الوجود الصادق بالخارج الذي نفيتموه وبالذهن الذي تثبتونه، وحينئذٍ لا يبقى لكم إله ذهنيًا ولا خارجًا، ونسأل الله العافية من هذه الأفكار الخاوية.

وخامسًا: كل ما لزم على دعوى الخروج من العالم أخف مما لزم على دعواكم من العدم.

وسادسًا: لِمَ لَمْ يسع هذا الرجل ما وسع السلف من الإقرار والإيمان برب خارج عن العالم فوق عرشه مجهول الاتصال والانفصال وغيرهما من الكيف.

وسابعًا: هذا الرجل مالكي ومن قلَّده، فكيف لم يرضوا باعتقاد مالك وأتباع مذهبه في التوحيد حيث قال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، وتعرضوا لتبديعه وسخطه حيث حكم به على السائل الذي سأل عن ذلك، ورضوا بتقليده في الفروع، فكان عندهم إمامًا فيها وليس بإمام في الأصول، بل حكموا عليه بما لا ينبغي أن يذكر إلا لبيان فساده.

[٩٦] الثالث: **قوله: (وإما السنة.. الخ)** يقال عليه:/

---

(١) يشير إلى أثر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن في يد الرحمن كخردلة في يد أحدكم» وصحح إسناده محقق الإبانة الشيخ عبد الله الأثيوبي. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة – (٣ / ٣٠٨).

وعند ابن أبي شيبة في مصنفه عَنْ وَهْبِ بن مُنَبِّهٍ، قَالَ: «مَا الْخَلْقُ فِي قَبْضَةِ اللهِ إِلاَّ كَخَرْدَلَةٍ هَاهُنَا مِنْ أَحَدِكُمْ». مصنف ابن أبي شيبة – (١٣ / ٤٩٧).

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الإبل[(١)]

وذلك أن الحديث الذي نسبه إلى رسول الله ﷺ مستدلًا به على ما زعم من كون الباري لا خارج العالم ولا داخله يقال عليه:

أولا: هذا الحديث إن جَهِلَ المستدلُّ به أنَّ آخره «**وهو الآن على ما كان عليه**»[(٢)] لم يثبت عن رسول الله ﷺ فما بال الجاهل بثبوت الشيء يستدل به على مراده، وإن علم عدم الثبوت فما باله يتعمد الكذب على رسول الله ﷺ، وقد قال الله في الأول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقال ﷺ في الثاني: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[(٣)].

وهذه الجملة نص الحفاظ على أنها لا وجود لها في كتب الحديث مسندة إلى رسول الله ﷺ وممن نبَّه على ذلك الحافظ ابن حجر في كتاب «[بدء][(٤)]

---

(١) لسان العرب ٨/١٧٥، و ١١/٢٢٣، وفيض القدير ١/٤٥٩، وعزاه لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأورد البيت لكن باختلا ف في قافيته، عبد الرزاق في مصنفه ١٠/٤٣عقب حديث ١٨٢٩٢، والبيهقي في سننه الكبرى ١٠/١٠٤. والخليل في العين ٦/٢٦٦، وأبو عبيد في الغريب ٣/٤٧٧و ٤٧٩ والزمخشري في الفائق ٤/٥٤.

(٢) تقدم تخريجه والتعليق عليه في ص ٢٠٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١/٥٢-٥٣حديث ١١٠، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، و ٥/٢٢٩٠حديث ٥٨٤٤، كتاب الأدب، باب من سمى بأسماء الأنبياء. ومسلم في صحيحه ١/١٠حديث ٣و ٤ المقدمة، باب تغليط الكذب على رسول الله ﷺ.

(٤) في الأصل: «إبداء».

الخلق»[1].

وثانيًا: الاستدلال بأوله الصحيح على أن الله واحد في الأزل لا معه شيء من مخلوقاته صحيح، ولكن لا دليل فيه على ما زعم بل هو دليل عليه إذ فيه إثبات وجود الله خارجًا عن العالم.

وثالثًا: الاستدلال بآخره على ما زعم فاسد من وجهين:

الأول: أنه حجة عليه إذ فيه ثبوت الوجود خارجًا أيضًا.

الثاني: فيه مكابرة الحس وإنكار الضروريات التي تؤدي بصاحبها إلى إنكار الأديان وغير ذلك؛لأنه إذا كان الآن على ما عليه كان، كان العالم معدومًا لا شيء؛لأنه الذي كان عليه قبل، وإن قال مرادي إنه كان ولا عرش وهو الآن كائن لا على العرش قيل له: هذا لا يحتمله اللفظ إذ «لاشيء» أعم من «لا عرش».

وأيضًا أنت لا تستدل على أنه ليس فوق عرشه خاصة بل بصدد الاستدلال على نفيه داخل العالم وخارجه كان عرشًا أولا عرش، وهذا ينافي/ [٩٧] دعواك، على أنه لو سلمناها لم يدل على أنه لا فوق عرشه بعد خلقه له لورود النصوص القاطعة بذلك، ولا منافاة بين أن يكون قبل لا فوقه وبعد فوقه، إذ لا لزوم في ذلك ولا افتقار، ولا ينافي ما صح من الحديث وهو **«كَانَ اللَّهُ وَلاَ**

(١) قال ابن حجر فتح الباري ٢٨٩/٦. قوله: «وهو الآن على ما كان عليه» وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث، نبه على ذلك العلامة تقي الدين ابن تيمية». وقد مَرّ كلام ابن تيمية في ص ٢٠٩.

شَيْءَ مَعْهُ»(١) وفي رواية: «وَلاَ شَيْءَ قَبْلَهُ»(٢) وفي أخرى: «وَلاَ شَيْءَ غَيْرُهُ»(٣) وما ثبت جوابًا من رسول الله ﷺ للسائل «أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْعَرْشَ» إذ قال: «كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ»(٤) لأنه إن فُسر العمى بأنه

(١) هذا اللفظ «معه» لم يثبت كما تقدم ص٢٠٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٢٦٩٩ حديث ٦٩٨٢، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء. وأخرجه أحمد في مسنده ٣٣/١٠٧-١٠٨ حديث ١٩٨٧٦، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/٥٦٣-٥٦٤ حديث ٤٨٩ كلاهما بلفظ «كان الله قبل كل شيء».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/١١٦٦ حديث ٣٠١٩، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] والنسائي في الكبرى ٦/٣٦٣ حديث ١١٢٤٠، كتاب التفسير، باب سورة هود. والطبري في تفسيره: ١٢/٤، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/٢٣٤-٢٣٥ حديث ٨٠٠، وابن أبي شيبة في كتاب العرش ص ٥١ حديث ١.

قال ابن حجر في فتح الباري ٦/٢٨٩ بعد أن ذكر الروايات السابقة: «والقصة متحدة فاقتضى ذلك أن الرواية وقعت بالمعنى، ولعل راويها أخذها من قوله ﷺ في دعائه في صلاة الليل... «أنت الأول فليس قبلك شيء» لكن رواية الباب أصرح في العدم».

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ٥/٢٨٨ حديث ٣١٠٩، كتاب التفسير، باب ومن سورة هود. وابن ماجة في سننه ١/٦٤-٦٥ حديث ١٨٢، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية. وأحمد في مسنده ٢٦/١٠٨ حديث ١٦١٨٨ و ٢٦/١١٧-١١٨ حديث ١٦٢٠٠، وابن أبي شيبة في كتاب العرش ص ٥٤ حديث ٧، وابن أبي عاصم في السنة ١/٢٧١-٢٧٢ حديث ٦١٢، والطبري في تفسيره ١٢/٤، وفي تاريخ الأمم والملوك ١/٣٧-٣٨، وابن حبان في الإحسان ١٤/٨-٩ حديث ٦١٤١، والطيالسي في مسنده ١/١٤٧ حديث ١٠٩٣، والطبراني في المعجم الكبير ١٩/٢٠٧ حديث ٤٦٨، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/٢٣٥-٢٣٦ حديث ٨٠١، و ٢/٣٠٣ حديث ٨٦٤، وابن القطان في بيان الوهم والإيهام ٣/٦١٧ حديث ١٤٢٨. كلهم من طريق حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن =



كناية عن العدم، إذ العدم لا يتعلق به البصر وإنما يتعلق به ضده، وكانت «ما» نافيةً في قوله «مَا تَحْتَهُ وَمَا فَوْقَهُ» كان معناه لاشيء أيضًا مع الله، وإن فُسّر العمى بالسحاب و«ما» بأنها موصولة كان الحديث الأول محمولًا على الأزل والثاني على ما لا يزال، جمعًا بين الأدلة.

الرابع: **قوله: (وأما الإجماع إلى آخر ما قال فيه)** ينظر فيه بوجوه:

الأول: دعواه إجماع أهل الحق قاطبة إن كانت لجهله أنه لا إجماع لزم عليه ما تقدم من قَفْو الشخص ما ليس له به علم، وإن كان مع علم عدمه فَتَعَمَّدٌ للكذب، ومعلوم ما في الكذب، وذلك أن أهل الحق الذين هم أحق بالحق اتصافًا ونسبةً وهم السلف الصالح كلهم يتبرؤون من هذه الدعوى ويجهِّلون قائلها، بل صرح بعضهم بتكفير قائلها، وأهل الحق من الحق كالسلف فيما قلناه، وقد تقدمت نصوص البعض منهم، وتأتيك نصوص باقية عنهم، نعم إن أراد بأهل الحق جهم بن صفوان والمعتزلة ومن استولت عليه

= وكيع بن حُدُس، عن عمه أبي رزين مرفوعًا. ويأتي الحديث مكررًا بإسناده في ص ٢٥٩.
قال الترمذي عقب الحديث: «حديث حسن». وقال الألباني في السنة لابن أبي عاصم عقب الحديث: «ضعيف».

وإسناده ضعيف، فيه وكيع بن حُدُس، ويقال: عُدُس العامري، اختلف في اسم أبيه فقال أحمد في مسنده ٢٦/ ١١٠عقب حديث ١٦١٨٩: الصواب حُدُس. وقال الترمذي: عُدُس هو الأصح. وهو ضعيف، قال ابن القطان: لاتعرف حاله ولا يعرف عنه راوٍ إلا يعلى بن عطاء، وقال ابن قتيبة، والذهبي: لا يعرف. وقال ابن حجر: مقبول. وذكره ابن حبان في الثقات. بيان الوهم والإيهام ٣/ ٦١٧، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٤٨٤-٤٨٥، والميزان ٤/ ٣٣٥، والثقات ٥/ ٤٩٦، والتقريب ص ٥٨١.



فكرتهم من متأخري الأشعرية وغيرهم فمسلَّم له، ولكن أين هم؟ وأين الحق؟ وأين هم وأين الإجماع؟/ [٩٨]

الثاني: **قوله: (لا جهة له)** إن أراد الجهة العالمية فمسلَّم، وإن أراد الجهة الاعتبارية فقد تقدم ما فيه وقد تقدمت نصوص العلماء على خلافه(١).

الثالث: نفي الجهة بنفي رؤية الله في القيامة وفي الجنة، وقد نفاها سلف هؤلاء دفعًا للحجة على مذهبهم، فينبغي لهؤلاء المذبذبين أن ينفوها لتتم لهم الحجة، ولكننا رأيناهم يعتقدونها.

وقد قال قائلهم: إنه سبحانه يُرَى من كل جهة، وحينئذٍ يقال: فررت من إثبات جهةٍ واحدةٍ فأثبت(٢) له جهاتٍ.

الخامس: **قوله: (وأما العقل فقد اتضح لك... الخ)** لا يخفى على عاقل أنه لا اتضاح في ذلك قبل التكلم عليه فكيف به بعد بيان ما انطوى عليه من الجهل والفساد فهو مشكلٌ لا متضحٌ، وقائله مفتضح.

السادس: **قوله: (الاعتراض بأنه رفع للنقيضين ساقط... الخ)** يقال عليه ما جعله علة سقوط هذا الاعتراض معارض بأبحاث:

الأول: **قوله: (إنما يعتبر حيث يتصف المحل بأحد النقيضين... الخ)** يقال عليه: المحل هنا يتصف بأحد النقيضين وهو الخروج عن العالم، ودعوى نفي الخروج عنه لا ينبني عليها ما قال إلا حيث تسلم، وإلا لم تكن حجة على الخصم.

(١) ينظر ص ١٢١.

(٢) في الأصل: «فأثبثت».



الثاني: تواردهما على المحل لا يشترط عند أهل الفن، بدليل أن من نفى عن الجبل الحركة والسكون يسمى تناقضًا، وهما لا يتواردان عليه إلا باعتبار الإمكان، وكذا يقال في الفَلَك، وكل دائم الحركة والسكون، وكما يصح فيما يتواردان عليه بفعل الأجسام المتحركة مرة الساكنة أخرى على أن توارد الدخول والخروج وقبولهما للذات العالية مع نفي الكيف والعلم بالكنه قد جاءت به الدلائل الصريحة كتابًا وسنة كآية المجيء يوم القيامة/ [٩٩] وأحاديث النزول إلى سماء الدنيا المؤول لها خوف الوقوع في التشبيه؛ فوقع في ورطتين هما أعظم مما خاف؛ تعطيل صفات الله ونسبته إلى العجز والسكون، فما فرَّ منه وقع في أفضح منه، والمنجي من هذا تسليم صفات الله له من غير تشبيه ولا تكييف.

الثالث: قد اتفق الحكماء على أنه لا بد لكل موجود من ماهية في الخارج وإلا كان ذهنيًا فقط، وهو صادق على المعدوم مقدارًا وصفة [وكيفًا وإضافة وزمانا ومكانا وملكا وفعلا وانفعالا](١).

نعم: يفصل بين الموجود القديم والحادث، فالقديم لا يحتوي عليه زمان ولا مكان؛لأن الزمان بدورة الفلك، والمكان ما احتوى عليه الفلك. والقديم منزه عنهما وفوقهما، وكذا الانفعال، وما سوى هذه الثلاثة مشترك فيها القديم والحادث، غير أن القديم يعلم أنه يصدُقُ عليه ذلك على سبيل الجملة، ويجهل ذلك على سبيل الكنه والحقيقة، ولذلك جاء عن السلف أنهم قالوا: والكيف مجهول، ولم يقولوا معدومٌ، كما يشتركان في الجهة غير أن القديم بالجهة

(١) في الأصل: «وصفة وكيف وإضافة وزمان ومكان وملك وفعل وانفعال».

الاعتبارية والحادث بالعالمية، ومن جرّد الذات العالية عن هذا فقد نفى وجودها، بل أقول [المقولات][1] العشر التي هي الذات والنسب التي جمعت في قول بعضهم:

زيد الطويل الأزرق[2] ابن مالك	في بيته[5] بالأمس كان متكئ
بيده[3] سيف لواه فالتوى[4]	فهذه عشر مقولات حوى[6]

يصح أن تنسب إلى الموجود القديم على حسب ما يليق بكل، فكما أن الحادث يكون ذاتًا تتعلق بها هذه النسب من المقدار كالطول والقصر، والصفة كالأزرق، والأبيض، والإضافة كابن مالك، والمكان ككونها في بيت، والزمان ككونها في زمان، والكيف كالاتكاء/ والتربع والملك كملكه سيفًا بيده أو غيره [١٠٠] بغيرها. والفعل كلي السيف والضرب والانفعال كمطاوعة الملوي للّاوي والمدحرج للمدحرج، فهذا يقال في حق القديم سبحانه إنه ذات وفي المقدار أنه محيط بكل شيء ذاتًا وعلمًا بغير كيف، وفي الصفة أنه موصوف بالصفات، وفي الإضافة أنه رب العالمين وأرحم الراحمين، وفي المكان أنه فوق عرشه وإن

---

(١) في الأصل: «الماقولات».

(٢) كذا في الأصل وفي الرد على المنطقيين ص ١٣٢: «الأسود»

(٣) كذا في الأصل وفي مجموع الفتاوى ٩/٢٢: «في يده»

(٤) كذا في الأصل وفي مجموع الفتاوي ٩/٢٢: «نضاه فانتضى».

(٥) كذا في الأصل وفي مجموع الفتاوي ٩/٢٢: «في داره».

(٦) كذا في الأصل وفي مجموع الفتاوى ٩/٢٢و ٢٧٥، سواء والرد على المنطقيين ص ١٣٢-١٣٣.

كان هذا جهة اعتبارية لا مكانًا في الحقيقة، كما أن الزمان الخاص بالحوادث وما كان له أول وآخر ومالا أول له ولا آخر يوصف به الله، إذ ممنوع الكون فيه والاتصاف به في حقه ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣]. كما أن لذاته كيفًا ولكن مجهول للخلائق ولهذا قال السلف: والكيف مجهول، ولم يقولوا معدوم، كما أن الأشياء كلها ملك لله بيده، وكذلك الأفعال فهو فاعلها وخالق لها، وكذلك مطاوعة السائل بالإجابة والمستغيث بالإغاثة، والتائب بالقبول وهكذا فافهم.

الرابع: «لا داخل العالم نقيضيه داخل وداخل مساو للإخراج» فهو تناقض إذ التناقض مركب من نفي الشيء ونقيضه أو المساوي لنقيضه، خلافًا لما يوهمه كلام هذا الرجل، وصرح به أبو حفص الفاسي(١) حيث قال وهو يستدل على أن الله لا خارج العالم ولا داخله: «لا تناقض بين داخل وخارج، وإنما التناقض بين داخل ولا داخل وليس خارجًا مساويًا للإدخال، وإنما هو أخص منه، فلا يلزم من نفيِه نفيُه؛لأن نفي الأخص أعم من نفي الأعم والأعم، لا يستلزم الأخص.

فإن قيل: بم ينفرد هذا الأعم الذي هو داخل عن الأخص الذي هو خارج؟

قلنا: ينفرد في موجود لا يقبل الدخول ولا الخروج والاتصال والانفصال، وهذا يحمله العقل، ولكن يقصر عنه الوهم، وقصور الوهم منشأُ

(١) لم أجد ترجمته.

الشبهة ومثار دعوى الاستحالة، وقال الإمام أبو حامد الغزالي في كتاب/ [١٠١] «الاقتصاد» ما نصه «وذلك بمثابة قول القائل يستحيل موجود لا يكون عاجزًا ولا قادرًا، ولا عالمًا[١] ولا جاهلًا، فيقال له: إن كان ذلك الشيء قابلًا للتضاد يستحيل خلوه عنهما، وأما الجماد الذي لا يقبل واحدًا منهما؛لأنه قد فقد شرطهما وهو الحياة، فخلوه عنهما ليس بمحال، فكذلك شرط الاتصال والانفصال في الجهات التحيز أو القيام بالمتحيز، فإذا فقد هذا لم يستحل الخلو عن مضادته. انتهى كلام أبي حفص الفاسي[٢].

وينظر في كلامه هذا بأنظار:

الأول: **قوله: (ليس خارج مساويًا للإدخال بل هو أخص منه)** يقال عليه: كل عاقل يعلم بالبديهة أنه مساوٍ له، ويحكم بالتناقض بين لا داخل ولا خارج؛لأن القضية مركبة من الشيء والمساوي لنقيضه، وحينئذٍ يلزم من نفيه نفيُه، خلافًا لهذا الرجل وأتباعِه في جعلهم المستحيل ممكنًا.

وقوله: (تعليلًا لما قال؛ لأن نفي الأخص أعم من نفي الأعم) كلام لا يكاد يفهم.

وكذا **قوله: (والأعم لا يستلزم الأخص)** ولعل صواب العبارة «لأن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم»، وإن كان قوله «والأعم لا يستلزم الأخص» صحيحًا في نفسه، ولكن ينافي ما الكلام فيه.

---

(١) كذا في الأصل وفي حاشية الطالب ١/ ٤٧ «ولا مماثلًا» وأظنه خطأ.

(٢) حاشية محمد الطالب بن الحاج على ميارة ١/ ٤٧.

الثاني: **قوله: (فإن قيل بم ينفرد هذا الأعم الذي هو داخل عن الأخص الذي هو خارج).**

يقال عليه: يظهر أن هذا الرجل كَلَّ ذهنه في هذا التناقض؛ فلم يتيسر له تحرير المعنى فأطلق الألفاظ بغير شعور بما يقول، وذلك أنه جعل الأخص هو خارج والأعم لا داخل ثم جعل داخلًا/ هو الأعم، وأخبر بأنه ينفرد عن [١٠٢] الأخص الذي هو خارج بموجود لا داخل ولا خارج، وأشار بهذا الأعم كما تدل عليه الإشارة إلى ما جعله أعم أولًا ثم فسّره بغيره وهو نوع من التناقض كما يظهر لمن تأمل.

الثالث: من أعطى التأمل حقه يعلم لا عموم ولا خصوص بين داخل وخارج، وإنما بينهما ما بين فرد وزوج من التناقض، وإلا فيقال له: ما وجه عموم داخل دون خارج والعكس. فإن قيل ما بناه عليه من انفراده بموجود كما قال: قيل عليه: لا يظهر وجود الانفراد لداخل ولا لخارج إلا على وجه السَّفْسَطَة[١].

الرابع: **قوله: (ينفرد بموجود لا داخل ولا خارج إلى آخر ما قال).**

يقال عليه: حكمه بأن هذا يحمله العقل ويقصر عنه الوهم معكوس؛لأن

---

(١) السَّفْسَطَةُ: كلمةٌ يونانِيَّةٌ مَعْناها: الغَلَطُ والحِكْمَةُ المُمَوَّهَةُ قالَهُ القَصَّارُ والسَّعْدُ في أَوائِلِ شَرْحِ العَقائِدِ. تاج العروس ١٠/٢٨٣. وقال الجرجاني: السفسطة: قياس مركب من الوهميات. والغرض منه: تغليط الخصم وإسكاته، كقولنا: الجوهر موجود في الذهن، وكل موجود في الذهن قائم بالذهن عرض، لينتج أن الجوهر عرض. التعريفات للجرجاني ٨٦/١.

العقل لا يحمله ولا يقبله بمجرد ما يلتفت إليه، وإنما يحمله الوهم الذي يصدُق غالبًا على ما لا وجود له، أو استحالت حقيقته، وما رتبه على الوهم لا يناسب إلا أوهام المُبَرْسَمين(١). وأما أهل العقل والملكة لا يستحيلون إلا ما استحاله العقل، ولا تعرض لهم شبهة إلا بنظر عقولهم في الممكن لا بالأوهام التي هي أضعف من الخيال.

الخامس: «ما ذكره عن الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ من تنظيره هذه المسألة بمن قال يستحيل موجود لا يكون عاجزًا .... الخ».

يقال عليه: لا مساواة بين ما نحن فيه وبين ما ذكره؛لأن ما ذكره لا تتوارد عليه تلك الأوصاف ولا بعضها لفقد الشرط المذكور، ومسألتنا هذه الشرط لقبول الأوصاف اللائقة بالذات من المتقابلات موجود، وهو تقرر الوجود في الخارج، إِذْ كُل موجود كذلك لا بد له من دخول في العالم أو خروج منه، وليس الشرط ما زعمهُ من التحيز والقيام بمتحيز، إذ لا دليل له على هذه الدعوى إلا مجرد الفكر والوهم، وإلا فالعقل يدل على أن الشرط ما/ذكرناه. [١٠٣]

والكتاب والسنة والإجماع دالة على ما قلناه على أن التحيز إن قصد به تقرر الموجود في الخارج كان صحيح المعنى في القديم والحادث، غير أنه إطلاق قبيح وسَمية باطلة في جانب القديم، قد تدرع بها نفاة الصفات إلى تقبيح مثبتها عند من لا خبرة له بهذا العالم.

---

(١) البِرْسَام: مكون من كلمتين: بر، وسام، وسام من أسماء الموت، والبِرْسَام: علة معروفة، وقد بُرْسِمَ الرجل، فهو مُبَرسَمٌ، والعلة إذا كانت في الرأس يقال: سِرْ سَام، وسِرْ هو الرأس، والمبلْسَم والمبرْسَم واحد. لسان العرب ١٢/٤٦.

ثم لننقلب إلى البحث مع ابن جلال فنقول.

الخامس: تمثيله بالحائط وصدق النقيضين فيه، وهما نفي العمى والبصر توضيحًا وتأييدًا لما ادعاه من أنه لا رفع للنقيضين في لا خارج ولا داخل بينهما بون؛لأن لا خارج ولا داخل نقيضان كما قدمناه، وبه سقط قوله «إن الباري لا فوق ولا تحت بل هو العلي الأعلى ذاتًا وصفةً وأسماءً وقد رأينا ما لابن جلال هذا في «كبير مَيَّارة»[1] كما رأينا كلام أبي حفص الفاسي المتقدم في «حاشية ميارة للشيخ الطالب» عند قول «المرشد» (وإن يماثل) ورأينا فيه أيضًا ما نسبه لسيدنا علي من قوله: قيل لسيدنا علي: «أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ فقال: كان ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان»[2] ونسب له شعرٌ.

أنت الذي حزت كل أين	فحيث لا أين ثَمَّ أنت
وليس للأين منك أين	فيعلم الأين كيف أنت[3]

وهذه النسبة لا تصح، إذ لا دليل عليها بسند ضعيف فضلًا عن صحته واتصاله؛لأنها تؤدي إلى مخالفة جواب سيدنا علي للسائل لجواب رسول الله ﷺ للسائل حيث سأله أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق كما تقدم الحديث،

(١) ميارة شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لعبد الواحد بن عاشر، بشرحين كبير ويسمى «الدر الثمين والمورد المعين» وهو المقصود بقوله هنا «كبير ميارة» وصغير ويسمى مختصر الدر الثمين.

(٢) حاشية محمد الطالب ابن الحاج على ميارة ١/٤٦.

(٣) حاشية محمد الطالب ابن الحاج على ميارة ١/٤٦.

ويأتي فقال: «كان في عماء» الحديث. على أننا نقول على تسليمه لا حجة لكم فيه، لأن معناه كان الله في أزله ولا مكان ولا عالم وهو الآن بعد خلق المكان والعالم على ما عليه كان/ من أنه ليس في مكان، وهذا الذي يعتقده أهل السنة، [١٠٤] وكونه فوق عرشه لا يدل على أنه في مكان؛لأنه لا مكان فوق العرش، كما بين في علم الشريعة والحكمة وقد قدمناه.

وقوله: **(أنت الذي حزت كل أين.. الخ)** لا دليل على صحة نسبته لسيدنا علي أيضًا وعلى تسليم أنه له أو لغيره، يقال عليه: معناه راجع إلى ما قبله فجوابُه هو جوابُه، ولئن فهم منه أنه يمنع السؤال عنه بأين لكان مخالفًا لرسول الله ﷺ حين سأل عنه بها وسُئل عنه بها وكل قول يخالف قول رسول الله ﷺ باطل.

السادس: إثبات هؤلاء موجودًا خارجيًا لا داخل العالم ولا خارجه مع استحالته يؤذن بقلب الحقائق إذ المستحيل لا يكون ممكنًا كما أن الواجب لا يكون مستحيلًا، ولا ممكنا، وهؤلاء قد جعلوا الواجب محالًا والمحال واجبًا تارة وأخرى ممكنًا، ويرجع على إثباتهم صفات لله تعالى وأحكام لغيره واستحالتها عليه وإمكانها في حقه بالنفي والبطلان لدلالتها ولمدلولها، بعد أن جعلوها براهين قاطعة مسلمة، فإذا قيل لهم: كون الله لا خارج العالم ولا داخله فمحال، وقالوا: ليس بمحال في حق الله وإنما هو محال في حق الخلق، عورضوا بمثله فيقال لهم: الله فوق عرشه خارج عن العالم بلا كيف، فإن قالوا: هذا محال؛لأنه يؤدي إلى كونه في الجهة، والجهة على الله محال، قيل لهم: لا محال في حق الله، وإنما المحال في حق المخلوق، وهكذا يعارضون بوصف

الله بالمحال وما كان جوابهم عن محاله هو جواب خصمهم.

وقوله في الرد على ابن مقلاش حيث قال: «إن السؤال معضل لا يلتفت إليه» إلى آخر كلامه. يبحث فيه بوجهين:

الأول: يفهم من كلامه هذا أنه أتقن علم الكلام دون ابن مقلاش وكثير من الفقهاء مع أنك قد رأيت ما في إتقانه ولله دره من متقن ما ترك لمتقن/ [١٠٥] مقالًا، ولا لمفكر في علم الكلام مجالًا، ونتيجة إتقانه تدل عليه.

الثاني: يقال فيه: الإنصاف من شأن الأشراف، قد حمى الله ابن مقلاش وكثير الفقهاء من هذا الإتقان الذي رمي به فكر هذا الرجل وطائفته ألا وهو إتقان وتحرير مذهب جهم بن صفوان والمعتزلة والروافض، ولكن لا على إتمام؛لأن الجهمية الأقدمين قالوا: إن الله في كل مكان ثم ظهر للمتأخرين منهم أهل الإتقان أن الله لا خارج العالم ولا داخله، وهذا الذي أتقنه هذا الرجل وأتباعه، وقد نحى ابن الجوزي في بعض مؤلفاته نحو مذهب هؤلاء، وبما قدمناه يُرَدَّ عليه وعلى غيره.

وقد جعل من التناقض إثبات يد الله تعالى مثلًا ثم دعوى أنها ليست كالجارحة، وهذا منه غفلة إذ هذا الإثبات أثبته الكتاب والسنة وأجاب الله عنه فهذا الجواب بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. وإلا لم يحتج إلى هذا؛لأنه لا يزيل التناقض إذا كان لازمًا، وهذا الرجل وإن تبحر في العلم بحيث لا يصل إلى كعبه أمثالنا، ولكن الكمال لله، وقد كفانا مؤنة البحث في أقواله وألفاظه وغيره كفاية لا مزيد عليها عند من علم وأنصف، وتحقق أنه ما

من عالم إلا وفي الإمكان أن يجيء أعلم منه.

وللإمام ابن القيم الجوزية في كتابه «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» في هذا التركيب إشارة لطيفة، وهي أن الإمام الأول قد نسب إلى لفظ الجوز، والثاني إلى بنوة قَيِّمِها فكأنه قَيِّم عليه في مثل هذه المسألة حيث انتهى بنا القول إلى ذكر جهم رئيس هذه الطائفة، وقد أشرنا إليه فيما تقدم وإليهم/. [١٠٦]

فلنذكر الآن بعض ترجمته ودعاويه وما كان عليه، ثم نتبع ذلك بذكر الدلائل على أن الله مستوٍ على عرشه من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأقوال بعض علماء الإسلام غير ما تقدم وفي ضمن ذلك النزول الإلهي».

أما جهم فقد قال في فتح الباري: (وأما الجهمية فلم يختلف أحد ممن صنف في المقالات أنهم ينفون الصفات حتى نسبوا إلى التعطيل، وثبت عن أبي حنيفة أنه قال: بالغ جهم في نفي التشبيه حتى قال: إن الله ليس بشيء[(١)].

وقال الكرماني: «الجهمية فرقة من المبتدعة ينتسبون إلى جهم بن صفوان مقدم الطائفة القائلة أن لا قدرة للعبد أصلًا، وهم الجبرية بفتح الجيم وسكون الموحدة، ومات مقتولًا في زمن هشام بن عبد الملك» انتهى.

وليس الذي أنكروه على الجهمية مذهب الجبر خاصة، وإنما الذي أطبق السلف على ذمهم بسببه إنكار الصفات حتى قالوا: إن القرآن ليس كلام الله وإنه مخلوق.

---

(١) انظر: إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لابن جماعة (١ / ٣٥).

وقد ذكر الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي[1] في كتابه «الفرق بين الفرق»[2] إن رؤوس المبتدعة أربعة إلى أن قال: والجهمية أتباع جهم بن صفوان الذي قال: بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وقال: لا فعل لأحدٍ غير الله تعالى، وإنما ينسب الفعل إلى العبد مجازًا من غير أن يكون فاعلًا أو مستطيعًا لشيء، وزعم أن علم الله حادث، وامتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء أو حي أو عالم أو مريد، حتى قال: لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره، قال:/ وأصفه بأنه خالق ومحي ومميت وموحَّد بفتح المهملة الثقيلة؛لأن هذه الأوصاف خاصة به، وزعم أن كلام الله حادث ولم يسم الله متكلمًا به. [١٠٧]

قال: وكان جهم يحمل السلاح ويقاتل، وخرج مع الحارث بن سريج[3] وهو بمهملة وجيم مصغر لما قام على نصر بن سيار[4] عامل بني

(١) التميمي البغدادي، الفقيه الشافعي، أحد الأئمة الأعلام في الأصول والفروع، وكان ماهرًا في فنون كثيرة، منها علم الحساب والفرائض، مات سنة ٤٢٩هـ. البداية والنهاية ٦٧٢/١٥، وطبقات السبكي ١٣٦/٥. والسير ٥٧٢/١٧.

(٢) ص ١٩٩-٢٠٠.

(٣) الحارث بن سريج التميمي، كان يرى رأي المرجئة الجبرية، وكان من القواد الكبار، اختلف مع عاصم بن عبد الله عامل خراسان، فخرج عن طاعته في عام ١١٦هـ، وبارزه بالحرب فهزم الحارث، ولحق بالكفار ومالأهم على المسلمين، ودلهم على عورات المسلمين، ثم من الله عليه بالهداية، ووفقه حتى خرج إلى بلاد الإسلام في عام ١٢٧هـ، ثم وقع بينه وبين نصر بن سيار خصومة، فخرج عليه واقتتلا فقتل الحارث في سنة ١٢٨هـ. البداية والنهاية ٧٥/١٣، و ٨٧و ٢١٣.

(٤) صاحب خراسان الأمير، أبو الليث المروزي، نائب مروان بن محمد، حدث عن عكرمة، وأبي الزبير، وقد ولي إمرة خراسان عشر سنين، توفي سنة ١٣١هـ. السير ٤٦٣/٥-٤٦٤.

أمية بخراسان فآل أمره إلى أن قتله سَلْم بن أحوز وهو بفتح السين وسكون اللام، وأبوه بمهملة وآخره زاي وزن أعور وكان صاحب شُرْطة نصر.

وقال البخاري في كتاب «خلق أفعال العباد»: بلغني أن جهمًا كان يأخذ عن الجعد بن درهم، وكان خالد القسري وهو أمير العراق خطب فقال: إني مضح بالجعد بن درهم؛ لأنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى تكليمًا.

وقلت: وكان ذلك في خلافة هشام بن عبد [الملك][1] فكأن الكرماني انتقل ذهنه من الجعد إلى الجهم، فإن قتل جهم كان بعد ذلك بمدة.

ونقل البخاري عن محمد بن مقاتل[2] قال: قال عبد الله بن المبارك.

ولا أقول بقول الجهم أن له ... قولًا يضارع قول الشرك أحيانًا[3]

وعن ابن المبارك: «إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ونستعظم[4] أن نحكي قول جهم»[5].

---

(١) في الأصل: «المالك» والتصويب من فتح الباري ١٣/ ٣٤٥.

(٢) أبو الحسن الكسائي المَرْوزي، نزيل بغداد، ثم مكة شيخ البخاري، مات سنة ٢٢٦هـ. التقريب ص ٥٠٨.

(٣) خلق أفعال العباد للبخاري ٢/ ١٤رقم ١٢، وطبقات السبكي ١/ ٢٨٧، وفتح الباري ١٣/ ٣٤٥.

(٤) كذا في فتح الباري ١٣/ ٣٤٥، وفي خلق أفعال العباد ٢/ ١٥، والصواعق ٤/ ١٣٩٨ ولا نستطيع.

(٥) خلق أفعال العباد ٢/ ١٥رقم ١٦، والسنة للخلال ٥/ ٨٦رقم ١٦٨٥و ٥/ ٩٨رقم =

وعن عبد الله بن شَوْذَب[1] قال: ترك جهم الصلاة أربعين يومًا على وجه الشك[2].

وأخرج ابن أبي حاتم في «كتاب الرد على الجهمية» من طريق خلف بن سليمان البلخي[3] قال: كان جهم من أهل الكوفة، وكان فصيحًا، ولم يكن له نفاذ في العلم، فلقيه قومٌ من أرسادة[4] الزنادقة فقالوا له: صف لنا ربك الذي [١٠٨]

= ١٧١٦، وعبد الله بن أحمد في السنة ١/١١١ حديث ٢٣، و ١/١٧٤ حديث ٢١٦، والذهبي في العلو ص ١١١. والصواعق المرسلة ٤/١٣٩٨.

(١) أبو عبد الرحمن، البلخي ثم البصري الإمام العالم نزيل بيت المقدس، وثقه أحمد بن حنبل وغيره، صدوق عابد ولد سنة ٨٦هـ ومات سنة ١٥٦هـ. السير ٧/٩٢-٩٣، والتهذيب ٥/٢٥٥، والتقريب ص ٣٠٨.

(٢) خلف أفعال العباد ٢/١٧-١٨ رقم ١٩، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/٣٧٨-٣٧٩، والسنة للخلال ٥/٨٣-٨٤ رقم ١٦٧٩..

(٣) خلف بن سليمان، هكذا في جميع المراجع التي ذكرت الأثر، ولم أجد في كتب التراجم راوٍ بهذا الاسم، وجاء في كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٢٢٤ خالد بن سليمان أبو معاذ البلخي ولعل هذا هو الصحيح، روى عن الثوري ومالك، وهو أحد تلامذة أبي حنيفة، شارك أبا يوسف وأبا مطيع البلخي في الدروس، وكان معروفًا ببلخ، ضعفه ابن معين، ومَشَّاه غيره، وقال ابن عدي: ضعيف له أحاديث شبه الموضوعة، فلا أدري من قِبَله أو من قِبَل الراوي عنه، توفي سنة ١٩٩هـ. الجواهر المضيئة ٢/١٦٢ و ٤/٨٩، والطبقات السنية ٣/١٩٧، والمجروحين ١/٢٧٨، والميزان ١/٦٣١، والكامل ٣/٩١٥.

(٤) كذا الكلمة في الأصل، وفي فتح الباري: «فلقيه قوم من الزنادقة»، وفي اجتماع الجيوش وغيرها: «فكلمه السُّمَنِيَّة». والسُّمَنِيَّة: قال شيخ الإسلام: البراهيمة السُّمَنِيَّة: ناس من المشركين. السُّمَنِيَّة: بضم السين وفتح الميم، فرقة من عبدة الأصنام تقول بالتناسخ وتنكر وُقُوع العلم بالأخبار. بيان تلبيس الجهمية ١/٣١٨.

تعبده، فدخل البيت لا يخرج مدة، ثم خرج فقال: هو «هذا الهواء مع كل شيء»[1].

وأخرج ابن خزيمة في «التوحيد» ومن طريقه البيهقي في الأسماء قال سمعت أبا قدامة[2] يقول: سمعت أبا معاذ البلخي[3] يقول: كان جهم على مَعْبر تَرْمُذ، وكان كوفي الأصل، فصيحًا ولم يكن له علم ولا مجالسة أهل العلم، فقيل له: صف لنا ربك فدخل البيت لا يخرج كذا ثم خرج بعد أيام فقال: هو هذا الهواء مع كل شيء، وفي كل شيء، ولا يخلو منه شيء[4].

وأخرج البخاري من طريق عبد العزيز بن سلمة قال: «كلام جهم: صفة بلا معنى، وبناء بلا أساس، ولم يُعدَّ قط في أهل العلم»[5]. وقد سئل عن رجل طلق قبل الدخول فقال: تعتد امرأته، وأورد آثارًا كثيرة عن السلف في تكفير جهم.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/ ٣٨٠ رقم ٦٣٤.

(٢) هو عبيد الله بن سعيد بن يحيى اليَشْكُري، أبو قدامة السَّرَخسي، نزيل نيسابور، ثقة مأمون سُنِّي، مات سنة ٢٤١هـ. التقريب ص ٣٧١.

(٣) خالد بن سليمان البلخي أبو معاذ أحد من عده الإمام أبو حنيفة للفتوى لما سئل من يصلح للفتوى مات يوم الجمعة لأربع بقين من المحرم سنة تسع وتسعين ومائة رحمه الله تعالى. طبقات الحنفية - (١ / ٢٢٩).

(٤) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٣٣٧حديث ٩٠٤، ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/ ٣٨٠-٣٨١رقم ٦٣٥. وذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٢٢٤، والذهبي في العلو ٢/ ١٠١٧رقم ٣٨٠

(٥) خلق أفعال العباد للبخاري ٢/ ١٨رقم ٢٠.

وذكر الطبري في تاريخه[1]: في حوادث سنة سبع وعشرين أن الحارث بن سريج [خرج][2] على نصر بن سيار عامل خراسان لبني أمية وحاربه، والحارث حينئذٍ يدعو إلى العمل بالكتاب والسنة، وكان جهم حينئذٍ كاتبه، ثم تراسلا في الصلح وتراضيا بحكم مقاتل بن حيان[3] والجهم، واتفقا[4] على أن الأمر يكون شورى حتى يتراضى أهل خراسان على أمير يحكم بينهم بالعدل، فلم يقبل نصر ذلك، واستمر على محاربة الحارث إلى أن قتل الحارث في سنة ثمان وعشرين في خلافة مروان الحمار[5] فيقال: إن الجهم قتل في المعركة ويقال: بل أسر، فأمر نصر بن سيار سَلْم بن أَحْوَز بقتله فادعى

(١) تاريخ الملوك والأمم ٧/ ٣٣٠-٣٣١.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقطة من الأصل، وألحقته من تاريخ الطبري ٧/ ٣٣١، وفتح الباري ١٣/ ٣٤٦..

(٣) في الأصل مقاتل بن حبان والصواب مقاتل بن حَيَّان النبطي، بفتح النون والموحدة، أبو بسطام البخلي، الخزاز، بمعجمة وزاءين منقوطتين، قال ابن حجر: صدوق فاضل، أخطأ الأزي في زعمه أن وكيعًا كذبه، وإنما كذب الذي بعده - أي مقاتل بن سليمان - مات قبل الخمسين ـ أي ومائة ـ بأرض الهند. التقريب ص ٥٤٤.

(٤) في تاريخ الطبري ٧/ ٣٣١ «فحكما بأن يعتزل نصر، ويكون الأمر شورى».

(٥) هو الخليفة مروان بن محمد بن مروان، القرشي الأموي، أبو عبد الملك، بويع له بالخلافة بعد قتل الوليد بن يزيد، واستتب له الأمر في صفر سنة ١٢٧هـ، ويقال له مروان الجعدي، نسبة إلى الجعد بن درهم، ويلقب بالحمار، وهو آخر من ملك من بني أمية، انتهت بخلافته دولة بني أمية في سنة ١٣٢هـ، وكانت مدة خلافته خمس سنين وشهرًا. وتوفي في ذي الحجة سنة ١٣٢هـ. البداية والنهاية ١٣/ ٢٦٢-٢٦٦.

جهم الأمان، فقال له سَلْم: «لو كنت في بطني شققته[1] حتى أقتلك» فقلته.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق محمد بن صالح مولى بني هاشم[2] قال: قال سَلْم/ حين أخذه: يا جهم، إني لست أقتلك، لأنك قاتلتني، أنت [١٠٩] [عندي][3] أحقر من ذلك، ولكنني سمعتك تتكلم[4] فأعطيت الله عهدًا أن لا أملكك إلا قتلتك، فقتله[5].

ومن طريق معتمر بن سليمان، عن خلاد الطفاوي[6] بلغ سَلْم بن أَحْوَز، وكان على شرطة خراسان أن جهم بن صفوان ينكر أن الله كلم موسى تكليمًا فقتله.

ومن طريق بكير بن معروف[7] قال: رأيت سَلْم بن أحوز حيث ضرب عنق جهم فاسود وجه جهم[8].

---

(١) في فتح الباري ١٣/ ٣٤٦ لشققته.

(٢) البصري، أبو جعفر النطاح، صدوق أخباري، مات سنة ٢٥٢هـ. التقريب ص ٤٨٤.

(٣) في الأصل: «عند» بدون ياء.

(٤) كذا في الأصل: وفي فتح الباري ١٣/ ٣٤٦ «تتكلم بكلام».

(٥) خلق أفعال العباد للبخاري ١/ ١٢٨.

(٦) لم أجد ترجمته. وذكر المزي في تهذيب الكمال ٢٨/ ٢٥١، في شيوخ معتمر، داود الطفاوي، وكذا ذكر معتمر في تلاميذ داود الطفاوي. تهذيب الكمال ٨/ ٣٨٦.

(٧) الأسدي، أبو معاذ، أو أبو الحسن الدَّامَغاني، قاضي نيسابور، ثم نزيل دمشق، قال ابن حجر: صدوق فيه لين، مات سنة ١٦٣هـ. التقريب ص ١٢٨.

(٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/ ٣٨١حديث ٣٦٨.

وأسند أبو القاسم اللالكائي في كتاب «السنة» له أن قتل جهم كان في سنة اثنين وثلاثين ومائة، والمعتمد ما ذكره الطبري أنه كان في سنة ثمان وعشرين.

وذكر ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن رحمة[1] صاحب أبي إسحاق الفزاري[2] أن قصة جهم كانت سنة ثلاثين ومائة، وهذا يمكن حمله على جبر الكسر، أو على أن قتل جهم تراخى عن قتل الحارث بن سريج[3].

وأما قول الكرماني[4] أن قتل جهم كان في خلافة هشام بن عبد الملك فوهم؛ لأن خروج الحارث بن سريج الذي كان جهم كاتبه كان بعد ذلك، ولعل سند الكرماني ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق صالح بن أحمد بن حنبل قال: قرأت في دواوين هشام بن عبد [الملك][5] إلى نصر بن سيار عامل خراسان: «أما بعد: فقد نجم قِبَلَك رجل يقال له جهم من الدهرية فإن ظفرت به فاقتله». [6] ولكن لا يلزم من ذلك أن يكون قتله وقع في زمن هشام، وإن كان ظهور مقالته وقع قبل ذلك حتى كاتب فيه هشام، والله أعلم.

---

(١) ابن نعيم المصيصي، قال ابن حبان: لا يجوز أن يحتج به، لمخالفته الأثبات في الروايات. المجروحين ١/٣٢٨، والمغني في الضعفاء للذهبي ١/٣٧٤.

(٢) إبراهيم بن محمد بن الحارث، أبو إسحاق الفزاري، ثقة حافظ له تصانيف، مات سنة ١٨٥هـ، وقيل بعدها. التقريب ص ٩٢.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/٣٨٠حديث ٦٣٣.

(٤) صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢٥/٩٥.

(٥) في الأصل: «المالك» والتصويب من فتح الباري ١٣/٣٤٦.

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/٣٨١ حديث ٦٣٧.

وقال ابن حزم في كتاب الملل والنحل[1]: «فِرَقُ المُقرِينَ بملة الإسلام خمس: أهل السنة، ثم المعتزلة ومنهم القدرية، ثم المرجئة ومنهم الجهمية والكرامية، ثم الرافضة ومنهم الشيعة، ثم الخوارج ومنهم الأزارقة والإباضية/ ثم افترقوا فرقًا كثيرة، فأكثر افتراق أهل السنة في الفروع، وأما في [١١٠] الاعتقاد ففي نبذ يسيرة، وأما الباقون ففي مقالاتهم ما يخالف أهل السنة الخلاف البعيد والقريب.

فأقرب فرق المرجئة القائلون بأن من قال: الإيمان التصديق بالقلب واللسان فقط وليست العبادة من الإيمان.

وأبعدهم الجهمية القائلون بأن الإيمان عقد بالقلب فقط، وإن أظهر الكفر والتثليث بلسانه، وعبد الوثن من غير تقية.

والكرامية القائلون بأن الإيمان قول باللسان فقط وإن اعتقد الكفر بقلبه»، وسَلف[2] الكلام على بقية الفرق ثم قال:

«فأما المرجئة فعمدتهم الكلام في الإيمان والكفر، فمن قال: إن العبادة من الإيمان، وإنه يزيد وينقص، ولا يكفر مؤمنًا بذنب، ولا يقول إنه يخلد في النار فليس مرجئًا، ولو وافقهم في بقية مقالاتهم.

وأما المعتزلة: فعمدتهم الكلام في الوعد والوعيد والقدر، فمن قال:

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/٣٦٨- ٣٧٠). وينظر (٢/٢٦٥) ط. عبد الرحمن عميرة.

(٢) كذا في الأصل، وفي فتح الباري ١٣/٣٤٦: «وساق».

القرآن ليس بمخلوق وأثبت[1] القدر ورؤية الله تعالى في القيامة، وأثبت صفاته الواردة في الكتاب والسنة، وأن صاحب الكبائر لا يخرج بذلك عن الإيمان فليس بمعتزلي، وإن وافقهم في سائر مقالاتهم...».

وساق[2] بقية ذلك إلى أن قال: «وأما الكلام فيما يوصف الله به فمشترك بين الفرق الخمسة، من مثبت لها وناف، فرأس النفاة المعتزلة والجهمية فقد بالغوا في ذلك حتى كادوا يعطلون، ورأس المثبتة مقاتل بن سليمان ومن تبعه من الرافضة والكرامية؛فإنهم بالغوا في ذلك حتى شبهوا الله تعالى بخلقه، تعالى الله عن أقوالهم علوًا كبيرًا»/. [١١١]

ونظير هذا التباين [قول][3] الجهمية: «إن العبد لا قدرة له أصلًا» وقول القدرية: «إنه يخلق فعل نفسه») انتهى من فتح الباري[4].

فهذا البعض من ترجمة جهم وشيخه الجعد بن درهم، وقد قتلهما المسلمون وأهل السنة ـ كما سمعت ـ على نفي صفات الله وتأويلها اللذين رضي بتقليدهما وترك تقليد الكتاب والسنة جماعة من الخلف الذين منهم أصحابنا المردود عليهم بهذا.

---

(١) في الأصل: «وثبت» وما أثبته من فتح الباري ١٣/٣٤٦.

(٢) في الأصل: «وسلف» والمثبت من فتح الباري ١٣/٣٤٦.

(٣) في الأصل: «قال» والمثبت من فتح الباري ١٣/٣٤٧.

(٤) (١٣/٣٤٥-٣٤٧). ويبدو أن الحافظ رحمه الله نقله بمعناه أو أن نسخته تختلف عن المطبوع؛ لأني لم أقف على هذا النص بحروفه في الفصل بطبعة المكتبة الشاملة ولا طبعة د. عبد الرحمن عميرة (٢/٢٦٥) ولكنه بمعناه.

وأما الكتاب فقد قال الله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]. وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]. وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]. وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]. وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام: ١٨]. وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١]. وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]. وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. والشورى الآية: ٤. وقال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ١﴾ [الأعلى: ١]. وقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ﴾ [السجدة: ٤]. وقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ﴾ [يونس: ٣]. وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ٥﴾ [طه: ٥].

وقال: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ إلى أن قال ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ﴾ [آل عمران: ٣-٤]. وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ٧]. وقال: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ [الأنعام: ٩١]. وقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٢]. وقال: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ ٩٣﴾ [الأنعام: ٩٣]. وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ﴾ [الأنعام: ١١٤]. وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟﴾ [الأنعام: ١٥٥]. وقال: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ٢]. وقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤]. وقال: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣]. وقال: ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ [الرعد: ١]. وقال: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ [الرعد: ١٩]. وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]. وقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]./ وقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ [الإسراء: ٨٢]. [١١٢] وقال: ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]. وقال: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾ [طه: ٢]. وقال: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠]. وقال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ [الأنعام: ٧]. وقال: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢]. وقال: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١].

وقال ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ [الجاثية: ٢]. وقال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ [فصلت: ٢]. وقال: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [السجدة: ٢]. وقال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]. وقال: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠]. وقال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر: ٢١]. وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ



قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣- ١٩٤]. وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]. وقال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾﴾ [الشعراء: ١٩٨]. وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]. وقال: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [البقرة: ٩٩]. وقال: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة: ٤].

وقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣]. وقال: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ﴾ [البقرة: ٩٠]. وقال: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧]. وقال: ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ﴾ [البقرة: ١٠٥]. وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩]. وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٠]. وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٤]. وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [النساء: ٦٠]. وقال: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٩]. وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ

أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦١]. وقال: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦]. وقال: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٤٠]./ [١١٣] وقال: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: ١٦٦]. وقال: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١].

وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]. وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١]. وقال: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣]. وقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾(١) [الأنعام: ١٥٥]. وقال: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [النور: ١]. وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١]. وقال: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٦]. وقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]. وقال: ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص: ٣٨]. وقال: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾(٢) [التوبة: ٨٦]. وقال: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾ [التوبة: ١٢٣]. وقال: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ

(١) في الأصل كُتبت الآية خطأ: «وهذا كتاب مبارك أنزلناه».

(٢) في الأصل كُتبت الآية خطأ: «وإذا ما أنزلت».

ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [يونس: ٢٠]. وقال: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾[1] [البقرة: ١٣٦]. وقال: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾ [العنكبوت: ٤٧]. وقال: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٥١]. وقال: ﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا﴾ [يس: ٥-٦]. وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ [الدخان: ٣]. وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقال: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة: ٤٤]. وقال: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥﴾ [المائدة: ٤٥]. وقال: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤٧﴾ [المائدة: ٤٧]. وقال: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا﴾ [المائدة: ٤٨]. وقال: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]. وقال: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]. وقال: ﴿هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ﴾ [المائدة: ٥٩]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا﴾ [النساء: ٤٧]. وقال: ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ﴾ [محمد: ٢]. وقال: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]. وقال:

---

(١) في الأصل كُتبت الآية خطأ: «قولوا ءآمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم».

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]. وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١]. وقال: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾(١) [محمد: ٢٠]. وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ۝٢٣﴾ [الإنسان: ٢٣]./ وقال: [١١٤] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]. وقال: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [النحل: ٦٤]. وقال: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٥٣]. وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ [المائدة: ٨٣]. وقال: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٩٤]. وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧]. وقال: ﴿ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورى: ١٥]. وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٦]. وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧]. وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

إلى غير ذلك مما لا نستحضره وقت الكتابة، ففي هذه الآيات دلالة على علو الله على عرشه إما بالصراحة وإما باللزوم إذ آيات الفوقية تدل على أنه فوق العرش جمعًا بين الأدلة، وآيات تنزيل الكتاب بعضها فيه الصراحة بأنه من عند الله وبعضها محمول عليه لما تقدم.

والنزول يدل على علو النازل والمنزل منه.

---

(١) في الأصل كُتبت الآية خطأ: «ويقول الذين كفروا لولا نزلت».



والنظر إلى وجه الله لا بد أن يكون في جهة.

والعلو على العرش صفة لله.

وفي طلب موسى الرؤية دليل على جوازها.

والآية التي فيها اعتراض الكفار على نزول القرآن على رجل دون رجل وعلى أنه لَمَّا لم ينزل جملة ومثل ذلك لم يكن إلا من هذه الحيثيات وإلا فقد سلموا أنه عال ينزل من عال وهو العلي العظيم.

وآية ﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٣٨]. دالة على أن الله فوق خلقه بالخبر الصادق عن موسى عليه الصلاة السلام، ولذا أخذ فرعون يتهيأ للطلوع إليه، وقال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨]. وحاشا أن يكذب موسى عليه الصلاة والسلام، ولكن فرعون هو الكذاب، وظنه كذب/ موسى أضعف من ظنه صدقه بدليل أخذه في التهيؤ للطلوع إليه، ولو [١١٥] لم يكن أقوى لما رتب عليه ما يترتب على اليقين أو الظن القوي، ومن ثم قال العلماء من لم يصدق بأن الله فوق خلقه عال على عرشه فهو فرعوني، وسموا أهل هذا المذهب فرعونية؛ بل قالوا: هم أسوأ حالًا من فرعون، إذ فرعون ظن ذلك ظنًا قويًا، وكذب موسى بظن ضعيف، وهؤلاء تيقنوا كذب موسى عليه السلام والعياذ بالله.

وأما السنة: فقد روينا من حديث أبي داود أن العباس عم رسول الله ﷺ قال: كنا بالبطحاء[١] فمرت سحابة فقال رسول الله ﷺ: **«هل تدرون بُعْدَ ما**

(١) البطحاء: بفتح الباء وسكون الطاء: اسم مألوف لدى العرب لكل أرض في مسيل السيل، =



بين السماء والأرض؟» قالوا: لا. قال: **«إما واحد وإما اثنان أو ثلاث وسبعون سنة»** ثم عد سبع سماوات ثم قال: **«وبين السماء السابعة بحر [بين]**[1] **أسفله وأعلاه كما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال، ما بين أظلافهم وركبهم كما بين سماء إلى سماء، على ظهورهم العرش، ثم الله فوق ذلك وهو يعلم ما أنتم عليه»**[2].

وأن النبي ﷺ لما أنشده عبد الله بن رواحة:

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمين
وتحمله ملائكة كرام ... ملائكة الرحمن مُسَوِّمين[3]

لم ينكر عليه ذلك بل ضحك حتى بدت نواجذه، ومعلوم قطعًا أن ابن رواحة لم يرد بقوله: وفوق العرش رب العالمين: أنه أفضل من العرش وخير منه، وهو كان أعلم بالله وصفاته وكماله من أن يقول ذلك، وإنما أراد فوقية الذات التي هي حقيقة اللفظ.

= وكان أهل مكة يعرفون أن البطحاء بين مهبط ريع الحجون والمسجد الحرام، فإذا تجاوزت ريع الحجون مشرقًا فهو الأبطح إلى المنحنى عند بئر الشيبي، ويطلق عليه المعلاة. معالم مكة التاريخية والأثرية ص ٤٠-٤١.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل وأثبته من الحديث.

(٢) تقدم تخريجه في ص٦٢.

(٣) تقدم تخريجها في ص ١١٣.

عن حبيب[1] بن أبي ثابت[2] أن حسان بن ثابت أنشد النبي ﷺ/ : [١١٦]

شهدت بإذن الله أن محمدًا	رسول الذي فوق السماوات من عَلُ
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما	له عمل من ربه متقبَّلُ
وأن أخا الأحقاف إذ قام فيهم	يقوم بذات الله فيهم ويَعدِلُ

فقال النبي ﷺ: «**وأنا أشهد**»[3].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش رحمتي سبقت غضبي**».

وفي لفظ: «**فهو عنده موضوع على العرش**»[4].

---

(١) في الأصل: «وعن ثابت عن حبيب»، وفي مختصر الصواعق ٣/١٠٦٥، ما رويناه بإسناد صحيح ثابت، عن حبيب. وتقدم تخريج الأبيات في ص ٥٥-٥٦.

(٢) حبيب بن أبي ثابت: قيس .ويقال: هند .ابن دينار الأسدي مولاهم، أبو يحيى، الكوفي، إمام حافظ، ثقة فقيه جليل، وكان كثير الإرسال والتدليس، روى له الجماعة، مات سنة ١١٩هـ. تهذيب الكمال ٥/٣٥٨-٣٦٣، والسير ٥/٢٨٨-٢٩١. والتقريب ص ١٥٠.

(٣) تقدم تخريجه في ص ١١٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/١١٦٦ حديث ٣٠٢٢كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [الروم: ٢٧] و ٦/٢٦٩٤ حديث ٦٩٦٩، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨] و ٦/٢٧٠٠ حديث ٦٩٨٦، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء. و ٦/٢٧١٢-٢٧١٣حديث ٧٠١٥، كتاب التوحيد، باب ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١] و ٦/٢٧٤٥ حديث ٧١١٤و ٧١١٥، =

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ في تفسير قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]. وبقوله: **«أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء»**(١).

وروى أبو داود بإسناد حسن عنده عَنْ جُبَيْرِ بن مُحَمَّدِ بن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جُهِدَتِ الأَنْفُسُ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَنُهِكَتِ الأَمْوَالُ(٢)، وَهَلَكَتِ الأَنْعَامُ(٣) فَاسْتَسْقِ لَنَا، رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ وَنَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، قَالَ: **«وَيْحَكَ إِنَّهُ لاَ يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟ إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ وعَرْشَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ»**(٤).

وقال رسول الله ﷺ لسعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ**

= كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١] ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٠٧ حديث ٢٧٥١.

(١) تقدم الحديث مختصرًا في ص ٢١٦ وتقدم تخريجه هناك.

(٢) في الأصل: «وتهتكت الأحوال». وما أثبته من سنن أبي داود (باب في الجهمية حديث ٤٧٢٨).

(٣) في الأصل: «وهلكت المواشي». وما أثبته من سنن أبي داود (باب في الجهمية حديث ٤٧٢٨).

(٤) أخرجه باختلاف في بعض الألفاظ أبو داود في سننه، وتقدم تخريجه في ص ١١٠.



المُلكِ مِنْ فَوْقِ سبع سموات»[(١)] وقول زينب رَضِيَٱللَّهُعَنهَا[(٢)] زوج النبي ﷺ «زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ»[(٣)] لا يصح فيه فوقية المجاز أصلًا إذ يصير المعنى: زوجني الله حال/ كونه أفضل من سبع [١١٧] سموات.

وثبت عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أنه مرَّ بعجوز فاستوقفته فوقف يحدثها، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، حبست الناس على هذه العجوز؟، فقال: «ويحك[(٤)] أتدري من هذه؟ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة[(٥)] التي أنزل الله فيها ﴿**قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ**﴾ [المجادلة: ١]. أخرجه الدارمي وغيره[(٦)].

---

(١) تقدم تخريج الحديث في ص ١١١.

(٢) زينت بنت جحش بن رئاب، أم المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، زوج النبي ﷺ وبنت عمته، تزوجها ﷺ سنة خمس من الهجرة، وقيل في سنة ثلاث، كانت أول نسائه ﷺ لحوقًا به ماتت بالمدينة سنة ٢٠هـ. الإستيعاب ٤/١٨٤٩-١٨٥٢، والإصابة ٧/٦٦٧-٦٧٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٢٦٩٩ حديث ٦٩٨٥، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء.

(٤) في بعض المصادر التي أخرجت الحديث جاء بلفظ «ويحك» وفي بعضها بلفظ «ويلك».

(٥) خولة بنت ثعلبة وقيل: خويلة والأول أكثر، وقيل خولة بنت حكيم، وقيل خولة بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة صحابية ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت، فشكت إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله في شأنها سورة المجادلة. الإصابة ٧/٦١٧-٦١٨، وأسد الغابة ٧/٩٢-٩٣.

(٦) أخرجه الدرامي في الرد على الجهمية ص ٦٩-٧٠ رقم ٢٤، وفي النقض ١/٣١٦-٣١٧، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/٣٢٢ حديث ٨٨٦. وابن أبي حاتم في التفسير =



وروى أبو القاسم اللالكائي والبيهقي وغيرهما بالإسناد الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال: «ما بين السماء القصوى والدنيا خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء كذلك، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم»(١).

= ١٠/٣٣٤٢حديث ١٨٨٤١. كلهم من طريق جرير بن حازم، حدثهم قال سمعت أبا يزيد المدني، قال لقيت امرأة عمر.

وإسناده ضعيف، قال ابن كثير عقب الحديث: «هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب، وقد روي من غير هذا الوجه» وقال الذهبي: هذا إسناد صالح فيه انقطاع أبو يزيد لم يلحق عمر». وضعفه الألباني في تخريج أحاديث الطحاوية ص ٢٨٤حاشية ٣١٤.

والوجه الآخر الذي أشار إليه ابن كثير لعل هو ما رواه البخاري في التاريخ الكبير ٧/٢٤٥ في ترجمة كهف القشيري، قال البخاري: قال محمد بن العلاء، نا أبو أسامة قال: نا عبد الله بن كهف القشيري، قال: نا أبي، عن ثمامة بن حزن قال بينما عمر بن الخطاب يسير على حمار لقيته امرأة... الحديث. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٢٦٣، إلى ابن مردويه أيضًا.

وفي إسناده عبد الله بن كهف القشيري وأبوه، عبد الله ذكره ابن أبي حاتم في الجرح ٥/١٤٥، وقال روى عن الحسن وابن سيرين، وروى عنه أبو أسامة ولم ذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

وكهف القشيري البصري، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح ٧/١٧٥، وقال: روى عن أبيه وثمامة بن حزن القشيري، وروى عنه ابنه عبد الله بن كهف ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

وأخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة ٢/٧٧٣-٧٧٤ وابن حجر في الإصابة ٧/٦٢٠-٦٢١ من طريق خُليد بن دعلج، عن قتادة، قال خرج عمر.

وقال ابن حجر عقب الحديث: «وخليد ضعيف سيء الحفظ».

(١) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية ص ٧٠رقم ٢٦، ونقض عثمان بن سعيد ١/٤٢٢ =

وروى أبو القاسم الطبراني عن ابن مسعود أيضًا قال: «إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى إذا تيسر له نظر الله إليه من فوق سبع سموات فيقول للملائكة: اصرفوه فإني إن يسرته له أدخلته النار»[1].

= و٤٧١ و٥١٩-٥٢٠، وابن خزيمة في التوحيد ١/٢٤٢-٢٤٤ح ١٤٩-١٥٠ والطبراني في الكبير ٩/٢٢٨حديث ٨٩٨٧، وأبو الشيخ في العظمة ٢/٦٨٨-٦٨٩حديث ٢٧٩، اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٣/٣٩٥-٣٩٦حديث ٦٥٩، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/٢٩٠-٢٩٢حديث ٨٥١.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٨٦: «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح».

وقال محمد خليل هراس في تعليقه على كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٠٥حاشية رقم ٤، «هذا أثر صحيح عن ابن مسعود وافر الطرق» وذكر الذهبي في العلو ١/٦١٦-٦١٧حديث ١٥٧، الجزء الأخير من الحديث بنفس الإسناد ثم قال: «وإسناده صحيح».

وحسنه الألباني في تخريج أحاديث الرد على الجهمية للدارمي ص ٢٦-٢٧، وراجع فتح الباري ١٣/٤١٣. عزاه إلى ابن خزيمة في التوحيد من صحيحه وابن أبي عاصم في السنة.... وأخرج البيهقي من حديث أبي ذر مرفوعًا نحوه. وتقدم الحديث من طريق العباس بن عبد المطلب مرفوعًا ص٦٢ وتخريجه هناك.

(١) أخرجه نعيم بن حماد في زوائد زهد ابن المبارك ص ٤٦١حديث ١٢٩. وأبو داود في الزهد ص ١٩٦-١٩٧حديث رقم ١٩١، والدارمي في الرد على الجهمية ص ٧٠رقم ٢٥، واللالكائي في شرح أصول الاعتقد ٤/٦٦٨حديث ١٢١٩. وابن ابي الدنيا في الرضا عن الله بقضائه ص ٦١حديث ٥٧.

قال ابن القيم في مختصر الصواعق: ٣/١٠٧٣، واجتماع الجيوش الإسلامية ص ٢٥٤: «وإسناده صحيح». وقال الذهبي في العلو ١/٦٢٤ «أخرجه اللالكائي بإسناد قوي».

وإسناده ضعيف؛لأن خيثمة بن عبد الرحمن لم يسمع من ابن مسعود شيئًا. العلل لأحمد رواية ابنه عبد الله ١/٤٦ رقم ٣٠، ونقله عنه ابن أبي حاتم في المراسيل ص ٥١ترجمة ٧٥.

وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/٣٠٥، و ٧/٢٠٨، وابن =

وثبت عن مسروق[1] أنه كان إذا حدَّث عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا يقول: «حدثتني [الصديقة][2] بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة من فوق سبع سموات»[3].

وروى يونس بن يزيد[4]، عن الزهري[5]، عن سعيد بن

= الجوزي في العلل المتناهية ٢/٣١٧، كلهم من طريقين عن صالح بن بيان، نا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس مرفوعًا. بلفظ «إن العبد ليشرف».
وإسناده ضعيف جدًا، قال أبو نعيم عقب الحديث: «لم نكتبه إلا من حديث علي بن معبد، عن صالح، عن شعبة». وقال ابن الجوزي عقب الحديث: «تفرد به صالح وهو ضعيف جدًا. وقال ابن قدامة في إثبات صفة العلو ص ١٠٠-١٠١رقم ١٩ عقب الحديث: «هذا حديث غريب من حديث شعبة، عن الحكم، عن مجاهد». وقال الذهبي عقب الحديث: «صالح تالف، والحديث موضوع، ولا يحتمل شعبة هذا».

(١) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهَمْداني الوادعي، أبو عائشةتقدمت ترجمته في ص ٨٤.

(٢) في الأصل: «الصديقية».

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٨/٦٦، وأبونعيم في الحلية ٢/٤٤، وذكره الذهبي في السير ٢/١٨١، وفي العلو ٢/٨٦٨حديث ٢٨٩، وابن قدامة في إثبات صفة العلو ص ١٦٠رقم ٦٨، وابن كثير في البداية والنهاية ١١/٣٣٩، وابن القيم في مختصر الصواعق ٣/١٠٧٤، واجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٢٧و ٢٥٩. والمزي في تهذيب الكمال ٣٥/٢٣٤.
قال الذهبي في العلو عقب الحديث: «إسناده صحيح» - يعني إلى كعب - وقال ابن القيم في اجتماع الجيوش ص ٢٥٩: «صح عنه» وصححه الألباني في مختصر العلو ص ١٢٨ حديث ٩٨.

(٤) ابن أبي النِّجاد الأيلي، بفتح الهمزة وسكون التحتانية بعدها لام، أبو يزيد مولى آل أبي سفيان، ثقة إلا أن في روايته عن الزهري وهمًا قليلًا، وفي غير الزهري خطأ مات سنة ١٥٩هـ. على الصحيح. التقريب ص ٦١٤.

(٥) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، أبو بكر الفقيه الحافظ متفق على جلالته =

المسيب[1]، عن كعب[2] قال: قال الله تعالى في التوراة: «أنا الله فوق عبادي، وعَرْشي فوق جميع خلقي، وأنا على عَرْشي أدبر أمر عبادي، ولا يخفى عليَّ شيء في السماء ولا في الأرض»[3].

وفي كتاب العرش لابن أبي شيبة[4] أن داود عليه السلام كان يقول في

= وإتقانه، وهو من رؤس الطبقة الرابعة، مات سنة ١٢٥هـ. وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين. التقريب ص ٥٠٦.

(١) ابن حَزْن القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، اتفقوا على أن مرسلاته أصحُّ المراسيل، وقال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علمًا منه. مات بعد التسعين. التقريب ص ٢٤١.

(٢) ابن مَاتِع الحِمْيري، أبو إسحاق، المعروف بكعب الأحبار، ثقة، مخضرم، كان من أهل اليمن فسكن الشام، مات في آخر خلافة عثمان بن عفان، وقد زاد على المائة. التقريب ص ٤٦١.

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة ٣/١٨٥-١٨٦رقم ١٣٧، وأبو الشيخ في العظمة ٢/٦٢٥-٦٢٦حديث ٢٤٤، وأبو نعيم في الحلية ٦/٧.
وقال ابن القيم عقب الحديث في مختصر الصواعق: «رواه ابن بطة وأبو الشيخ وغيرهما بإسناد صحيح». وقال الذهبي عقب الحديث: «رواته ثقات». وقال في الأربعين ص ٤٥: «وفي الكتب المنزلة مثل ما صح عن كعب الأحبار» فذكره. وصححه الألباني في مختصر العلو ص ١٢٨ حديث رقم ٩٧.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش ص ٣٥١-٣٥٢رقم ٢٠وفي مصنفه ١٠/٢٧٧ حديث ٩٤٣٠، ومن طريق ابن أبي شيبة أخرجه الدارمي في سننه ١/١٠٩حديث ٣٣٦، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/٤٧٠، عند تفسير قوله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]. لأحمد في الزهد. وذكره ابن القيم في مختصر الصواعق ٣/١٠٧٨، وفي اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٢٦١-٢٦٢. =

دعائـه: «[سـبحانك][1] اللّهم أنـت ربي، تعاليـت فـوق عرشـك، وجعلـت خشيتك على من في السموات والأرض»[2].

وروى ابن ماجة عن جابر يرفعه قال: «بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ رَفَعُوا إِلَيْهِ رُءُوسَهُمْ فَإِذَا الجَبَّارُ جل جلاله قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَقَالَ/ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ سَلاَمٌ عليكم ثم قرأ قَوْلُه تعالى ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨]. فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَلاَ يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّعِيمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ»[3]. [١١٨]

وفي الحديث الذي رواه عثمان بن سعيد وغيره في يوم الجمعة أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: «لم تسمونه يوم المزيد؟قال: إن ربك اتخذ في الجنة واديًا أفيح من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة من أيام الآخرة هبط الجبار جل جلاله عن عرشه إلى كرسيه، إلى ذلك الوادي، وقد حفّ الكرسي بمنابر من نور، يجلس عليها الصديقون والشهداء، ثم يجيء أهل الغرف حتى يحفوا بالكثيب، ثم يَتَبَدَّى لهم ذو الجلال والإكرام فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، وأحللتكم دار كرامتي، فاسألوني، فيقولون

= وقال: «قول عباس العمي ولم يكن من المشهورين بالتفسير روى ابن ابن أبي شيبة في كتاب العرش بإسناد صحيح عنه».

(١) ما بين المعقوفتين لا يوجد في الأصل، وألحقته من مصادر التخريج.

(٢) من قوله: «وأما السنة فقد روينا» إلى هنا نقله من مختصر الصواعق ٣/ ١٠٦٤-١٠٧٨. باختصار.

(٣) سبق تخريجه في ص ١١٢- ١١٣.

بأجمعهم: نسألك الرضى عنا، فيشهد لهم على الرضى، ثم يقول لهم: سلوني فيسألونه حتى تنتهي نهمة كل عبد منهم، ثم يقول: سلوني، فيقولون: حسبنا ربنا رضينا، فيرجع الجبار تعالى إلى عرشه، فيفتح لهم بعد انصرافهم من يوم الجمعة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فيرجع أهل الغرف إلى غرفهم، وهي غرفة من لُؤْلُؤْة بيضاء، وياقوتة حمراء، وزمردة خضراء، ليس فيها هَمٌّ ولا وَهْمٌ[(١)] مطردة: فيها أنهارها، متدلية فيها أثمارها، فيها أزواجها وخدمها ومساكنها، فليسوا إلى يوم أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا تفضلًا من ربهم ورضوانًا»[(٢)].

---

(١) في الرد على الجهمية ص ٩٦ «ليس فيها قَصْمٌ ولا وَصْمٌ» وفي صفة الجنة لابن أبي الدنيا ص ٩٥ ومختصر الصواعق ٣/١١٥٦ «فصم ولا قصم». قال ابن أبي الدنيا: الفصم: الصداع الذي لم يبن، والقصم: ما قد بان.

(٢) أخرجه الدارمي من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في الرد على الجهمية ص ٩٦-٩٧ حديث ٧١. وفي نقضه ١/ ٤٢٠-٤٢١، في كلاهما من طريق هشام بن خالد الدمشقي، ثنا محمد بن شعيب بن شابور، أنبأنا عُمر بن عبد الله مولى غُفْرَةَ، قال: سمعت أنس بن مالك فذكره. وابن أبي الدنيا في صفة الجنة ص ٩٦ حديث ٩٢، من طريق الحكم بن موسى، حدثنا إسماعيل بن عياش، قال حدثني عمر بن عبد الله به.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية لهذا الحديث عشرة طرق فذكرها ثم قال في مجموع الفتاوى ٦/٤٠٣: «وأصل حديث «سوق الجنة» قد رواه مسلم في صحيحه ولم يذكر فيه الرؤية، وهذه الأحاديث عامتها إذا جرد إسناد الواحد منها لم يخل عن مقال قريب أو شديد، لكن تعددها وكثرة طرقها يغلب على الظن ثبوتها في نفس الأمر، بل قد يقتضي القطع بها وأيضًا فقد روي عن «الصحابة» و«التابعين» ما يوافق ذلك، ومثل هذا لا يقال بالرأي، وإنما يقال بالتوقيف».



وفي الصحيح «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فيجتمعون عند صلاة العصر والصبح، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، يسألهم ربهم وهو أعلم بهم... »[1] الحديث.

وفي الخبر عن رسول الله ﷺ: **«إن الله يستحي أن يرفع العبد يده إليه...»**[2] الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/٢٠٣-٢٠٤ حديث ٥٣٠، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، و ٣/١١٧٨ حديث ٣٠٥١، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، و ٦/٢٧٠٢ حديث ٦٩٩٢، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] و ٦/٢٧٢١ حديث ٧٠٤٨، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل، ونداء الله الملائكة، ومسلم في صحيحه ١/٤٣٩ حديث ٦٣٢، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما.

(٢) هذا الحديث جاء عن عدد من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

فأخرجه من حديث سلمان الفارسي مرفوعًا، أبو داود في سننه ٢/١٦٥ حديث ١٤٨٨، كتاب الصلاة، باب الدعاء، والترمذي في سننه ٥/٥٥٦-٥٥٧ حديث ٣٥٥٦، كتاب الدعوات، باب ١٠٥، وابن ماجة في سننه ٢/١٢٧١ حديث ٣٨٦٥، كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء. والحاكم في المستدرك ١/٤٧٩، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان ٣/١٦٠ حديث ٨٧٦، و ٣/١٦٣ حديث ٨٨٠، والبغوي في شرح السنة ٥/١٨٥ حديث ١٣٨٥، والطبراني في المعجم الكبير ٦/٣٠٩ حديث ٦١٣٠ و٦/٣١٤ حديث ٦١٤٨، والخطيب في تاريخ بغداد ٣/٢٣٥-٢٣٦ و ٨/٣١٧، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/٢٢٠ حديث ١٥٥، و ٢/٤٣٤ حديث ١٠١٤. كلهم من طريق أبي عثمان النهدي، عن سلمان مرفوعًا بلفظ: «إن الله حييٌّ كريم، يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه... الحديث». وقال الترمذي عقب الحديث «هذا حديث حسن غريب» وكذا قال البغوي. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر في =

وفي حديث الإسراء «وتردد النبي ﷺ بين ربه وبين موسى مرارا في شأن الصلاة»(1)/ دليل على علو الله فوق عرشه حقيقة بلا كيف، وإلا كان رسول [119] الله يتردد من موسى إلى نحو وجهة ليس فيها الله، وهو تكذيب للحديث

= فتح الباري 11/143: «سنده جيد».

وأخرجه من حديث سلمان موقوفًا، أحمد في مسنده: 39/119 حديث 23714، والحاكم في المستدرك 1/535، والبيهقي في الأسماء والصفات 2/434 حديث 1013.

وأخرجه من حديث ابن عمر الطبراني في المعجم الكبير 12/423 حديث 13557، وابن عدي في الكامل 2/595، وابن حجر في لسان الميزان 2/90. كلهم من طريق الجارود بن يزيد، ثنا عمر بن ذر، عن مجاهد، عن ابن عمر مرفوعًا. بلفظ: «إن ربكم حييٌّ كريم، يستحي أن يرفع العبد يديه... ».

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: 10/169 «رواه الطبراني وفيه الجارود بن يزيد، وهو متروك».

وأخرجه من حديث أنس مرفوعًا عبد الرزاق في مصنفه 2/251 حديث 3250، و 10/443 حديث 19648، ومن طريقه أخرجه البغوي في شرح السنة 5/186 حديث 1386، والحاكم في المستدرك 1/497-498، كلهم من طرق عن أبان، عن أنس مرفوعًا. بلفظ: «إن ربكم حييٌّ كريم، يستحي إذا رفع العبد إليه يديه... »

وأخرجه من حديث جابر أبو يعلى في مسنده 3/391 حديث 1867، والطبراني في المعجم الأوسط 5/31 حديث 4591، وابن عدي في الكامل 7/2613 كلهم من طريق عبيد الله بن معاذ، حدثني أبي، قال: نا يوسف بن محمد بن المنكدر، عن أبيه، عن جابر مرفوعًا بلفظ «إن الله عز وجل حييٌّ كريم، يستحي... ».

وإسناده ضعيف، قال ابن عدي عقب الحديث: «قال عبيد الله ولم أسمعه من أبي». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 10/149: «رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط، وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر، وقد وثق على ضعفه، وبقية رجالهما رجال الصحيح».

(1) تقدم تخريجه في ص58.

الصحيح الصريح، وذلك حيث يقول موسى له: «ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف... ».

وقد موه بعض الجهمية على الضعفاء بما نقله عن ابن السبكي[1] من قلب الحقائق حيث قال: في قوله ﷺ: **«لا تفضلوني على يونس بن متى»**[2]

---

(١) هو عبد الوهاب بن علي تقدمت ترجمته في ص ١٨٤.

(٢) ذكره السبكي في طبقات الشافعية ٩/٢٠٣، بدون سند، وقال ابن أبي العز في شرح الطحاوية، ص ١٦٢: «إن هذا الحديث بهذا اللفظ لم يروه أحد من أهل الكتب التي يعتمد عليها». وقال الألباني في تخريجه للطحاوية ص ١٦٢ حاشية ١٣١ «لا أعرف له أصلًا بهذا اللفظ».

وأخرجه البخاري من حديث ابن عباس بلفظ: «ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خير من يونس بن متى». في صحيحه ٣/١٢٥٤ حديث ٣٢٣٢ كتاب الأبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ١٣٩] و ٤/١٦٩٤-١٦٩٥ حديث ٤٣٥٤، كتاب التفسير، باب ﴿وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٦] وأخرجه مسلم بذلك اللفظ في صحيحه ٤/١٨٤٦ حديث ١٦٧، كتاب الفضائل، باب فضائل يونس عليه السلام.

وأخرجه البخاري من حديث ابن مسعود بلفظ: «لا يقولن أحدكم: إني خير من يونس بن متى» ٣/١٢٥٤ حديث ٣٢٣١، كتاب الأنبياء، باب قول الله: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ١٣٩] و ٤/١٦٨١ حديث ٤٣٢٧، كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ ﴾ [النساء: ١٦٣] و ٤/١٨٠٨ حديث ٤٥٢٦، كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

وأخرجه البخاري من حديث أبي هريرة بلفظ: «لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى» في صحيحه ٣/١٢٥٥ حديث ٣٢٣٤، كتاب الأنبياء، باب قول الله: =

معناه لا تستدلوا على تفضيلي عليه بأنه أُسري بي إلى جهة العلو التي الله فيها على كل مكان وسِيرَبه إلى جهة السفلى، ومقر الظلمات، وهو بطن الحوت في قعر البحر، حيث لا يكون الله، بل الله لا هنا ولا هناك، وحينئذٍ لا تفضيل من هذه الحيثية، وقد بالغ من نقل هذا الفهم في تجويده والثناء على معارف هذا الرجل وانغلاق ذهنه بمثل هذه الأنوار العلمية، والمتأمل المنصف يرى أنه لا أفسد ولا أبعد من هذا الفهم في حديث رسول الله ﷺ ولا في قصة الإسراء ولا مناسبة بين هذا وذاك.

وفي الصحيح حديث السوداء التي سألها رسول الله ﷺ: **«أَيْنَ اللهُ؟»** قَالَتْ: «هُوَ فِي السَّمَاءِ»(١) وأمر رسول الله ﷺ بعتقها وشهد لها بالإيمان، دليل على ما قلناه، والمراد بالسماء العلو كما تقدم.

وفي سؤال رسول الله ﷺ بـ «أَيْنَ» دليل على ذلك وأنه لا محظور في ذلك

= ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ومسلم في صحيحه ٤/١٨٤٦ حديث ١٦٧، كتاب الفضائل، باب فضائل يونس عليه السلام.

وبلفظ «من قال: أنا خير من يونس بن متى فقد كذب» البخاري في صحيحه ٤/١٦٨١ حديث ٤٣٢٨، كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ [النساء: ١٦٣] و ٤/١٨٠٨ حديث ٤٥٢٧، كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ و ٤/١٦٩٤-١٦٩٥ حديث ٤٣٥٥، كتاب التفسير، باب ﴿وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٦] بمثل لفظ حديث ابن عباس السابق.

وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٨٤٦ حديث ١٦٧ كتاب الفضائل. باب فضائل يونس عليه السلام.

(١) تقدم تخريجه في ص ٥٧.

السؤال، وقد سئل عنه رسول الله بـ «أَيْنَ» فأجاب السائل ولم ينهه عن السؤال بها.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون[1]، أخبرنا حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء[2]، عن وكيع بن [حُدُس][3]، عن عمه أبي رزين واسمه لقيط بن عامر بن المنتفق[4] العقيلي[5] قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولُ الله أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ قَالَ: «كَانَ فِي [عَمَاءٍ][6] مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ ثم خَلَقَ الْعَرْشَ بَعْدَ ذَلِكَ»[7].

وقد رواه الترمذي في التفسير وابن ماجة في السنن من حديث يزيد بن هارون به وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

[١٢٠] وفي أحاديث الصحيح وغيره في رؤية الله/ تعالى في الموقف وفي الجنة

---

(١) ابن زادان السُّلمي مولاهم، أبو خالد الواسطي، ثقة متقن عابد، مات سنة ٢٠٦هـ. التقريب ص ٦٠٦.

(٢) العامري طائفي نزل واسط، ومات بها، أثنى عليه أحمد خيرًا، وقال ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: صالح الحديث. الجرح ٩/٣٠٢.

(٣) في الأصل: «عباس» والتصويب من مسند أحمد وقد تقدم الاختلاف في اسم أبيه في ترجمته في ص ١٣٠.

(٤) في الأصل: «المنفق».

(٥) أبو رزين، وافد بني المنتفق، قيل: هو لقيط بن صبرة، قال ابن حجر: والراجح في نظري أنهما إثنان، الإصابة ٥/٦٨٦-٦٨٧، وأسد الغابة ٤/٤٩١-٤٩٢.

(٦) في الأصل: «عمى» والتصويب من مصادر التخريج.

(٧) تقدم تخريجه في ٢١٥.

دليل على العلو والفوقية بدليل «رفعوا إليه رؤوسهم وأشرف عليهم...».

والمعتزلة والجهمية أنكروا رؤية الله؛ لأن إثباتها يكر على مذهبهم بالبطلان، والمذبذبون أثبتوها، وأنكروا علو الله على خلقه، فتناقضوا.

وفي أحاديث مجيء الرب للمحشر وفي إشارة رسول الله إلى ربه بأصبعه رافعًا له إلى السماء وهو يقول: **«اللَّهُم اشْهَدْ»**[1] في الجمع الأعظم والموقف الأعظم والمكان الأعظم واليوم الأعظم دليل على ذلك.

وفي أحاديث نزول الرب إلى سماء الدنيا التي رويناها بأسانيدنا المتصلة إلى أئمة الدين كمالك وغيره دليل على ذلك وقد رواها نحو ثمانية وعشرين من الصحابة[2] حتى ادعى الناس أنها بلغت التواتر إذ ذاك يدل على أن رسول الله ﷺ صرح بها في المجامع الكثيرة وفي المواطن المتعددة.

ودعوى أنها مجاز عن مزيد فضله ورحمته وقبوله وإجابته مردود بأن رسول الله لم يذكر لهذا المجاز قرينة ولو بلفظ ما أو في وقت ما، بل أكد الحقيقة بذكر الهبوط تارة والنزول أخرى والمجيء تارة والعلو إلى الكرسي والعرش بعد النزول.

---

(١) تقدم جزء من الحديث بلفظ: «أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟» وتقدم تخريجه هناك في ص ٤٨.

(٢) ذكر ابن القيم في مختصر الصواعق ٣/ ١١٢٥، أسماء الصحابة الذين رووا حديث النزول ومروياتهم. ينظر: كتاب: صفة النزول الإلهي للدكتور عبد القادر الغامدي نشر دار البيان الحديثة، فقد درس المسألة دراسة وافية، وجمع الطرق وأسماء الرواة من الصحابة، وقد بلغوا (٢٩) صحابيا، كما في صفحة (٤٨-٥٥).

ودعوى أن النازل الملَك ونحوه يردها التصريح بنسبة النزول إلى الله وإلى الرب وإجابة السؤال وغفران الذنوب وإضافة العبيد إليه؛ إذ كل ذلك لا يليق بالملَك ونحوه.

ودعوى الجهمية وغيرهم أن النزول يؤدي إلى الانتقال والحركة الذين هما من خواص الأجسام، يقال عليه:

أولًا: أن للذات والصفات والأفعال خواصا لازمة لها، لا يمكن انفكاكها عنها، فمن زعم نفي ملزوماتها فقد نفاها/ نعم لها خواص من حيث [١٢١] نسبتها إلى القديم وخواص من حيث نسبتها إلى الحادث، فمن نفى عن القديم خواص الحادث أصاب، كمن نفى خواص القديم عن الحادث، وعليه فالانتقال والحركة اللذان هما من خواص الحادث المعلومان عندنا منفيان عن القديم سبحانه في صعوده ونزوله بدليل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. والانتقال والحركة بمعنى يختص بنزول الله ويليق به لا نعلم كنهه الثابت له منفي عن خلقه.

ثانيًا: إن كان مقصودهم بالحركة والانتقال كون الجسم والعرض منتقلين من مكان إلى مكان كاحتياجهما إلى الانتقال عن الأول وإلى الثاني فهذا محال عن الله تعالى.

وإن كان الانتقال بمعنى الفاعل من كونه غير فاعل إلى كونه فاعلًا أو العكس فهذا من صفة الله وصفة الخلق ولا يضر الاشتراك في التسمية كما قدمنا إذا تباينت المعاني.



وثالثًا: اعتراضكم هذا ليس علينا وإنما هو على الله ورسوله حيث ذكر في وصفه سبحانه النزول والصعود فجوابهما جوابنا لكم، فإن قلتم: إننا مبينون لقولهما وما أرادا لا معترضون.

قلنا: تعالى الله أن يكون عاجزًا عن غاية البيان ونهاية الإفصاح بالمراد، وحاشا رسول الله أن يكون عاجزًا عن بيان المقصود بلفظ لا يحتمل لبسًا ولا إبهامًا ولا إجمالًا، ولا أنهما وكلا البيان في ذلك إلى أمثالكم كما قدمنا بعض القول في ذلك، وإذا وصف الله نفسه بتلك الصفات في كتابه وعلى لسان رسوله وأزال اللبس ومشابهة أوصاف العباد بقوله ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١]. فهل من احتمال يبقى أو لبس يتقى.

ورابعًا: إن كان الانتقال والحركة لازمين للنزول الذي أخبر به الله ورسوله وخبرهما حق فلازم الحق حق، وإن كانا غير لازمين له بطل قولكم/ . [١٢٢]

وخامسًا: إن ادعى الجهمي أن النزول يؤدي إلى خلو العرش عن الله، وأن هذا الخلو يكون دائمًا لكون الثلث الآخر من الليل يختلف باختلاف الأقطار الأرضية إذ قد يكون النهار في جانب من الأرض والليل في آخر كما هو معلوم.

يجاب بأن هذا يلائم نزول الأجسام الصغيرة لا الذات الأقدس الأعظم من كل عظيم المحيط بكل شيء، فنزوله وصفته ثابتة له وهو على عرشه، ولقد جاء في الحديث الصحيح أن العوالم كلها بالنسبة إلى عظمة ذاته كخردلة في يد أحدنا، فكيف يلزم من في يده خردلة أن يستحيل دنوّه منها ونزوله إليها

وعلوه من مكانه عند الانتقال إليها. هذا بالنسبة إلينا، وأما بالنسبة إليه فالله أعلى وأجل من أن يستحيل عليه ما وصف نفسه به[1].

وسادسًا: إذا نفيتم عن الله صفة النزول والمجيء لكونه يؤدي إلى مشابهة الأجسام وقعتم في أقبح مما فررتم منه إذ وصفتموه بالسكون والعجز عن المجيء والنزول، وهو أقبح وصف المخلوقين.

وإن قلتم: لا يوصف بهذا أو ذاك فقد زعمتم التعطيل ونفي وجوده بالكلية، وهو مذهب الدهرية، وكل مذهب أخف منه.

وسابعًا: من لم يسعه ويكفه ما وسع أهل السنة وكفاهم لتسليم صفة الله على ما هي عليه من غير مشابهة ولا علم، ما وسعه شيء ولا كفاه إلا

---

(١) دعوى لزوم خلو العرش دائما لاختلاف الثلث الأخير من الليل باختلاف الأقطار من لوازم نزول المخلوقات، فالقائل لهذا القول يجعل لوازم صفات المخلوقات لازمة للخالق، وهذا من التشبيه وقياس الخالق تبارك وتعالى على المخلوق، أما أهل السنة والجماعة الذين ينزهون الله تعالى التنزيه الحقيقي فلا يجعلون لوازم صفات المخلوقات لازمة للخالق تبارك وتعالى الذي ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته تبارك وتعالى، ولذلك لم يعرف عن أحد من الأئمة المعروفين بالسنة لا بسند صحيح ولا ضعيف أنهم قالوا بخلو العرش عند النزول الإلهي، بل قد نقل عن أحمد وإسحاق وحماد والدارمي ونعيم بن حماد وزكريا الساجي ونحوه عن الشافعي وغيرهم بأنه لا يخلو منه العرش. ينظر في تفصيل المسألة: الرد على المريسي (١/٣٥٨) إبطال التأويلات (١/٢٦١)، شرح حديث النزول (ص ٢٣٢) منهاج السنة (٢/٦٣٩) درء التعارض (٧/٧) مختصر الصواعق (ص ٤٤٣-٤٥٠) مختصر العلو (ص ١٩٢) ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٢٤) جلاء العينين للألوسي (ص ١٨٦).



الاعتراض على الله، وتقديم الأوهام على كتاب الله وسنة رسوله حتى إنه ربما مات وهو يعتقد موجودًا لا موجود، والعياذ بالله.

وقد رأينا تصريحًا لأبي الفرج ابن الجوزي: بأن الله ينزل بذاته لسماء الدنيا ونظم ذلك بقوله/. [١٢٣]

أدعـــوك للوصـــل تــأبى	أبعــث رســـولي في الطلـــب
أنـــزل إليــك بنفــسي	ألقــــاك في النـــوام

نقله عنه ابن القيم وعن نعيم بن حماد وجماعة(١).

وهذا يدل على أن الكتاب المنسوب لابن الجوزي في نصرة التأويلية والجهمية مزور النسبة أو أنه رجع عنه إلى مذهب أهل السنة، وهذا شأن أمثاله، أو أن هذه المقالة كانت قبل الكتاب، وهو بعيد من أمثاله(٢)، إذ كانوا

---

(١) التمهيد لابن عبد البر ٧/١٤٤. ومختصر الصواعق ٣/١١٠٩-١١١٠. والجواب الكافي ص ٣٨٤.

(٢) أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله (٥٠٩-٥٩٧) كان متناقضا في باب الصفات كشيخه أبي الوفاء ابن عقيل، لم يثبت على قدم النفي ولا قدم الإثبات، فيثبت من الصفات في مواضع من كتبه ما ينفيه في كتبه الأخرى، وقد بالغ في التأويل في كتابين: أحدهما (دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه) والآخر (منهاج الوصول ـ أو الأصول ـ)، وقد فرح المبتدعة بالكتاب الأول وطبعوه، وأشادوا به، وهو في الأصل رد على كتاب أبي يعلى (إبطال التأويلات) الذي غلا فيه في الإثبات لقلة بضاعته في السنة، فجاء كتاب ابن الجوزي كرد فعل لأبي يعلى فغلا في التأويل، وإلا فهو معروف بانتسابه للسنة والحديث، محبا للسلف، معظما لهم، ويحث على الاتباع وينهى عن الابتداع، تشهد بذلك كتبه الأخرى فرحمه الله وعفا عنه بمنه وكرمه. =



على ذلك فرجعوا في آخر أعمارهم إلى الحق كما لأبي المعالي والرازي، وإلا فالحق ما دل عليه الدليل.

وقد نقل الشيخ عبد القادر[1] في «الغنية» عن بعض السلف أخاله فضيلًا[2] أنه قال: «إذا قال لك الجهمي إني كافر برب ينزل[3] فقل له: إني مؤمن برب يفعل ما يشاء[4]».

وهذا ما تيسر من الكلام في السنة.

= ينظر: مجموع الفتاوى (٤/١٦٩) درء التعارض (١/٢٧٠) و(٢/١٦) و(٧/٣٣ و٢٦٣) ذيل طبقات الحنابلة (١/٣٤٨) سير أعلام النبلاء (٢١/٣٧٤).

(١) عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست الجِيلِيُّ، أبو محمد، الكيلاني، ولد في جيلان وراء طبرستان سنة ٤٧١هـ، من مؤلفاته «الغنية لطالب طريق الحق» و«الفتح الرباني» توفي سنة ٥٦١هـ. السير ٢٠/٤٣٩-٤٥١وذيل طبقات الحنابلة ١/٢٩٠-٣١٠، والبداية والنهاية ١٦/٤١٩-٤٢٠، وشذرات الذهب ٤/١٩٨.

(٢) هو الفضيل بن عياض بن مسعود، أبو علي التميمي اليربوعي الزاهد المشهور، ثقة عابدإمام، أخرج له الجماعة سوى ابن ماجة، توفي سنة ١٨٧هـ. تهذيب الكمال ٢٣/٢٨١-٣٠٠، والسير ٨/٤٢١-٤٤٢، والتقريب ص ٤٤٨.

(٣) في خلق أفعال العباد ٢/٣٦: «يزول عن مكانه».

(٤) ذكره البخاري في خلق أفعال العباد ٢/٣٦رقم ٦١، وابن بطة في الإبانة ٣/٢٠٤-٢٠٥رقم ١٥٩، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٣/٤٥٢حديث ٧٧٥، وابن تيمية في درء التعارض ٢/٢٣-٢٤ وشرح حديث النزول ص ١٥٤، ومجموع الفتاوى ٥/٦٢. ونُقل عن ابن معين مثل قول القاضي عياض وذكره اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٣/٤٥٣ حديث ٧٧٦.



وأما الإجماع: فقد حكى أبو الحسن الأشعري إجماع أهل [السنة على][1] بطلان تفسير الاستواء بالاستيلاء.

قال في كتاب «الإبانة»: إن قال قائل ما تقولون في الاستواء؟

قال نقول له: إن الله مستوٍ على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. وساق الأدلة على ذلك، ثم قال: وقال قائلون من المعتزلة، والجهمية، والحرورية[2]: إن معنى قوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ أنه استولى وملك وقهر، وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق: وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، ولو كان هذا كما قالوا: كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة السفلى؛ لأن الله تعالى قادر على كل شيء، والأرض والسموات وكل شيء في العالم،/ فلو كان الله مستويًا على العرش بمعنى [١٢٤] الاستيلاء والقدرة لكان مستويًا على الأرض والحشوش والأنتان والأقذار؛ لأنه قادر على الأشياء كلها، ولم نجد أحدًا من المسلمين يقول: إن الله مستوٍ على الحشوش والأخلية، فلا يجوز أن يكون معنى الاستواء على العرش على معنى هو عام في الأشياء.

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل وألحقته من مختصر الصواعق ٣/٩٠٩.

(٢) الحرورية: نسبة إلى حروراء، بفتح الحاء وضم الراء المهملتين وبعد الواو الساكنة راء أيضًا، بلدة على ميلين من الكوفة، والأشهر أنها بالمد، ويقال: لمن يعتقد مذهب الخوارج حروري؛ لأن أول فرقة منهم خرجوا على عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بالبلدة المذكورة، فاشتهروا بالنسبة إليها. الملل والنحل للشهرستاني ١٣١-١٣٢، والفصل في الملل والأهواء والنحل ١/٣٧٠.



وهكذا قال في كتابه «الموجز»[1] وغيره من كتبه[2]. فعزوا القول بنفي الاستواء إلى الجهمية والمعتزلة، والقول بضده إلى أهل السنة والحق دليل على إجماع على أهل الحق على ذلك.

قال أبو عمر الطلمنكي[3] أحد أئمة المالكية وهو شيخ ابن عبد البر في كتابه الكبير الذي سماه: «الوصول إلى معرفة الأصول» فذكر فيه من أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم وأقوال مالك وأئمة أصحابه ما إذا وَقَفَ عليه الواقف علم الحقيقة ومذهب السلف[4]، وقال في هذا الكتاب: أجمع أهل السنة على أن الله تعالى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز»[5].

قال ابن عبد البر في كتاب «التمهيد»: بعد أن تكلم على حديث النزول:

---

(١) ذكر ابن فورك فيما نقله ابن عساكر أن الأشعري ذكر في كتابه العمد أن له كتابا اسمه «الموجز» اشتمل على اثني عشر كتابا على حسب تنوع مقالات المخالفين من الخارجين عن الملة والداخلين فيها، وآخره كتاب الإمامة، ونقل منه شيخ الإسلام نصوصا، وهو مفقود. ينظر: تبيين كذب المفتري (ص ١٢٩) وطبقات الشافعية (٣/ ٣٦٠) ومنهاج السنة (٥/ ٣٦٠) ومجموع الفتاوى (٧/ ٥٥٠) وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٧).

(٢) من قوله حكاية الأشعري الإجماع إلى هنا في الإبانة وفي مختصر الصواعق ٣/ ٩٠٩-٩١٢. بتصرف. الإبانة ص ٩٧-٩٨، فقرة ١٣٨.

(٣) هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى المعافري تقدمت ترجمته في ص ١٣١.

(٤) كذا في الأصل وفي مختصر الصواعق ٣/ ٩٠٠ «علم حقيقة مذهب السلف».

(٥) نقله عنه ابن تيمية في شرح حديث النزول ص ٣٩٠، والذهبي في العلو ٢/ ١٣١٥ رقم ٥٢٦، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٤٢.

«وأهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفة[1] الواردة في القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك ولا [يَحُدُّون][2] فيه صفة مخصوصة.

وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل

(١) كذا في الأصل وفي التمهيد ٧/ ١٤٥ ومختصر الصواعق ٣/ ٩٠٠. بالصفات.

(٢) في الأصل: «يحيدون» وما أثبته من التمهيد ٧/ ١٤٥، ومختصر الصواعق ٣/ ٩٠٠ وأقاويل الثقات ص ١٣٩.

ولفظ الحد من الألفاظ المجملة التي تحتمل حقا وباطلا، والمنهج الشرعي أن لا تنفى ولا تثبت إلا بعد التفصيل، فقد ينفى حق، وقد يثبت باطل؛ ولذا جاءت أقوال السلف في موضوع الحد على ثلاثة أقوال:

الأول: إثباته مع نفي العلم به وبكيفيته، وقد ورد ذلك عن ابن المبارك، والإمام أحمد في رواية أبي داود، والدارمي في الرد على الجهمية رقم (١٦٢).

الثاني: نفيه، كما هو رواية حنبل عن أحمد بن حنبل حيث قال: (نحن نؤمن بالله تعالى على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها وصف ويحده حد).

الثالث: جواز إطلاقه باعتبار، ومنعه باعتبار، قال ابن أبي العز: «ومن المعلوم أن الحد يقال على ما يتفصل به الشيء ويتميز به عن غيره، والله تعالى غير حال في خلقه، ولا قائم بهم، بل هو القيوم القائم بنفسه المقيم لما سواه، فالحد بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلا، فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الرب ونفي حقيقته، وأما الحد بمعنى العلم والقول، وهو أن يحده العباد فهذا منتف بلا منازعة بين أهل السنة.. ». شرح الطحاوية (ص ٢٤٠) وينظر في هذه المسألة: نقض الدارمي (٥٧)، السنة: لعبد الله بن أحمد (١/ ١٧٤) حديث (٢١٦)، البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٣٥) حديث ٩٠٢)، بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٣٠-٤٣٢)، اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٢١٢).

شيئًا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبهًا[1]، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود»[2].

وقد قال القرطبي[3] في تفسير ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾: «كان السلف الأول لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق به في كتابه/ وأخبرت به رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وإنما جهلوا كيفية الاستواء كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول»[4]. [١٢٥]

وروى البيهقي بسنده عن الأوزاعي أنه قال: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته»[5].

---

(١) في التمهيد ٧/ ١٤٥، ومختصر الصواعق ٣/ ٩٠٠، «مشبه».

(٢) التمهيد ٧/ ١٤٥، ومجموع الفتاوى ٣/ ٢٢١و ٢٦٤، و ٥/ ٨٧و ١٩٨، والعلو للذهبي ٢/ ١٣٢٦رقم ٥٣١وقال الذهبي: «صدق والله، فإن من تأول سائر الصفات، وحَمَلَ ما ورد منها على مجاز الكلام، أداه ذلك السَلْب إلى تعطيل الرب، وأن يشابه المعدوم».

(٣) تفسير القرطبي ٧/ ١٤٠-١٤١، عند تفسير الآية ٥٤ من سورة الأعراف. ونقله عنه الذهبي في العلو ٢/ ١٣٧٦ رقم ٥٥٠.

(٤) من قوله: «قال أبو عمر الطالمنكي» إلى هنا نقله من مختصر الصواعق ٣/ ٨٩٩-٩٠١.

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي ٢/ ٣٠٤حديث ٨٦٥، وجود إسناده ابن حجر في فتح الباري: ١٣/ ٤٠٦، وذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٥/ ٣٩وصحح إسناده، وذكره الذهبي في السير ٧/ ١٢٠-١٢١و ٨/ ٤٠٢، وفي الأربعين في صفات رب العالمين ص ٤٢ رقم ١٣. وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٣١و ١٣٥و ٢١٣ وقال «رواته كلهم أئمة ثقات» وفي مختصر الصواعق ٣/ ١٠٧٨-١٠٧٩. =

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في نقضه على المريسي قال في هذا الكتاب: «قال أهل السنة: إن الله بكماله فوق عرشه يعلم ويسمع من فوق العرش، لا تخفى عليه خافية من خلقه»[1].

وقال سعيد بن عامر الضُبَعِي[2] إمام أهل البصرة على رأس المئتين وذُكر عنده الجهمية فقال: «هم شرٌّ قولًا من اليهود والنصارى، قد اجتمع أهل الأديان من المسلمين وغيرهم على أن الله فوق السموات على العرش، وقالوا هم: ليس على العرش شيء»[3].

= وفي إسناده محمد بن كثير بن أبي عطاء الثقفي، الصنعاني، أبو يوسف، نزيل المصيصه، روى عن الأوزاعي، قال عبد الله بن أحمد: ذكره أبي فضعفه جدًا، وقال: يروي أشياء منكرة، حدث بمناكير ليس لها أصل. وقال النسائي، وغيره، ليس بالقوي، وقال أبو حاتم: كان رجلًا صالحًا، وقال ابن معين: صدوق. وقال مرة: ثقة. وقال ابن حجر: صدوق كثير الغلط، مات سنة ٢١٦هـ. الميزان ٤/١٨، والتقريب ص ٥٠٤.

(١) نقض الإمام أبي سعيد الدارمي على المريسي ١/٤٨٤. ومختصر الصواعق ٣/١٠٨٩-١٠٩٠.

(٢) الضُبَعِي بضم المعجمة وفتح الموحدة، أبو محمد البصري، الزاهد الحافظ شيخ الإمام أحمد وابن المديني، قال أبو حاتم: ربما وهم. وقال ابن حجر: ثقة صالح. توفي سنة ٢٠٨هـ. الجرح ٤/٤٨-٤٩، وتهذيب الكمال ١٠/٥١٠-٥١٤، والتقريب ص ٢٣٧.

(٣) البخاري في خلق أفعال العباد ٢/١٧رقم ١٨، وذكره ابن تيمية في درء التعارض ٦/٢٦١، ونسبه لعبد الله بن أحمد في كتابه السنة، ولم أجده في المطبوع. وفي مجموع الفتاوى ٥/١٨٤، وفي الفتوى الحموية ص ٢١٧، والذهبي في العلو ٢/١٠٣٣رقم ٣٩١، وفي الأربعين في صفات رب العالمين ص ٤٢ رقم ١٤، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٢١٥، وفي تهذيب السنن ٧/١١٦.

وقال الإمام الحافظ الزاهد أبو عبد الله بن بطة[1] في كتاب «الإبانة» له: «باب الإيمان بأن الله على عرشه بائن من خلقه، وعلمه محيط بخلقه: أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين، أن الله على عرشه فوق سمواته، بائن من خلقه»[2].

وقال أبو نصر[3] السجزي[4] في كتاب «الإبانة»: «وأئمتنا كالثوري، ومالك، وابن عيينة، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وابن المبارك، وفضيل بن عياض، وأحمد، وإسحاق: متفقون على أن الله فوق العرش بذاته، وأن علمه بكل مكان»[5].

وقال أبو نعيم الحافظ صاحب «الحلية» في «الاعتقاد» الذي ذكر أنه

---

(١) هو عبيد الله بن محمد بن حمدان بن بطة العُكْبُري الحنبلي، الإمام المحدث الفقيه شيخ العراق، ولد بقرة عُكْبُر بليدة قريبة من نهر دجلة، سنة ٣٠٤هـ وتوفي بها سنة ٣٨٧. تاريخ بغداد ١٠/٣٧١-٣٧٥ وطبقات الحنابلة ٢/١٤٤-١٥٣، والسير ١٦/٥٢٩-٥٣٣.

(٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٣/١٣٦، ومختصر الصواعق ٣/١٠٩١.

(٣) في الأصل: «أبو ناصر».

(٤) هو عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد أبو نصر الوائلي، نسبة إلى وائل، إحدى قرى سجستان، البكري السجزي نسبة إلى سجستان على غير القياس، قال الذهبي: هو الإمام العالم الحافظ المجود شيخ السنة، توفي بمكة سنة ٤٤٤هـ على الصحيح. السير ١٧/٦٥٤-٦٥٧، والبداية والنهاية ١٦/٦٤.

(٥) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٥/١٩٠، وفي درء التعارض ٦/٢٥٠، وفي بيان تلبيس الجهمية ٢/٣٨، ٤١٦، ٤١٧. ونقض التأسيس ٢/٣٨و ٤١٦-٤١٧، والذهبي في السير ١٧/٦٥٦، وفي العلو ٢/١٣٢١رقم ٥٢٩.

اعتقاد السلف وإجماع الأمة، قال فيه: «وإن الأحاديث [التي](١) ثبتت عن النبي ﷺ/ في العرش [و] استواء(٢) الله تعالى عليه يقولون بها ويثبتونها من [١٢٦] غير تكييف ولا تمثيل، وأن الله بائنٌ من خلقه وخلقه بائنون منه، لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستوٍ على عرشه في سمائه من دون أرضه»(٣).

وقال الإمام أبو بكر الآجُرِّي في كتاب «الشريعة»: «الذي يذهب إليه أهل العلم أن الله عز وجل على عرشه فوق سمواته، وعلمه محيط بكل شيء، وقد أحاط بجميع ما خلق في السموات العلى وبجميع ما في سبع أرضين»(٤).

وكذلك أبو الحسن الأشعري نقل الإجماع على أن الله مستوٍ على عرشه)(٥).

وقد حكى الاتفاق عنهم ابن حجر(٦) وغيره إلى غير ذلك ممن تركناهم

---

(١) ما بين المعقوفتين لا يوجد في الأصل، وألحقته من المصادر التالية.

(٢) [الواو] ساقطة في الأصل.

(٣) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٥/ ٦٠ و ١٩٠-١٩١، وفي درء التعارض ٦/ ٢٥٢، والذهبي في العلو ٢/ ١٣٠٥ رقم ٥٢١، وابن القيم في مختصر الصواعق ٣/ ١٠٩٢-١٠٩٣، واجتماع الجيوش الإسلامية ص ٢٧٩، وتهذيب السنن ٧/ ١١٦. ومرعي الكرمي في أقاويل الثقات ص ٩٠ ومن طريقه السفاريني في لوامع الأنوار ١/ ١٩٦-١٩٧.

(٤) كتاب الشريعة للآجري ٣/ ١٠٧٥ و ١٨٠١.

(٥) من قوله: «وقال عثمان بن سعيد الدارمي» إلى هنا نقله من مختصر الصواعق ٣/ ١٠٨٩-١٠٩٣. وتقدم كلام أبي الحسن الأشعري ما تقدم عنه في ص ٢٦٥.

(٦) انظر فتح الباري ١٣/ ٤٠٧-٤٠٨ قال بعد أن حكى الإجماع عن ابن عبد البر وإمام الحرمين: «وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث وهم فقهاء الأمصار كالثوري =

اختصارًا.

وأما الفطرة: فإن الله فطر نفوس الخلائق على اعتقاد أنه عالٍ على خلقه فعقولهم متوجهة دائمًا إلى جهة العلو عند الالتفات إليه، والالتجاء والدعاء وقد تقدم[1] ما للهمداني مع أبي المعالي لا يصدهم عن هذا صاد ولا يردهم عن هذا راد.

وأما أقوال العلماء: فقد قال البيهقي عن مقاتل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]. هو الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، والظاهر فوق كل شيء، والباطن أقرب من كل شيء، وإنما يعني بالقرب بعلمه وقدرته، وهو فوق عرشه. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وصح عن عبد الله بن المبارك أنه قيل له: بِمَ نعرف ربَّنا؟ قال: «بأنه فوق سماواته على عرشه، ولا نقول كما قالت الجهمية إنه هاهنا»[2] يعني في

= والأوزاعي ومالك والليث ومن عاصرهم، وكذا من أخذ عنهم من الأئمة، فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة، وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة».

(١) في ص ١١٩ من هذا البحث

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ٢/ ١٥رقم ١٣و ١٤، والدارمي في الرد على الجهمية ص ٦٤رقم ١٣وص ١٠٢رقم ٧٤، وفي نقض المريسي ١/ ٢٢٤، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة ١/ ١١١رقم ٢٢. و ١/ ١٧٤ حديث ٢١٦، و ١/ ٣٠٧رقم ٥٩٨ والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٣٣٥رقم ٩٠٢.

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوي ٥/ ٥١: «رواه عبد الله بن أحمد وغيره بأسانيد صحاح عن ابن المبارك». وقال أيضًا في ٥/ ١٨٤: «وهذا مشهور عن ابن المبارك ثابت عنه من غير =



الأرض/. [١٢٧]

وصح عن إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه قال: (من لم يؤمن: بأن الله فوق سمواته على عرشه بائنٌ من خلقه، وجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وطرح على مزبلة). رواه الحاكم عنه في «علوم الحديث» و«التاريخ»(١).

وقال الإمام محمد بن يسار(٢): «بعث الله ملكًا من الملائكة إلى نمرود(٣) فقال: هل تعلم يا عدو الله كم بين السماء والأرض؟ قال(٤): لا.

= وجه، وهو أيضًا صحيح ثابت عن أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغير واحد من الأئمة». وقال الذهبي في العلو ٩٨٦/٢: «صح عن الحسن بن علي بن شقيق، عن ابن المبارك». وقال ابن القيم في اجتماع الجيوش ص ١٣٤: «رواه الدارمي والحاكم والبيهقي بإسناد صحيح». وقال في ص ٢١٣-٢١٤: «صح عنه صحة قريبة من التواتر».

(١) معرفة علوم الحديث ص ٨٤، وذكره ابن تيمية في الحموية ضمن مجموع الفتاوى ٥٢/٥، معزوا إلى الحاكم وصحح إسناده، كما ذكره الذهبي في العلو ١٢١٤/٢ رقم ٤٨٦، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٩٤ و ٢٤٧، ومختصر الصواعق ١٠٨١/٣، وابن قدامة في إثبات صفة العلو ص ١٨٥ رقم ٩٦.

(٢) كذا في الأصل: وهو الإمام محمد بن إسحاق بن يسار، نسبه إلى جده.

(٣) في كتاب العظمة، والعلو، واجتماع الجيوش، كلهم قالوا: «بخت نصر» مكان: «نمرود»، وقال الذهبي عقب الأثر: «كذا قال: بخت نصر، والمحفوظ أن صاحب القصة نمرود».
وهو النُّمْرُودُ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، ملك بابل، قال مجاهد: كان أحد ملوك الدنيا، وذكر أن ملكه استمر أربعمائة سنة، وكان قد طغى وبغى، وتجبر وعتى، وآثر الحياة الدنيا، ادعى الربوبية حاج إبراهيم الخليل في ذلك، فأهلكه الله وجنوده. البداية والنهاية ٣٤٢/١-٣٤٥. وتاريخ الطبري ٢٨٧/١.

(٤) في الأصل «وقال».



قال: «إن بين الأرض والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام وغلظها مثل ذلك» إلى أن ذكر حملة العرش، إلى أن قال: وفوقهم يبدو العرش، عليه ملك الملوك تبارك وتعالى، أي عدو الله فأنت تطلع إلى ذلك، ثم بعث عليه البعوضة فقتلته». رواه أبو الشيخ في كتاب «العظمة»(١).

وقصة أبي يوسف(٢) مشهورة في استتابته لبشر المريسي لما أنكر أن يكون الله فوق العرش، رواها عبد الرحمن بن أبي حاتم وغيره(٣)، وبشر لم ينكر أن الله أفضل من العرش، وإنما أنكر ما أنكرته المعطلة أن ذاته تعالى فوق العرش.

وروى الدارقطني في «الصفات» وعبد الله بن أحمد في «السنة» بإسناد صحيح عن أبي الحسن بن العطار(٤) قال: سمعت محمد بن مصعب

---

(١) ٣/١٠٥٤-١٠٥٥ حديث ٥٧١، وذكره الذهبي في العلو ٢/٩٧٩رقم ٣٥٨، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٢٦٢ وجود إسناده، وفي مختصر الصواعق ٣/١٠٨٢-١٠٨٣. قال ابن القيم في اجتماع الجيوش عقب الحديث: «رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة بإسناد جيد إلى ابن إسحاق».

(٢) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد القاضي، صاحب الإمام أبي حنيفة، قال ابن المديني: كان صدوقًا. وقال ابن معين: كان ثقة. وقال أبو زرعة: كان سليمًا من التجهم. وقال أبو حنيفة عنه: إنه أعلم أصحابه. وقال المزني: كان أبو يوسف أتبعهم للحديث. مات سنة ١٨٢هـ. البداية والنهاية ١٣/٦١٥- ٦٢٠، والجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ٣/٦١١-٦١٣، وسير أعلام النبلاء ٨/٤٧٠.

(٣) انظر الحموية ضمن مجموع الفتاوي ٥/٥٤، ولعل ابن أبي حاتم ذكرها في كتابه الرد على الجهمية وهو كتاب مفقود قال الذهبي في السير ١٣/٢٦٤: «هو مجلد ضخم انتخبت منه»

(٤) هومحمد بن محمد بن عمر بن الحكم أبو الحسن يعرف بابن العطار، قال عبد الله بن الإمام أحمد: كان ثقة أمينًا، مات سنة ٢٦٨هـ. تاريخ بغداد ٣/٢٠٣-٢٠٤.

العابد[(١)] يقول: «من زعم أنك لا تتكلم، ولا تُرى في الآخرة فهو كافر بوجهك، . أشهد أنك فوق العرش فوق سبع سماوات ليس كما يقول أعداؤك الزنادقة»[(٢)].

وفي وصية الشافعي: أنه أوصى [أنه][(٣)] يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فذكر الوصية إلى أن قال فيها: «والقرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه يُرى في الآخرة عيانًا ينظر إليه المؤمنون ويسمعون كلامه، وأنه تعالى فوق عرشه»، ذكره الحاكم والبيهقي في «مناقب الشافعي»[(٤)]/ . [١٢٨]

وقال الشافعي: «السنة التي أنا عليها ورأيت أهل الحديث عليها مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول

---

(١) أبو جعفر الدعاء قال فيه الخطيب: كان أحد العباد المذكورين والقراء المعروفين، أثنى عليه أحمد بن حنبل ووصفه بالسنة، مات ببغداد سنة ٢٢٨هـ، تاريخ بغداد ٣/٢٧٩-٢٨١، وطبقات الحنابلة ١/٣٢٠-٣٢١.

(٢) الأثر آخرجه الدارقطني في الصفات ص ٤٢- ٤٣ حديث ٦٤. وعبد الله بن أحمد في السنة ١/١٧٣ حديث ٢١٠. والخطيب في تاريخ بغداد ٣/ ٢٨٠ في ترجمة محمد بن مصعب، وطبقات الحنابلة ١/٣٢١، وذكره الذهبي في العلو ٢/ ١٠٨٠رقم ٤٢١، كلهم من طريق محمد بن محمد أبو الحسن العطار، قال سمعت: محمد بن مصعب فذكره. وصحح الألباني إسناده في مختصر العلو ص ١٨٣.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من مختصر الصواعق ٣/١٠٨٦.

(٤) مناقب الشافعي ٢/٢٨٨-٢٩٠، والأم ٤/١٢٢-١٢٤، والذهبي في العلو ٢/١٠٥٧ رقم ٤٠٥، وفي الأربعين في صفات رب العالمين ص ٤٢رقم ١٥وص ٧٠ رقم ٥٧، وابن قدامة في إثبات صفة العلو ص ١٧٥-١٧٦.

الله»، إلى أن قال: «وأن الله فوق عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء» ذكره الحافظ عبد الغني(1) في كتاب «اعتقاد الشافعي»(2).

وقال حنبل(3): قلت لأبي عبد الله: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٣]. و﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]. قال: «علمه محيط بالكل، وربنا على العرش بلا حد ولا صفة»(4)، أراد أحمد بنفي

(١) تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي، الجُمّاعيلي، ثم الدمشقي المنشأ الصالحي الحنبلي، ولد سنة ٥٤١هـ، له مصنفات كثيرة منها: الأحكام الكبرى، والصغرى، واعتقاد الشافعي، وغيرها، توفي سنة ٦٠٠هـ، السير ٢١/٤٤٣-٤٧١، والبداية والنهاية ١٦/٧٣٢-٧٣٤.

(٢) ابن قدامة في إثبات صفة العلو ص ١٨٠-١٨١رقم ٩٢، والذهبي في العلو ٢/١٠٥٥رقم ٤٠٤ ووهّى إسناده، وذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٦٥.

قلت: ذكر الذهبي في العلو ٢/١٠٥٧ الروايتين ثم قال: «إسنادهما واهٍ» وقال في السير ١٠/٧٩: «أنها غير صحيحة».

وهي من رواية شيخ الإسلام علي بن أحمد بن يوسف بن جعفر، أبو الحسن الأموي، السفياني الهكاري، قال ابن عساكر: لم يكن موثوقًا في روايته. وقال ابن النجار: كان الغالب على حديثه الغرائب والمنكرات، ولم يكن يشبه حديثه حديث أهل الصدق، وفي حديثه متون موضوعة مركبة على أسانيد صحيحة، توفي سنة ٤٨٦هـ. تاريخ دمشق ٤١/٢٣٨-٢٣٩، وذيل تاريخ بغداد ٣/١٧٣، والسير ١٩/٦٧-٦٩، والميزان ٣/١١٢.

(٣) ابن إسحاق بن حنبل بن هلال أبو علي الشيباني ابن عم الإمام أحمد وتلميذه إمام حافظ ثقة ثبت، توفي سنة ٢٧٣هـ بواسط. تاريخ بغداد ٨/٢٨٦-٢٨٧، وطبقات الحنابلة ١/١٤٣-١٤٥.

(٤) اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/٤٠٢حديث ٦٧٥، وابن قدامة في إثبات =

الصفة نفي الكيفية والتشبيه، وبنفي الحد نفي حد يدركه العباد ويحدونه.

وقال أبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي: سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف [ربي][1] في السماء أم في الأرض، قال: «قد كفر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. وعرشه فوق سبع سمواته، فقلت إنه يقول: ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ ولكن لا يدري العرش في السماء أم في الأرض، فقال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر»[2].

وقال مالك: «الله في السماء وعلمه في كل مكان»[3] ذكره الطلمنكي،

= صفة العلو ص ١٦٧ رقم ٧٩، وابن تيمية في شرح حديث النزول ص ٣٥٩، والذهبي في العلو ص ١١١٦/٢ رقم ٤٤١، وفي الأربعين في صفات رب العالمين ص ٦٥ رقم ٥٠، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٢٠٠. وعزاه إلى أبي القاسم الطبري الشافعي في كتاب السنة له بإسناده.

(١) في الأصل: «رب» والتصحيح من مختصر الصواعق ١٠٨٨/٣.

(٢) شرح الفقه الأكبر لملا على القاري ص ١٧١، وابن قدامة في إثبات صفة العلو لابن قدامة ص ١٧٠ رقم ٨١، وابن تيمية في مجموع الفتاوى ٤٧/٥-٤٨، و ١٨٣/٥، والذهبي في العلو ٩٣٥/٢ رقم ٣٣٢، وفي الأربعين في صفات رب العالمين ص ٥٩ رقم ٣٨، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٣٩، وذكره ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية ٢٨٨.

(٣) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ١٠٦/١-١٠٧ رقم ١١. وأخرجه أبو داود في مسائل الإمام أحمد ص ٣٦٣ والآجري في الشريعة ١٠٧٦/٣-١٠٧٧ رقم ٦٥٢ و ٦٥٣ واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٤٤٥/٣ رقم ٦٧٣ وذكره ابن عبد البر في التمهيد ١٣٨/٧، وابن قدامة في إثبات صفة العلو ص ١٦٦ رقم ٧٦، وابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٨٣/٥، والذهبي في العلو ٩٥١/٢ رقم ٣٤٣ و ١٢٦٩/٢ رقم ٥٠٥، وفي =

وابن عبد البر، وعبد الله بن أحمد وغيرهم [1].

وقد قال هذا ونقله غيرهم ممن تقدم كلامه، وممن لم يتقدم كابن عبد البر، والطلمنكي، والقرطبي وابن رشد وكثير من علماء الأندلس والقاضي عبد الوهاب وأبي بكر الباقلاني وابن أبي زيد وعبد الله بن موهب شارح رسالته وكثير ممن لا يحصى من المالكية حسبما ذكره هؤلاء في كتبهم تخصيصًا وتعميمًا، وقد أوضح ذلك بما لا مزيد/ عليه الشيخ عبد القادر الجيلي [١٢٩] في «غنيته».

وقد قدمنا أقوال جماعة من أهل التفسير في ذلك وجماعة من متأخري الأشعرية ممن رجع إلى قول أهل السنة، فهذه دلائل أهل السنة التي لو انحلت وفصلت لبلغت نحو ألف دليل.

وقد تضمنت كتبهم ذلك مثل كتاب «الصواعق لابن القيم».

وأما الجهمية والمعتزلة والرافضة ومن استولى عليه فكر هؤلاء ووهمهم فلا دليل لهم سوى العناد والشقاق والخلاف لتلك البراهين وإبطالها بالتأويلات والمجازات التي من تمسك بها وعول على محصولها لم يكن له رب فوق السموات ولا على العرش إلا العدم المحض وليس هناك من تُرفع إليه الأيدي ويصعد إليه الكلم الطيب وتعرج الملائكة والروح إليه وينزل الوحي

= الآبعين ص ٥٩ رقم ٣٩، وص ٦٣ رقم ٤٥، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٤١.

(١) من قوله وأما أقوال العلماء إلى هنا نقله من مختصر الصواعق ٣/١٠٧٩-١٠٨٩.

من عنده ويقف العباد بين يديه ولا عرج برسوله إليه حقيقة ولا رفع المسيح إليه حقيقة، ولا يجوز أن يشير إليه أحدنا بأصبعه إلى فوق كما يفعل النبي ﷺ ولا يجوز أن يقال أين هو؟كما قال النبي ﷺ.

ولا يجوز أن يسمع من يقول: أين؟ ويقره عليه كما سمع رسول الله ﷺ من السائل وأقره عليه، ولا يراه المؤمنون بأبصارهم عيانًا فوقهم ولا له حجاب حقيقة يحتجب به عن خلقه ولا يقرب منه شيء ولا يبعد منه شيء ونسبته من فوق السموات كلها إلى القرب منه كنسبة من في أسفل سجين كلهما في القرب من ذاته سواء، فهذا حقيقة هذا المجاز وحاصله، ومعلوم أن هذا أشد مناقضة لما جاءت به الرسل منه للمعقول الصريح فيكون من أبطل الباطل، وإذ[1] أتينا على ما قصدناه والله يسر ما أردنا وأمليناه وانتهى/ بنا [١٣٠] القول في البحث مع صاحب الرسالة إلى بيان فساد ما اعتقده ورد ما تأوله وكتبه مما زعم أنه برهان على ما قاله وظنه فلنقتصر على ما كتبناه وذكرناه.

ونسأل الله لنا ولأحبابنا الهداية إلى الصواب وإلى التوفيق الرجوع والعناية، وأن يمن علينا بصالح الأعمال وحسن الخاتمة، وهو المسؤول الذي لا يخيب من سأله، والمدعو الذي لا يهمل دعاء من دعاه والمرجو الذي لا يقطع رجاء من رجاه.

اللّٰهم إياك سألنا ولإحسانك تعرضنا وما عندك من خير طلبنا، فأقبل اللّٰهم بوجهك الكريم علينا ولا تخيب فيك رجاءنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من

(١) في الأصل: «وإذا».

لا يرحمنا ولا تحاسبنا بها أنت رحيمنا ومولانا.

يا رب أسألك الرضا والعفو عما قد مضى يا من على العرش استوى

آمين آمين يا إله العالمين، آمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قال كاتبه: وكان الفراغ من هذا التأليف الجليل لشيخنا العلامة الفاضل حافظ المغرب في وقته وحجة الإسلام العلامة الأصولي المجتهد محيي السنة وقامع البدعة أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن محمد النتيفي الجعفري أصلًا ومنشًا، البيضاوي مسكنًا في يوم الأربعاء سادس وعشرين ربيع الأول عام ١٣٨٤هـ الموافق لخمسة أغسطس ١٩٦٤م.





نص الرسالة المردود عليها منقولة من هامش الأصل من ص ١٦ إلي ص ٢٠.

الحمد لله الذي نوَّر قلوب العارفين بمعرفته، وجعل من شعائرهم الاعتراف بالعجز عن الوصول إلى كنه حقيقته، وأيدهم بأن جعل سبحانه اعتقادهم كمالاته وتنزيهه عما لا يليق بألوهيته، من تجسيم وجهة وجارحة وغير ذلك مما هو سمة المخلوقين، سبحانه من إله عظيم... الخ.

مكون الأشياء كلها، وخالق العرش الكريم لا يحيط بمعرفته أحد من المخلوقات، ولا يمكن استقراره لا على الأرض ولا فوق العرش والسموات، بل هو العلي الأعلى، خالق الأرض والسموات العلي، فهو سبحانه في السماء وفي الأرض إله، يتجلي في كل شيء بعلمه وقدرته جل شأنه وعلاه، فكل ما يخطر بالبال مما هو سمات المخلوقين محال في حقه تعالى عند جميع المؤمنين المتقين، والصلاة والسلام على سيدنا وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

فإنه كان أمير المؤمنين ناصر الشريعة القديمة، وباسط مهاد العدل والإنصاف، وهادم أساس الجور والاعتساف، صاحب العدل والإحسان وكل وصف مستحسن سيدنا ومولانا الحسن سالكًا سنن أسلافه الكرام بالمواظبة بالتبرك بقراءة حديث جده عليه السلام وأظهر بعض الحاضرين بمجلسه الشريف ما كان فيه من المخالفة والتحريف وأفصح بما انطوى عليه



باطنه من الاعتقاد الفاسد، وتكلم بما يدل على أنه مبتدع وفاسق لأوصاف الربوبية جاحد حتى صرح في جانب الإلوهية بما تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع من حمل المتشابه على الحقيقة فسوى لطمس بصيرته بين الخالق والمخلوق فتحركت الهمة عند ذلك لرد كلامه الشنيع بتقييد النزر اليسير من القول الرفيع، تاركًا للتطويل مقتصرًا لما يجب عليه التعويل، خوفًا من انتشار هذا الضلال فتزل به قدم كل مبتدع وجهول فأقول مستعيذًا بالله ومبتدئًا بسم الله ومصليًا على رسول الله.

قال في الرسالة: عطفًا على ما هو من أمور الديانات من قوله: (إن الله واحد وأنه تعالى فوق عرشه المجيد) قال شراحها: وفوقيته تعالى على عرشه فوقية استيلاء وملك وقهر وغلبة كقولك السيد فوق عبده؛لأن المالك فوق المملوك.